

مع تصيات : علي مولا

قصة الزير سالم

الجزء الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسله وأنبيائه وبعد
فهذه سيرة الاسد التكرار والبطل المغوار الذي شاع ذكره
في الاقطار وأذل بسيفه كل صنديد وجبار المهلهل بن ربيعه
صاحب الاشعار البديعه والوقائع المهوره المريعه وما جرى له
في تلك الايام مع ملوك الشام وفرسان الصدام من

الحوادث والوقائع التي تطرب القارىء وتلد السامع وتكن
قبل الشروع في هذه السيرة الغريبة وأخبارها المطربة الغريبة
رأينا أن نذكر طرفاً من أخبار العرب أهل الفضل والأدب
أفاده للطالعين ونزهة للسامعين فنقول والله المستعان : أن
أصل العرب من قديم الزمان وسائف العصر والأوان
ولد نزار بن معد بن عدنان وكان قد ولد لنزار
المذكور أربعة أولاد من الذكور كل منهم بالفضل والبأس
مشهور وهم : مضر أنمار وأبار وربيعة وفارس الطرار ومنهم
تشعبت قبائل الأعراب ومالات البراري والهضاب فمن
نسل أبان ملوك التابعه الذين أخبارهم بين الناس شائعة
ومن نسل ربيعة ومضر وأنمار عرف الحجاز ونجد والعراق
وسكان القفار وكانت العرب في تلك الزمان منقسمه
الى قسمين وهما قيس ويمن فكان اليمن هم
اليمنيون وباقي العربان القيسيون وما زالت العرب
تنمو وتكثر وتمتد في البر الاقفر حتى اشتهرت العشائر

والتقبائل وظهر الامير ربيعه وأخوه مرة وأبناء وائل وربيعه
المذكور هو أبو الزير الفارس المشهور صاحب هذه السيرة
ووقائعها الشهيرة .

(قال الراوي) وكان ربيعه في ذلك الزمان من جملة
ملوك العربات وأخوه عروة من الامراء والاعيان
وكانت منازلهم في تلك الايام في أطراف بلاد الشام وكانا
يحكمان على قبيلتين من العرب وهما بكر وتغلب وولد
لربيعة خمسة أولاد مثل الاقمار وهم كليب الاسد انكرار وسالم
البطل الشهير الملقب بالزير وعدي ودريعات وغيرهم من
الشجعان وكان له بنت جميلة الطباع شديدة الباع تعاركت
الاسود والسباع أسماها اسماء وتلقب بضباع وأما الامير مرة له
عدة أولاد أبطال أجماع وقد اشتهروا بالشجاعة وقوة البأس منهم
همام وسلطان وجساس وله بنت جميلة فاضله نبيله يقال لها
الجليلة فاتفق في بعض الايام أن الاميرة مرة دخل على أخيه
ربيعة في الخيام وخطب أبنته ضباع لابنه همام وخاطبه بهذا

الشعر والنظام:

يقول أمير مرة في قصيدة معانيه حكّت درر الجواهر
ربيعة يا أخي اسمع كلامي أيا قهار فرسان الجبابر
أريد ضبا ع بنتك ياربيعه ألي همام يا فخر الأكابر
ولما ينتشي ابنك كليبا ويركب يا أخي الخيل الضوامر
وتكبر يا ملك بتي الجليله مر فخذها له زوج لاتشاور
وهذا يا أخي أقصى مرادي أيا صدام آسا الكواسر
تبدي له ربيعه ثم قال له كلامك يا أخي مثل العنابر
تريد ضبا ع خذها يا مسمى وزوجها لابنك لاتشاور
ومعها مائة خادم يخدمونها ومائة جارية غير السرائر
ومعها مائة حر كالعرائس ومائة قعود مع ميتين جوائر
ومعها حمل الفاخر واطلس زياد ومسك فايع ودم عاطر
وهمام ابن مرة مثل ابني نغيرك ما أناسب أو أصاهر
هلم انهض وزوجها بسرعه وأفرح فيه وأعمل عرس فاخر

فلما فرغ ربيعه من كلامه وشعره ونظامه أعتنقه أخوه
وشكره على حسن اهتمامه ثم باشر القوم بأمر العروس
من ذلك اليوم وعقدوا عقد الأمير همام على ضباع بنت
الكرام كما جرت عادة الملوك العظام فأولموا أولائم وذبخوا
الذبائح وأطعموا كل آت ورائح وما زالوا في سرور وأفراح
وبسطوا إشراح ودق طبول ولعب خيول وشرب مدام مدة
عشرة أيام ثم زفوا ضباع على الأمير همام فكانت ليلة عظيمة
لم يسمع بمثلها في الأيام القديمة حضر فيها كثير من سادات
العرب وأهل المناصب والرتب ودخل همام على ضباع
وحظي بحسنها وجمالها ونالت منه غاية آمالها لأنها كانت تحبه
محبة شديدة وتوده موده أكيدة وسوف يظهر لهما ولدان
وهما شيبون وشيبان وسيأتي حديثهما بعد الآن.
هذا ما كان من خبر بنى قيس المدعويين بالقيسيه ولنتكلم
الآن عن حديث اليمانية وما جرى لهم في تلك الأيام

من الامور والاحكام والحروب والاهوال في ميادين
القتال فنقول وعلى الله الاتكال.

أنه كان في قديم الزمان في بلاد اليمن ملك عظيم
الشان صاحب جند وأعوان وأبطال وفرسان يقال له
الملك حسان ويكنى بالثبب اليماني ولم يكن له بين
الملوك ثاني وهو أول اليمانيه كما كان ربيعه أول القيسييه
وكان شديد الاس قوي المراس كويل القامه عريض الهامه
ولا يعرف الحلال من الحرام ولا يحفظ العهد والزمان وكان
يحب النساء الملاح والمزاح منهن في المساء والنصباح ومن
أعماله الغريبه واصطلاحاته العجيبه كما ذكر أصحاب
الرايات أنه كل ليلة يتزوج بصبيه من بنات الملوك
والسادات وكانت الملوك تخافه وتخشاه وتحسب حسابه
وتترضاه وتحمل له الخراج
وتعلن له الخاطر والمزاج وكان عنده من الابطال

والفرسان ألف ألف عنان وهم عشرة كرات مستعدين
للحرب والغارات وكان له وزير عاقل خبير قوي الجنان
اسمه نبهان قد امتاز على الاقراء بفعل الخير والاحسان
وكان كثيرا ما ينهى الملك حسان عن ارتكاب الظلم
والعدوان فاتفق في بعض الاعوام وفي يوم من الايام أن
ألتقى تبع مع نبهان وقال له في الديوان بحضور الامراء
والاعيان هل سمعت أيها الوزير والعاقل الخبير عن ملك
كبير عنده رجال كرجائي أو أموال كعدد أموالي فقبل
الوزير الارض ووقف في مقام العرض وقال أعطني الامان
ياملك الزمان وانا أحدثك بأخبار ملوك الامم أصحاب
البطش والهمم وما عندهم من الجيوش والعساكر والمهمات
والدخائر

فقال قل وعليك الامان من نوائب الزمان.

فقال أعلم أيها الملك المعظم أنه لا يوجد مثلك في هذه الاقطار
من الملوك الكبار أصحاب الدين والامطار ولكن
يوجد خارج البحار عرب من أهل الشجاعة والاقتدار
عددهم كثير وجيشهم غفير يقال لهم بنو فيس وسيدهم اسمه
ربيعه وهم في الحرب والغارات وقائع مهولة مريعه وهم
أعظم من وأكثر بأسا، فلما انتهى الوزير من الكلام وسمعه
من حضر في ذلك المقام أغتاط الملك وتأثر وكان عليه
أشد من ضرب السيف الا بتر فصاح على الوزير وزعق
وقال له بكلام الخنق هكذا ياتيس تفضل علي بنى قيس مادام
الامر كذلك لابد أن أقدهم بفرسان المعارك وأقتل
ملكهم ربيعة وأوردهم وأورد المهالك وأخرب بلادهم وديارهم
وأخمو بالسيف آثارهم وأتملك الديار بالقوة والاقتدار ثم أنشد
هذه الأبيات على مسامع الامراء والسادات:

يقول النبي اليمنى المسمى بجنات فما للقول زورا

ملكـت الأرض غصبا واقتدارا وصرت على ملوك الأرض

سورا

وطاعتني الممالك والقبائل وفرسان المعامع والتمورا
نقد أخبرت عن بطل عنيد شديد البأس جبارا جسورا
وقالوا انه يدعى ربيعه أمير قد حوى مدنا ودورا
تولى الأرض في طول وعرض فكم خرب وكم شيد قصورا
فقصدي اليوم أغزوه بجيشي وأترك أرضه قفرا وبورا
أيا نبهات أجمع لي العساكر قياتوا فوق خيل كانمورا
وجهاز الف مركب ياوزيرى واوسقهن في وسط البحورا
ثلاث شهور أسرع لا تطول يكون كل ماقلته حضورا
أسير بهم الى تلك الأراضي وأملك القلاع والقصورا
ويغنم عسكري منهم مكاسب وأزوجهم بنات كما البدورا
ويبقى لي الحكم برا وبحرا ويصفي خاطري بعد الكدورا

(قال الراوي) فلما انتهى السبع من شعره ونظامه وفهم
الوزير ما حوى حديثه وكلامه ندم وتكدر الذي أعلمه
بهذا الخبر ولم يعد يمكنه الا الامتثال وتجهيز الفرسان والابطال
الى الحرب والقتال فنزل من الديوان وهو مقهور
غضبائهم وأمر بدق الطبل والنحاس لاجتماع العساكر وباقي
الناس وكان هذا الكبل يقال له الرجوج وهو من أعظم
الطبول وكانت تدقه عشرة من العبيد الفحول وهو من
صنعه ملوك التبابعة العظام وكانت الناس تسمع صوته عن
مسافة ثلاث أيام وكان الملك حسان اذا غزا قبيلة من
العربان يأخذ ذلك الطبل معه وأين ما ذهب يتبعه ولم يزل
هذا الطبل في ذلك الزمان يتصل من ملك الى ملك
حتى أتصل الى الامير حسان سيد بني هلال المشهور
بالاحسان والافضال فلما دقت العبيد الطبل وسمعت صوته
قواد الفرسان اقبلت على الوزير من كل جهة ومكان

فساموا عليه وتمثلوا بين يديه وسألوه عن سبب ذلك الطبل
الرجوع فحدثهم بذلك الأيرار والمسير إلى تلك البلاد
للغزو والأجهاد ثم بعد ذلك فرق عليهم السلاح وآلات الحرب
والكفاح ولما تكن المدة قصيرة حتى تجهز المراكب
وتجمعت العساكر من كل جانب وكان من جملة عشر
من الملوك كبار كل ملك يحكم على ألف بطل مغوار
وحضروا إلى أمام الملك تبع حسان وسلموا عليه وقبلوا
الأرض بين يديه وقالوا له نحن بين يديك ولا نبجل باروا حنا
عليك فشكرهم وخلع عليهم الخلع الفاخر والتحف الباهرة
ووعدهم بالمال الجزيل وبكل خير جميل ثم أمر الوزير بالاستعداد
والرحيل على غزوة بني قيس وتلك البلاد وطلب منها أن
يأتي بالعساكر من تحت القصر وهي نازلة إلى البحر
ليشاهد أحوالها ويرى سلاحها وأثقلها فمثل الوزير لما أمر
وفعل كما ذكر فأنشراح صدر الملك عند رؤية العساكر
والجحافل وهي في السلاح الكامل والاستعداد للحرب

وانقتال فأنشد وقال:

يقول اتبع الملك اليماني صفا عيشي وقد طاب فؤادي
أتني عساكر كالأسد تسري ألوف راكبين على جيا
عليهم كل درع من حديد له زرد كما عين الجرا
وبهم كل جبار عنيد يقال ألف نيت في انطرا
برؤيتهم فقد زاد انشراحي وزال اهنم عني بابتعا
أسير بهم لذالك البر حالا وأقتل كل من يطلب عنا
وأرجع غانما في طيب عيش ولا يبقى تتبع من يعا
ألا يا عسكر قروا وطيّبوا على نيل المقاصد والمراد
ومنى أبشروا فيما تريدون مهما تطلبوه بازدياد

فلما فرغ من شعره ونظامه صرخت الامراء وأكابر القوا
والجيش والعساكر والاجناد ودعوا للملك بالنصر وطول العمر
وقد استبشروا في غزوة تلك البلاد وايقنوا بالنجاح وبلوغ

المراد ثم نزلت العساكر والاجناد في المراكب مع الامراء
والقواد ، وكان الملك حسان قبل خروجه من الاوطان
فقد سلم زمام ملك اليمن الي الصحاح بن حسان
وهو ملك كبير وفارس شهير كان يميل اليه ويعتمد عليه
فأوصاه أن يجمع له المال في كل عام ويرسله الي بلاد
الشام ثم نزل مع الوزير في مركب كبير وأقلعوا من
الأوطان وقصدوا بلاد الحبش والسودان . وعند وصولهم
الي ذلك الجانب انقوا المراسي ونزلوا الي البر بالقوارب
ونصبوا الخيام والمضارب وفي الحال ارسل الملك تبع وزيرا
اسمه زيد بن عقبه بألف فارس منتخبه ليعلم ابن أخته
الرعينى بقدمه الي تلك الأقطار لانه كان ملك هاتيك
الديار ويأمره بسرعة الحضور وتقديم الذخر الي الجيش
والعسكر فلما علم الرعينى بذلك الخبر بادى في الحال
بافرسات والابطال والمهمات الثقيل الي أن التقى به
في الصيوان ومن حوله الوزراء والاعيان فدخل وسلم

عليه وقبله بين عينييه وقدم له الذخائر والمهمات لتلك الجهات
فأعلمه بواقعة الحال وأنه قاصد غزو بني قيس وتلك الاطلال ثم
باتوا تلك الليلة في الخيام وفي الصباح أمر الملك العشرة
ملوك العظام ان يتأهبوا للرحيل الي بلاد الشام وان
ينقسموا الي قسمين ويتفرقوا الي فريقين فخمسة تسير
من اليمين وخمسة تسير من على الشمال وأوصاهم أنهم
كل ما أقبلوا الي مدينة يملكوها في الحال ويقيمون فيها
نائباً من سادات الرجال فأجابوا أمره بالخضوع والامتثال
فعند ذلك دقت الطبول والزمرور ركبت الفرسان ظهور
الخيول وارتفع الصياح ولمع السلاح وترتبت الكتائب وسارت
المواكب في تلك البراري والسياسب وكانوا كلما وصلوا
الي مدينة او بلد امتلكوها بحد السيف المهند حتى ملكوا
البلاد وطاعتهم العباد وما زال تبع يتقدم حتى أقبل الي
مدينة الشام فأحاط بها من جميع الجوانب بالمواكب
والكتائب وكان نائب الملك ربيعه في دمشق الشام يدعى

يزيد بن علام وكان ربيعة واخوه مرة في وادي الانعمين
وهو مكان بعيد عن المدينة مسافة يومين فأرسل الملك تبع
الي نائب الامير ربيعة أحد الوزراء العمد يطلب منه
الخضوع لامره وتسليمه.

فلما وصل اليه ودخل عليه وأعلمه بالخبر وما قال تبع وأمره
فأجاب بالسمع والطاعة ونهض مسرعا في تلك الساعة وأخذ
معه الاموال والذخائر وخرج في جماعة من الاكابر حتى
التقى بتبع في الخيام فحياه بالسلام فترحب به غاية الترحيب
وأمر له بالجلوس فجلس بمكان قريب منه فقال تبع هل أنت
حاكم الشام قال نعم أيها الملك الهمام فسأله عن حكم ربيعة
فقال له

ظالم على قومه وكل الرعايا تشكوا من ظلمه وتتمنى له
الاذى والضرر والموت الاحمر والحمد لله رب البريه الذي
أعاننا بك حتى نتخلص من نير العبوديه فسنخدمك خدمة
مريضيه ونصير لك من جملة الرعية وما قوله ذلك تتبع الا

من الخوف والفرع فتبسم تبع من هذا الكلام وقال ابشر
ببلوغ المرام فانك ستكون نائبي في بلاد الشام وتحمل لي
الخراج في كل عام فقال سمعا وطاعة يا ملك الزمان وجوهرة
هذا الاوان ثم عرض عليه الذخائر وما جاء به من نفيس
الجواهر فانشرح صدر تبع وخلع عليه وقال له اذهب الان
الى وجوه اهل المدينة وباشر في انصيفات والزينة فاننا
سنحضر الى عندك بعد ثلاثة ايام وتتفرج على الشام
ونرجع الى المضارب والخيام فقال اهلا وسهلا الارض
ارضك والبلاد بلادك ثم ودع الملك وسار بمن معه من
الاكابر والتجار وأخذ يسعى في امر الولييمه وقد خامرت
معه اهل الشام خوفا من السبي والهزيمة.

هذا ماجرى هؤلاء من الاخبار وأما ماكان من ربيعة
وبنى قيس الاخبار فانهم لما سمعوا بقدوم الملك تبع الى الديار
وافتاحه المدن والامصار اخذهم القلق والافتكار وكان قد

بلغ ربيعه قول زيد الى تبع حسان وكيف انه نسبة الى
الظلم والعدوان مع انه كان من أعدل ملوك الزمان
اخذه الغضب والقلق وزال به الحنق فجمع اكابر قومه واخيه
مرة ومن يعتمد عليهم من أهل الشجاعة والقدرة وجعل
يخاطب الامراء والسادات بهذه الايات:

غنا ربيعه شعرا من ضمائره ودمع العيون على الوجحات
طوفان

يا قومنا اسمعوا وامثلوا قولي اتم بنو قيس ابطال وشجعان
كنا بخير والسعد يخدمنا نقري الضيوف ونكسي كل عريان
والجوخ واخز السمور يأتي لنا من ساير الارض والملبوس
ألوان

جاءنا من البحر ذا التبع يحاربنا صعب المراس شديد البطش
سلطان

معه رجال عوابس اف اف بطل من كل ضرغام قلبه مثل

صوان

حاز البلاد وما أمير خالفه الكل طاعته انقاصي مع الدان
أتى الينا وما حسب حساب لنا ومن غيرنا هو ليس

فزعات

معاه عسكر كثير ما له عدد ابطال حرب وفرسان شجعان
انا بقيت كبير السن يا عربي مالي جلد في اللقا وسط
ميدان

مرة أخرى بهذا الرأي ساعدني همام يا ابن أخي
ما كنت كسلان

ما يترك الكأس من يديه ولا ساعه الا بوقت اللقا أو بعض
أحيان

كيف العمل نهزم أو نقابله شوروا للصواب أخوتي
وخلان

فلما فرغ ربيع من شعره قالت السادات والفرسان

عن فرد لسان أن هذا الامر لا يطاق وعلقم مر المذاق
وليس لنا غير الهزيمة فهي أوفر غنيمة والا حكم سيفه ولاشانا
عن بكرة أيينا وبعد مداولة طويلة وجلسه مستطيده استقر
رأي الجمهور على أن يذهبوا الى عند تبع المذكور
فيسلموا عليه ويقبلوا يديه ويطلبون لانفسهم الامان
ويقدموا له التحف الحسنات نعلمهم يتخلصون بهذه الوسيلة
من تلك الورطة التويلة هذا ما كان من أمر بني قيس
وأما الملك تبع فانع في اليوم الثالث ركب في وجوه قومه
وتوجه الى مدينة الشام لاجل الزيارة كما تقدم الكلام.

فلما بلغ الغاية ووصل السرايه التقاه زيد بالتعظيم والاکرام
واجلسه في أعز مقام وصنع له وليمة عظيمة ذات قدر
وقيمة فأحسن اليه وخلع عليه وفرق التحف الثمينه على
أكابر اهل المدينة ثم رتب الخراج في كل عام وبعد ذلك رجع
الى المضارب والخيام وهو مسرور الفؤاد على المرام وأما

بنو قيس فانهم جمعوا التحف الحسن والاموال التي يكل
عن وصفها اللسان من عقود وجواهر ومهمات وذخائر
وقماش فاخر وحملوها على مائة جمل وركب ربيعه مع
أخيه مرة في مائة بطل وسار معهما جماعه من الامراء
والقووال الذين عليهم الاعتماد وجدا في قطع البراري
والفقار حتى وصلوا الى تلك الديار وعند وصولهم الى
المضارب نزلوا عن ظهور الجنائب واجتمعوا بخزندار الملك
تبع وكان اسمه ثعلبه حسن ويعلمه ابن الالبشع فقدموا له
التحف الحسن ليقدمها الى الملك تبع حسن ويعلمه
بقدمهم الى الديار فقدمها الخزندار ويعلم بمجيء القوم
في مثل ذلك اليوم مرادهم الدخول عليه ليتشرفوا بتقبيل يديه
ورجليه ويحصلوا على أمانة ويكونوا من جملة خدامه
وأعوانه فتبسم تبع والتفت الى وزيره نبهان وقال له اين
ملوك قيس العظام الذين كنت قلت عنهم ما هو كذا وكذا
من كلام واني لأصلح ان اكون من جملة خدامهم

وهم قد حضروا الان لتقبيل أقدامي ليكونوا من جملة
أعواني وخدامي فقال الوزير وقال الله من كل شر
وضير وجعل عاقبة هذا الامر الى خير فبينما هم في
الحديث والكلام اذا دخل على الملك أمراء بنو قيس الكرام
فقبلوا الارض بين يديه ووقعوا على رجليه فأخذ تبع ينظر
اليهم ويتأمل فيهم فحانت منه التفاته فنظر الامير ربيعة واقف
في باب الصيوان وهو مثل الاسد الغضبان وكان
الامير ربيعة لم يدخل مع قومه على الملك حسان لان نفسه
ما كانت تطاوعه على الذل والهوان فالتفت الملك تبع الى
الترجمان وقال من يكون هذا الانسان فأني أراه
معجب بنفسه غاية الاعجاب ولا حاسب لي أدنى حساب
فسأل الترجمان عنه فقالوا العشمشم سيد بنى قيس الامير
ربيعة المعظم.

فلما سمع تبع هذا الخبر شخر ونخر وتبدل بكدر واحمرت عيناه
حتى صار مثل الجمر ثم ناداه فحضر وقد تعجب من عظم

هيبته وبياض لحيته فسلم ربيعه عليه ووقف بين يديه فقال تبع
أنت سيد بنى قيس انكرام فقال نعم أيها البطل الهمام وقال
ولماذا أسأت الادب واحتقرتني دون باقي أمراء العرب
الذين تمثلوا أمامي وقبلوا يدي وأقدامي فتقدم الان
وقبل رجلي يامهان وإلا قتلتك بحد الحسام وجعلتك عبرة بين
الانام.

فقال ربيعه وقد استعظم ذلك الامر واحمرت عيناه من الغيظ
حتى صارت مثل الجمر لانه كان من اشرفهم حسبا
واعلاهم نسباً ثم قال اعلم يا ملك الزمان بأننى ملك من
ملوك العربان صاحب قدر وشان وماذلت نفسي
لانسان وهذه هي وبلاىي وملك أبائي واجدادى
وأنا ماتعديت عليك وما أوصلت أذيتى اليك بل أنت شنييت
علينا الغارة وأمتلكت بلادنا والحقت بنا الخسارة وذلك بدون
سبب من الاسباب فكفى الذي فعلته أيها الملك المهاب
وقد بلغت منا قصداك فلا أنت تقبل يدي ولا أنا أقبل

يدك فلما سمع هذا المقال خرج عن دائرة الاعتدال وقال
يانذل بنى قيس ومن هو أذل من التيس أني ما أتيت
من بلادى بهذا الجمع المتزايد الا لاجعل زمام الدنيا في
قبضة ملك واحد ثم بعد هذا الكلام صاح على الاعوان
والخدم بصوت كالرعد في الغمام يا ويلكم اقبضوا على هذا
الشيخ الكبير ومن معه من بنى قيس الطناجير وقيدوهم
باجنازير فامثلوا أمرة في الحال وقيدوا ربيعه وباقي الرجال
وبعد أن قيدوه وأوثقوه أمر الملك بشنقه فشنقوه وهكذا
انتهت حياته وانقضت أيامه وساعاته وبقي معلقا ثلاثة أيام
حتى جاء نائبه الامير زيد الى الشام فغسله وكفنه ثم وراه
التراب ودفنه ثم جاء في باقي الرجال وأرادوا أن يفعلوا
بهم مثل تلك الفعل فانهزم الامير مرة من بين أيدي
الفرسان وتقدم الى عند الملك تبع حسان وقال الامان
ياملك الزمان نحن الآن عبيدك وطوع يدك وجميع
أمرنا راجعة اليك فاعفوا عنا فقد صرت لنا ملك ثم انه ابعده

هذا الحديث والكلام أشار يخاطبه بهذا الشعر والنظام:

مقالات لمرة في بيوت صروف الدهر قد جارت علينا
الايامير تبع يامسمى أيا ملك الورى في العالمينا
انا في جيرتك يافخر قومك أجبرنا لاتشفى الضد فينا
قتلت أخي ربيعه يامكنى وأسقيت العدااء والحاسديننا
وتقتلنى أنا يا أمير بعده تهد رجائنا طول السنينا
ونحن ياملك حكام مثلك على كل القبائل حاكميننا
فليس بواجب تهدم بيوتي ولا هذه فعال الماجديننا
وقد حاربنا وحكمت فينا ونحن اليوم في حكمك رضىنا
وبعد اليوم صرنا لك رعايا على طول الليالي والسنينا
وندفع كل عام عشر المال كله فاحكم ماتريد اليوم فينا

(قال الراوي) فلما سمع تبع شعره ونظامه وعرف قصده
ومرامه عفى عنه وأعطاه الامان وكذلك صفح عن باقى

الامراء والاعيان وجعلهم من جملة الرعايا والخدام
يدفعون له الخراج في كل عام وقال لمرة ياسيد القوم قد
صممت أن اتخذ مدينة كرسي مملكتي بعد هذا اليوم فسر
أنت وأهلك من هذه الديار وتفرقوا في سائر الاقطار
وكونوا لاوامري طائعين ولحكمي خاضعين سامعين.
ثم أنه قسمهم الى عدة فرق وأقام على كل فرقة ملك من
سادات بنى قيس الاعيان فجعل الامير مرة على الفرقة
الاولى وأمرة أن يسكن مع قومه في نواحي بيروت
وبعلبك والبقاع وجعل الامير عدنان على الفرقة الثالثة
وأمره أن يقيم في بلاد العراق وتلك المنازل والافاق
زكان الملك تبع قد شئت بنو قيس بهذه النوسيلة خوفا من
أن يقع في مكيدة أو حيلة ثم أنه التفت على الامير مرة
وباقى السادات وأشار اليهم بهذه الايات:

يقول اتبع المدعو اليماني أبا مرة لكم منى الامان

الا يا قيس روحوا لالتخافوا فقد سدت على أهل الزمان
ريعه أنت يا مرة بداله كبير القوم من قاص ودان
وأولادهم لهم موضع أبوهم وأنت أكبرهم فيهم تعاني
ولكن خلق لا تسكنوها وكونوا في أمان مدى الزمان

فلما فرغ تبع من كلامه وشعره ونظامه أجابت بنو قيس
أمره بالامتنال وتفرقت جموعهم في البراري والتلال وهم
يكون على ماجرى عليهم وما وصل من الأذى إليهم
كانوا في أرغد عيش وأهناء وفي عز وجاه كلمتهم بين الناس
مسموعه وروايتهم فوق هام المجد مرفوعة لا يعرفون لهم
والكدر ولا يأخذهم قلق ولا ضجر إلى أن أصابتهم البلية
وحلت بهم تلك الرزية فبكوا على تفرق بعضهم البعض
وتشتتهم في أقطار الأرض .

ومن غريب الاتفاق المستحق التسطير في الأوراق هو

ما جرى للاربعة أخوة الذين اشتهروا من بنى قيس
بالحمية والنخوة وذلك أنه كان لزوجته الامير ربيعة المذكورة
والد كليب والزير الفارس المشهور أربعة أخوة من الذكور
وهم جوشن وناجد وجودر والامير منجد الاسد الغضنفر
وكانوا من أجود الناس قد اتصفوا بالشجاعة وقوة البأس.

فلما رأوا أفعال تبع الشنيعة وكيف أنه قتل صهرهم ربيعة
ساءهم ذلك الامر وتوقد قلبهم من الغيظ بلهيب الجمر ولكنهم
أخفوا الكمد وأظهروا الصبر والجلد فحملوا بيوتهم وعيائهم
وساقوا غنمهم وجمائهم وجدوا في قطع البراري والاكام
حتى وصلوا بلاد الشام فنزلوا بقرب صيوان تبع حسان
فقال لهم من تكونوا من العربان فقال له ناجد أعلم أيها
السيد الماجد أننا من خيار العرب أصحاب الحسب
والنسب وكان الامير ربيعة متزوجا بأختنا جميلة وكنا على
زمانه في نعم جزيله والان قد أمسينا في ذل وهوان

ليس لنا قدر ولا شان وقد قصدناك وأتينا اليك وجعلنا
اعتمادنا بعد الله عليك لعلك ترحمنا وترثي لحالنا وتبلغنا غاية
آمالنا وتجعلنا من جملة الاعوان والعبيد والغلمان
فتستقيم أمورنا بعد اذل والكدر ونحظى بالشرف الرفيع
وبلوغ الوطن فأعجبه كلامهم وبلغهم مرامهم وجعلهم من
جملة وزرائه وأكابر أمرائه وكان يستبشرهم في أكثر
الافاقات ويفضلهم على الرؤساء والسادات وكانوا يترقبون
الفرص ليأخذوا بالثأر ويزيلوا عن قلوبهم الغصص ولما بلغ تبع
الغايه دخل الى مدينة الشام ونزل بالسرايه فطاعته العباد
وخضعت له جميع البلال وشاع ذكره في الاقطار وتحدث به
الملوك الكبار واستمر على هذه الحاله مدة ثلاثين سنه
تهاديه الملوك الاكاسرة وتهابه الملوك النقياصرة.

وكان قد بنى له قصرا مرتفع البنيان مشيد الاركان
وجعل أبوابه من الفضة والذهب ورصع حيطانه بالجواهر

والدرر فكان من عجائب الزمان وذلك لما فيه من
التحف الحسان التي تدهش النواظر وتحير العقول والبصائر

فاتفق ذات يوم بينما هو جالس في الديوان ومن حوله
الأكابر والاعيان وهم يتحدثون بذكر نساء العرب
اللواتي اشتهرن بالفضل والادب والحسن والجمال
واللطف والكمال ان قال بعض الوزراء انه لا يوجد في هذا
الزمان بين بنات العربات في المحاسن والاصاف
البديعة أجمل من الجليلة ابنة أخي ربيعة وأخذ الوزير
يطيب في أوصافها وآدابها وأطافها ثم قال في آخر الكلام
ان هذه الصبية التي كأنها البدر التمام مخطوبة لابن عمها
الامير كليب ومراده ان يتزوج بها في هذه الايام فهنئنا لمن
كانت هذه زوجته وقرينته وحيبته.

فلما سمع تبع بذكرها وأنها من أجمل بنات عصرها اشتد
غرامه بها وتعلق قلبه بحبها وكتب الى أبيها بالخال يأمره ان

يرسل له الجلييلة بدون اهمال لان مراده أن يتزوج بها
ويكون صهره وبهذه الوسيلة يعلو بين الناس قدره ثم ختم
الكتاب بهذا الشعر والنظام وبه يتهده بالانتقام ان لم يتمثل
الي هذا الكلام وأشار يقول:

يقول اتبع الملك اليماني ملكت الارض والسبع البحار
ألا يا غايا منى لمرة على فرس تشابه ريح ساري
بحال وصول مكتوبي اليه فأعلمه بحالي وانتظاري
أيا مرة فأرسل لي الجلييلة بلا اهمال من بين السراري
سمعت بأنها زينة مليحة ويخجل من حسنها ضوء النهار
وحين سمعت بها طار عقلي وقل اليوم منى اصطباري
أريد تكون باكر وسط قصري وتتسلطن على كل
الجواري

وأرسل جزية السبع المواضي خزين في صناديق كبار
وأحضر ياملك مرة عندي وأخضع الي بذل وانكسار

وأدخل على الجليدة وسط قصرى وأمتع بها وأظفى
لنارى
وأن كانت كما وصفوا وقالوا سامضى الليل معها مع
نهارى
وأعطيك البقاع الى بعلبك وأرفع لك مقاما فى جوارى
وان ثم تمتل قولى وأمرى ترانى جئكم مثل
الضوارى
وأحى جمعكم فى حد سيفى وأنهب مالكم وأنال ثارى

ثم أمر تبع وزيره نبهان أن يركب فى جماعة من
الفرسان ويقصد تلك القبيلة ويسلم الكتاب الى مرة ويأتيه
بالجليدة فامتثل أمره وسار وجد فى قطع القفار حتى وصل
الى تلك الديار فرأى القوم فى سرور وأفراح وشرب
مدام وأنشراح لأنهم كانوا مهتمين فى تلك الايام فى جواز
كليب بالجليدة بدر التمام. فلما سمع مره بقدوم وزير تبع خفق

قلبه من شدة الخوف والفرع فنهض في الحال واستقبله ثم
أتى به الي الخيام واحترمه غاية الاحترام وأمر الخدام ان
يأتوا بسفرة طعام وآنية المدام فامثلوا الي أمره كما ذكر وبعد
أن أكلوا وشربوا ولذوا وطربوا قال الامير مرة الى الوزير
أعلم أيها السيد الخطير لقد زاد سرورنا الآن وتزينت
بقدومك الأوطان ثم سألته عن سبب زيارته وما هي غاية
حضرته فقال أتيته بكتاب من تبع ملك الاعارب وبه يطلب
ابنتك امرأة له وأنت تعلم بطش هذا الجبار وفعله فقد قال المثل
لاتعاند من اذا قال فعل وأنا والله في غاية الحياء والحجل
وليس لي ارادة بهذا العمل ولكنني أتيته في زي رسول
لأعلمك بالخبر اليقين وليس على الرسول الا البلاغ المبين ثم
أخرج الكتاب وسلمه أياه ففتحه الأمير مرة وقرأه ولما وقف
على حقيقة فحواه انقطعت أمعائه وضل عقله وتاه لانه اذا
أبى وامتنع يقتله الملك تبع وأن أجابه الى ما يطلب يصير
معيرة بين قبائل العرب وتشتمه الناس وتزدريه حيث كان

قد أنعم بزواج ابنته الى كليب ابن أخيه فنهار وحار وأخذ يتأمل في عاقبة هذا العمل فلم يجد سوى الخضوع والامتثال لأوامر تبع في الحال خوفا من العواقب وحلول النوائب فالتفت الى الوزير نبهان وقال له أمام الامراء والاعيان ومن حضر في ذلك المكان لقد سوى أمره ورضاه لانه الملك الأكبر وبمصاهرته نحظى على الشرف الرفيع والخط الاوفر وبعد ثلاثة أيام يكمل جهاز بالتمام فنضعه بالصناديق ونحملة على ظهور الجمال مع باقي الامتعة والأحمال وتركب الجليلة في هودجها وتسير أمام الفرسان وتذهب أنت معنا الى عند الملك تبع حسان فانشرح صدر الوزير بهذا الكلام وأيقن بالنجاح وبلوغ المراد والحصول على الخلع والانعام فبات تلك الليلة وهو فرحان. (قال الراوي) فهذا ما كان من الوزير نبهان وأما الأمير مره فانه استدعى بكليب سرا وقص ذلك الحديث عليه وقال أعلم يا ثمة فؤادي ومن هو عندي أعز من أولادي أن الضرورة

أحوجتني الي ذلك خوفا من الوقوع في المهالك وقد
اعلمتك بما جرى وتجدد فما رأيك أيها البطل ألا مجد فلما سمع
هذا الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام وقال أرجو
أن تمهل النوزير ثلاثة أيام عن المسير حتى أنظر في هذا
الامر العسير. (قال الراوي) وكان لكليب صديق يتمنى
له النجاح والتوفيق يدعى العابد نعمان وكان كثيرا ما
يوعده بالخير والاحسان فقصده تلك الليلة وأخبره بما جرى
وما كان من أمر الملك تبع حسان فقال له أبشر بالخير يا
نور العين فان الرأي عندي أن تجهز مائه صندوق
يكون كل واحد بطبقتين في الطبقة الواحدة تضع فارسا
من أبطال المكافحة والمجادة وفي الثانية جهاز الجليلة وانت
تكون مهرجا لها أمام سادات الجليلة وبهذه الوسيلة تتم
الحيلة وتنال المراد من رب العباد. وأعلم لاختفاء أنه عند
وصولك الى هنالك تجد سلسلة من النحاس الاصفر معلقة
فوق الباب الاكبر وهي مرصدة من سحر هذا الزمان

هلاك من أراد الضرر للتبع حسن فتقع عليه بالحال
وتذيقه النوبال فخذ لنفسك الحذر وأتكل على الله آله البشر
فهو يحفظك ويحميك وينصرك على جميع أعدائك فإذا بلغت
الارادة وفزت بالسعادة بنيت مسجد برسم العبادة وخذ لك
هذا السيف الخشب به تنال القصد والارب وأشار يقول:
قال عمران ياأبن ربيعة أتاك الخير وسعدك ثم
روح لقومك بشرهم وقول لعمك وابن العم
وبشر المسمى همام بأن الشمل اليوم يلتم
وقول السعد أتى نقيس وستوفي ثارك والدم
تأخذ ثارك من التبع وتسقيه بكأس الخمر والسم
هذا السيف تقلد فيه وفي كفك ياأمير يتم
وألبس قموعة سموطه تبقى تضرب فيه بعزم
وحط بعينك عرق الشبا تبقى أحمر مثل الدم
حط عروسك في هودج وقودم بها زمام وزم
وسوى عرضك فشمرها احذر منه في حقك ثم

وان واحد قال لك ماتكون فأعجل وأعمل حالك صم
وألعاب وارقص واتهرج واحفظ ما يخرج من الفم
علمت مرة والفرسان باكر لعندي تلتهم
وان دبرت هل رأي من خالف قولي يندم
وسير لعنده بالابطال قبل ما يغضب ونسم
سلسلة معمولة هنالك يعلم السحر مع الظلم
تبين كل ساعة أعداء احذر منها لا تعدم
طيب قلبك لا تغتاظ من ذات العايق لا تهتم
سألت المولى ينصركم ويزيل عنكم كل اثم

فلما فرغ العابد من كلامه وعده كلييب بيناء المقام على
أحسن نظام ثم رجع على الاثر واعلم عمه بذلك الخبر وقال
له يقتضي الان أن تبادر بإتمام هذا الشأن وننتخب مائة
من الفرسان ونضعهم في الصناديق على ظهور الجمال
مع باقي الجهاز والاموال في أمتعته وأحمال على عيون

الرجال ويكونوا جميعا بالاسلحة الكاملة والعدد الشاملة
وتركب الجليده هودجها وهي مزينه بالجواهر ويكون في
صحبته جماعة من السراري يدقون أمامها بالدقوف
والمزامير وأنا أجعل نفسي مهرجا لحضرته وقائد لزماني ناقتها
وندخل على تبع بهذه الوسيلة فان تمت عليه الحيلة نلت
المرام وأخذت ابنة عمي بحد الحسام وأكون قد بلغت
أربي وأخذت بثأر أبي ومتى قتل الملك تبع يقع في قلب
قومه الخوف والفرع.

(قال الراوي) فاستصوب الأمير مرة كلام كليب وعلم انه
سينال المرام بدون أدنى شك ولا ريب فقال لقد نطق
بالصواب وأشرت بالأمر الذي لا يعاب فافعل ما تريد أيها
الفارس الصنديد.

وكان قد أمهل الوزير ثلاثة أيام حتى تتم هذه الأمور

والاحكام وقد اطلع مرة أبنته على ماتقدم ذكره وعلى قصد
كليب فعله فلما كان يوم الارتحال انتخب كليب مائة من
الابطال وقص على مسامعهم واقعة الحال ثم وضعهم في
صناديق الاحمال وحملوهم على ظهور الجمال وكان من
جملتهم الامير حساس وجماعة من عظماء الناس.

وركبت في هودجها الجليله وركب أيضا الوزير والامير مرة
وجماعة من فرسان القبيله وتقلد كليب بالسيف من
تحت الثياب ولبس فروا من جلود الثعالب والذئاب
وأرخی له سوائف طوال من أذئاب الكدش والبيغال
وركب على قطعة من قصب وحمل دبوسا من خشب
وكان يقول بزمام ناقة الجليله أمام فرسان القبيله.

وكانت السراري تدق أمام الجليله بالمزاهر والدفوف
والفرسان تلعب بالرماح والسيوف ومازالوا يقطعون

البراري والاكام مدة ثلاثة أيام حتى أقتربوا من مدينة
النشام فنزلوا هناك ونصبوا الخيام ورفعوا الرايات.

الجزء الثاني

والاعلام وأرسلوا رجلا من أكابر العمد لكي يعلم تبع
بوصوهم الى البلد فسار على الاثر وأعلم الملك بذلك الخبر
ففرح واستبشر وزال منه القلق والضجر واحضر الرمال
وكان عنده رمال شاطر فحضر بين يديه فقال له اتبع اضرب
لي تحت الرمل فجلس وضرب الرمل فرأى جميع ما
فعلته بنو قيس وقال الصناديق فيها رجال وأشار يقول:

قال الفتى الرمال صادق سقاتي الدهر كاسات الماررا
تبعث الرمل وأنا كنت طفلا وقبلته يمين مع يسارا
ولأحد مثلي بالرمل عارف ولا غيري يعرف كيف سارا

أحط الرمل بأربع أمهات وولد الصغارا مع الكبارا
الا يا أمير تبع ياملكننا يا عز العذارى يوم غارا
أقول لك عن التقادير والجنايب وتحسب أن جابوا لك تجارا
جوا يملك هم يقتلوك ويدعوا القصر بعدك لشارا
صناديق التي لك حملوها بها ابطال بالعدد أمارا
يريدون قتلك يملك عاجل هم ثار عليك وأي ثارا
هذا قد أعلمك يا مسمى وبالدينيا يشيع لها خبارا

(قال الراوي) فلما فرغ من كلامه وتبع يسمع نظامه
نادى على العبيد فحضروا مائة عبد وقال لهم روحوا الى
العمارة وكل صندوق تلاقوا فيه رجال اكسروه فانطلق العبيد
الى العمارة وهم أسعد وسعيد وبقية لالمائة عبد هذا في يده
عصا والاخر في يده بلطه والثاني في يده دبوس حديد ولما
وصلوا الى العمارة ابتدأوا بكسر الصناديق وكسروا الاول
والثاني الى العشرة فصاحت الجليدة يا عبيد السوء لماذا

تكسروا صنادىقي فقال لها العبيد الرمال قال ان في هذه
الصناديق رجلا فتقمت وفتحت لمة عشرة صناديق فما
وجدوا فيها غير جهازها والقماش فقالوا ان الرمال كذاب
وعادوا يردون الجواب يقع كلام ثم يرجع الحديث الى
عجوز يقال لها حجلان وكانت رماله وهي التي علمت
الرمال بان لها جميع ما فعلوه بنى قيس وتباين لها ان
الصناديق طبقتين في السفلى رجال وفي العليا قماش
فافتكرت ساعه من الزمان وضربت ثاني رمل رأت بنى
قيس يقتلون التبع لاحاله فقالت خيرا لي أخذ الوجه
الابيض عند بنى قيس لقامت أخذت عصاتها بيدها وسارت
الى ان وصلت عند بنى قيس وهم في ارتباك عظيم
فقالت لهم انا اتيت من عند تبع فقالوا لها وما قصدك
قالت قصدي كشف الصناديق لان الرمال قال ان فيها
رجال ففتحوا لها أول صندوق والثاني فقالت أني أرى
الصناديق من الظاهر ذات عمق ومن الداخل بخلاف ذلك

وضربت على الطبقة السفلى فلما رأوها عارفه قالوا
استري على ماستره الله وفتحوا صندوق واعطوها ثلاث
بدلات حرير فقالت من الان وصاعدا أساعدكم على
قتل تبع ثم انالعجوز طلعت الى عند تبع والرمال بين يديه
وعمال يضرب الرمل لان العبيد أخبروا تبع بما شاهدوا
وكذلك العجوز أخبرته كما أخبروه العبيد فقال تبع يا عجوز
الرمال كذاب قالت أن الرمال عمي من أكل الثوم
والبصل فأمر الملك بضرب عنقه وراحت روحه الى
الوادي الاحمر وتقدمت العجوز الى الملك وأشارت
توصف حسن الجليله وما اعطاها الله من الحسن
والجمال:

تقول العجوز التي شاهدت مليحه تريخ العنا والصدود
يأمر تبع يهنيك فيها السعد وأقبل الخير لك والسعود
أتولك بنى قيس أهل السماح وجابوا لك الخيل ثم انقود

وجاوبا الجليله لشخصك حليله بخدين حمر وعينين سود
وقامة طويله كعود القنا فوق الكتاف ترخي الجعود
بشعر طويل وشعر كحيل بلا جرميل تصيد الاسود
حواجب كما قوس ترمي الهزوم وذات حزام الذهب على
النهود

وذات شفاف رقاق نظاف عقايل طرايف تزيل النكود
ولها وجه كبدر بليله قدر وجنات حمر كما الورود
وجسم رقيق ورقيق رقيق وسنان لؤلؤ سبت الورود
لها عنق كعنق الغزال وطوق الذهب يوقد وقود
اكتاف العاج مثل الزجاج والنقش مواج فوق الزنود
وكفين أطرى من الياسمين من قد حواها ينال السعود
وصدر كاللوح خلقه الاله وقد زين الصدر جوز النهود
وأعطاف وأرداف مثل العجين خلق الاله مهيمن ودود
أما الحجول تزيل العقول حب الطرف يطفئ الصدود
أما القلائد مناسل ذهب من الراس مكعوب مثل البنود

وملبوسها مليح حرير مقصب مطيب بمسك وزهر وعود
وان شافها رجل عابد فقيه غدا العقل منه شارل شرو
قد زينوا بنى قيس لك عروسا تجلى لاجلك كل هم وكود
للملك حقا قد أحضروا مليحه حلالها يزيل النقود
فأرسل وراها وخلقى المحال واسمع كلامي واجلي
الصدود
وادخل على بنت مرة وكن لطيفا بقطف ثمار النهود

(قال الراوي) فلما فرغت العجوز من كلامها والملك تبع
يسمع نظامها فراح عقله من وصف العجوز ونادى على
الوزير يأمره أن يحضر الجليله بالتبجيل والتكريم وخلفها
السراري بمكوب عظيم فدخلت على تبع وكان جالسا
على كرسي المملكه وعلى راسه تاج من الذهب
الفاجر مرصعا بأنواع الجواهر فسلمت عليه ووقفت بين يديه
فرر عليها السلام وآنسها بالحديث والكلام وقال لها أهلا وسهلا

بالسيدة الكريمة والدرة التي ليس يقدر لها قيمه ثم اجلسها
بمكان قريب منه وترحب بها غاية الترحيب وقد انبهر من
فرط جمالها وعدوثة الفاظها وفصاحة مقالها لانها كانت متصفه
بالادب ومن أجمل نساء العرب فأخذ الملك يسألها عن
أهلها وعشيرتها فقالت له بكلام الدلال أعلم أيها الملك المفضل
أن اتصالي بجانبك وتشريفني بساحة بابك جعل تقبيلتنا اسما
كبيراً وذكرنا بين الناس شهيراً كيف لا وانت ملك هذا
الزمان والجوهرة الثمينه في هذا الاوان الله يحفظك لنا
ويبقىك وينصرلك على جميع حسادك وأعاديك فان كنت
تعظم شأنى وترفع مرتبتي على اقرانى لاتترك ابى
وأعمامى وسادات أهلى واقوامى بعيد عن فضلك
واحسانك لانهم قد صاروا من جملة أتباعك وأعوانك فأمر
هم بمكان ينزلون فيه بصناديق جهازى وباقي الاحمال
تحضر الى هنا في الحال لانها مملوءة من التحف والجواهر
والقماش ومع كل ذلك فنحن أولاد عم .

(قال الراوي) فأمر تبع وزيره نبهان يذهب في جماعه
من الاعيان ويعد الى الامير مرة أبي الجليله ومن معه
من بنى عمه قصرا من القصور الجميله وأن ينزل بقيه
الفرسان في غير مكان ويقدمون لهم الطعام والشراب
وما يلزم من الثياب فأجاب الوزير بالسمع والطاعة وفعل
كما أمر مولاه من تلك الساعه وبعد أن نفذ الوزير الامر
ووضع الصناديق في داخل القصر التفت الملك تبع الى مرة
وقال له يا عمي مابقي من بعدي الا أنت من مقامي
فان غبت أنا تكون أنت حاكم مكاني ثم أنه قرب به اليه
وأخذ يترحب بالجليله ويقول:

يقول التبع اليمن الكبارى أنا يا فيس زال الهم عنى
الا يا مرحبا يا أمير مرة أنا منكم وأتم اليوم منى
ترى لولا الجليله لى تعاتب وجابت لى الحسب والنسب

منى

فما علمت أننا يمنا وقيسا بنى جدين أخوين بطنى
فلا تعتب علي بقت أخيك ما قد صار ما بالعلم منى

(قال الراوي) فلما فرغ تبع من كلامه والحاضرين
يسمعون نظامه أخذوا بالكأس والطاس وقال للجماعة حلت
البركة فيكم فقعدت تشرب معه المدام وشرب الملك تبع الى
أن سكر وغنت البنات ورقصت فقال تبع للجليلة ياسيدة
الملاح وكوكب الصباح قد أجرينا المطلوب طبق المرغوب فهل
لك غرض آخر تقضيه حتى نفعل ما ترغبينه وتشتهيه وكانت
الجليلة تخول أفكارها لاجل أن تستدعي كليب الى عندها
وقد سمعت صوته عند القصر وهو يصرخ من جوانب القصر
لانه راكب على فرسه انقصب ويبد لبوس من الخشب
وكان يرقص في البستان وينتقل من مكان الى
مكان فقالت نعم ايها السيد الماجد باقى لي غرض واحد

وهو ان لي نديم اسمه قشمر لا يوجد مثله بين البشر حلو
الصفات سريع الحركات يضحك الاحجار بأفعاله ويزيل الهموم
بغرائب أعماله قد أحضرته هذه المرة في خدمتي ليسليني
عند حزني فان حسن لديك أمر أن يدخل اليك
ويلعب بين يديك فيزداد سرورك وانشراحك وتزول
احزانك فضحك من كلامها واجابها الى مرامها وأمر
الخدام بالدخول ليري طرفا من أعماله وعند وصوله الى
باب الايوان نظر السلسلة التي ذكرها العابد نعمان فامتنع
عن الدخول وأخذ يتكلم بكلام مجهول ويقول ما هذه الخيلة
التي أراها وأنا خائف من شرها وأنها فقال ادخل وما عليك
من بأس فما هي الا سلسلة من نحاس فأبى وامتنع وهو
يظهر على نفسه الخوف والفرع ولما طال المطال التفتت الجليده
الى تبع في الحال وقالت له بكلام الدلال أعلم أن قشمر
من أخوف البشر فان حسن لديك ولم يصعد عليك أمر
الخدام والحجاب برفع السلسلة عن الباب فرفعوها واتوا

بقشمر اليه فلما صار بين يديه سلم عليه ودعا له بطول العمر
والبقاء ودوام العز والارتقاء وأخذ كليب يمزح أمامه ويلعب
بسيفه قدامة وهو في تلك الثياب التي ذكرناها والصفه
المضحكة التي وصفناها فكان تارة يحلق عينيه ويرقص
الأرض بيديه ورجليه وتارة يقول أين الفرسات الفحول
وأين أبو عطبول وأحيانا يرقص ويضحك بلا سبب وهو
راكب الفرس القصب ويسوقها بذلك الدبوس الخشب كان
من أعجب العجب فانداهش تبع من أعماله واستغرب
من أحواله وأقواله.

ثم قال للجليله والله يا كاملة المعاني وشريكة عمري
وزماني لقد أصبت في منادمة هذا البهلول الذي يدهش
بأفعاله العقول فانه من كثرة هزله وخفة عقله جميل الصورة
فصيح الخطاب سريع الكلام والجواب فقالت له صدقت فيما
نطقت فاني لم أر رجلا مثله بين الانام في الزلاقه وفصاحة

انكلام ومتى بقي عندك عشرة أيام يقوم بمناذمتك حق
القيام ويدعوك مشروح الخاطر على طول الزمان ثم قال
قشمر وهو كليب لل تبع حسان أن كنت تريد أن تطرب
الآن فأمر سيدتي الجليلة أن تغيك بأبيات من الشعر
فإن صوتها مليح ونفطها فصيح فقال لها هل تحسنين الغناء
ياسيدة النساء فقالت أي وإيك فإن كنت تريد مني أن
أغنيك وأكربك وأسليك فأمر قشمر أن يقفل الباب ثملاً
يسمعنا أحد الخدام والحجاب فاستصوب كلامها الملك تبع
وامر قشمر أن يقفل باب المخدع فقفله وعال بالعجل وقد
أيقن ببلوغ الامل وأنشدت تقول من فؤاد متبول:

لقد قالت الجليلة بنت مرة شربت الخمر ما بين الامارة
شربنا الخمر في كاسات جوهر فزال العقل واصبحنا سكاره
بحضرة تبع الملك المسمى بحسان اذا ماشن غارة
وقد أمسيت في قبضة يديه ومن حبه شعل قلبي ناره

الايا حارس البستان صنه وان فرطت الطير طارة

(قال الراوي) فلما انتهت الجليله من هذا الشعر والنظام
زان بالتبع الوجد والغرام وسكر من غير مدام وقال مثلك
من تكون من النساء فقد زان سرورنا في هذا المساء
فلما رآه زان به الطرب وأخذ يرقص أمامه ويلعب أمام الملك
الاكبر فقال أعطيني أذن حسامك وأنا لعب به أمامك فقالت
له الجليله بحياتي عليك أن تبلغه الارب وتعطيه ماطلب
فانك ترى منه العجب فأمره أن يدخل الى قاعة السلاح
فياخذ السيف ويرجع بالعجل فأجاب كليب وامثل وكانت
الجليله أومت اليه ان يسرع في العمل وعند دخوله الى
ذلك المخدع وجد سلاح تبع فلبس الدارع وتقلد بالسيف
ووضع الخوذة على رأسه وخرج بالعجل كأنه قلة من القتل
أو قطعة فصلت من جبل بعد أن فتح صناديق الاحمال
وأخرج الفرسان والابطال فبقوا في ساحة الدار وقاموا له

بالانتظار وكان قد سل الحسام من غمده وهو يهزه في
يديه ثم دخل على الملك وقد أحمرت عيناه وتذكر أباه فصال
وجال ولعب بالسيف كما تلعب الابطال في ساحة القتال
وبعده تقدم وهجم عليه فعرفه حينئذ الملك تبع وقد انقطع من
الخوف وأيقن بالهالك والقلعان فقال بالله عليك ياسيد
الشجعان وفارس الميدان أن تعفو عني وتسمح عما فرط
منى فقال لابد من قتلك كما قتلت أبي وأكون قد
أخذت ثأري وبلغت أربي فقال تبع إذا كان لابد لك
من هذا الشان فأمهلى ساعة من الزمن حتى
أفيدك عن جميع الامور والاحوال التي تحدث الى آخر
الاجيال فقد اتضح لي الحال ووقعت في شرك العقال ثم
أنشد وقال:

الملحمة الكبرى للتبع حسان

يقول اتبع الملك اليماني هيب النار تشعل في فؤادي
أمير كليب يافارس ربيعه وياحامي النساء يوم الطراد
أريد اليوم أن أعلمك شيئا تتعرف حال أخبار العباد
فموسى كان في الدنيا نبيا له التوراة أعطت للرشاد
وداود النبي قد جاء بعده يبشر بالزبور أهل الفساد
وعيسى ابن مريم جاء أيضا بانجيل الخلاص لكي ينادي
نبي لم يكن في الناس مثله لأن الله اختاره يفادي
فكم ميت بكلمته أقامه وسقيم شفاه من الأمراض
وعندي قد تبين بالملاحم أنك قاتلي دوت العباد
وبعده شاعر تنزل عليكم وتفتن بين قيس في البلاد
وأنت برمح حساس ستطعن وعبدى يذبحك بين الجماد
وتكتب بدمائك على البلاطه لمن بعدك تتشتت
الأعادي
ويأتي أبو ليلى المهلهل فيصلح الحرب في كل البلاد
ويقهر كل جبار عنيد يضرب بالسيف في يوم الجلال

وتأخذ للجليلة لك قرينة وتحظى بالمسرة والمراد
ويظهر لك غلام بعد موتك يسمى الجرو قهار الأعادي
ويقتل الى حساس خاله وأما الزير تقتله الأعادي
وسيف ذو يزن بعدك سيظهر وتصحبه السعادة في العباد

ويبقى ملكه سبعون عاما وبعد ذلك يطوى في النواها
ويظهر له ولد يدعى بدمر شديد اليأس مرفوع العمان
فيملك في بلاد الشام بعده يجيب الماء من اقصى البلاد
وبعد يظهر المدعو بعنتر يهين الضد في يوم الطراد
وبعد يظهر الهازي محمد يقيم الدين ما بين العباد
واصحابه معه عشرة كواامل كرام الناس سادات البلاد
وأبو بكر وسعد مع سعيد وطلحة والزبير ابن الجياد
وعثمان مع عمر وعلي وعامر مع حسين أهل الرشاش
يموت الهاشمي ويصير خلف على الأحكام بعده عمر بالعباد
أبو بكر يموت بلسع حية وبعده عمر يقتل بالطراد

علي بالسيف يردية ابن ملجم يتيما انتشى بين الولاد
ولا يعرف له قبر محقق على وجه الثرى بين العباد
وتختلف الصحابة على الحكومة ويحكمها حسين بالبوادي
وبعده بنى العباس تحكم سنين كثيرة بين العباد
وبعده الخوارج سوف تظهر فواطمة الفواحش والعناد
يقيموا النشرف كل الأراضي ويملوا الأرض طرا بالفساد
وتظهر من بالد النشرف عصابة فيقصد جيشها غرب البلاد
هلال وعامر مع آل قيس يزيد وحرب حمير مع أيا
حسن أمير فخر البرايا وبعد ديار قهار الأعادي
وأبو زيد ابن عمه ليث أروع شديد البأس في يوم الطراد
يطوفون البلاد فيملكوها ويسبون العدا أهل العناد
ويمحو العجم مع كل طاغ بأرماع وأسياف حداد
وقبرص والجزائر يملكوها وبدريس الخزاعي والأعادي
شبيب التبعي بالشام يقتل وتترل جثته فوق الجماد
وسركيس بن تاذب سوف يقتل بسيف دياب قهار

الأعادي

كذا فرمند مع مصر العدية ستخرب دورها بين البلاد
وبعده نظهر الأشرطان ظالم خبيث الأصل من قوم شداد
بنو أيوب تظهر بعد منه يقيمون الذين من بعد الفساد
ويظهر ابن عثمان المساعد بأرض الشرق ويحكم بالعباد
ملوك الأرض تخشى من لقاهم لأن جيوشهم مثل الجرار

عدا ملوكهم عشرة عشرة وتسعة بعدهم دوت ازدياد
ويظهر ضده المهدي سريعا يثير الفتن والحرب في كل البلاد
طويل الجسم ذو همة عالية له اسمين من ظاهر وبادي
يقيم السيف في الأقطار عمدا ويجري الدم في كل البوارج
ويظهر فارسا يدعى قطيعه فعشر سنين يظلم العباد
ويظهر بعده الدجا حقا فتتبعه الثورى أهل الفساد
يطوب الأرض من شرق وغرب ويفعل معجزات في البلاد
ويظهر ضد المهدي سريعا ويسطع نوره في كل وادي

فهو عيسى المسمى ابن مريم فيقتلك ويملك في البلاد
وبعد دابة تظهر سريعا فتفعل معجزات في البلاد
ونار من عدن تظهر وتسطيع فتشكو الناس من هول النكد
وبعد الشمس تظهر من مغيب وتزداد الخلائق في انفساد
ويأجوج ومأجوج جميعا تحيط رجا لهم كل البلاد
فلا نهر الفرات لهم يروى ولا سيعون ولا الدجلة المراء
ويغشى الأرض موتا ياكلها وجوع وقتل في كل العباد
ونيران تعم الأرض طرا على أعلى الجبال وفي كل واد
وبعد يغلق باب المراسم وباب الشر فتح باقتصاد
فلا يصعد ولا يأتي جواب فذالك الوقت يحترق العباد
وبعد يظهر من جهنم وينفخ ريح من أقصى البلاد
يموت الخلق منه ليس يبقى سوى الرحمن خالق العباد
وبعد يظهر الديان حقا اله العرش ديان العباد
فعندي الجفر قد أخبر مؤكد بما أخبرتكم دون ازدياد
واسمع يا أمير كليب منى حقائق قصتي وافهم مرادي

ولا تفرح عن حالي وضعفي اجرني يا ملك وأطلق
قيادي

وأعلم يا أمير اني عتيقك مدى عمري الى يوم الميعاد
(قال الراوي) ولما فرغ الملك تبع من هذه الملحمه وسمع
كليب ما فيها من الاخبار المتقدمة والمتأخرة تعجب غاية
العجب وقال لست أعفو عن قطع رأسك وأخمد انفسك
لأنك افتريت وظلمت وتعديت ثم أجابه بهذا القصيد على
سبيل التهكم والتهديد:

يقول كليب قهار الأعادي كلا أشد من ضرب الهادي
أنا قد صرت هذا اليوم حاكم أتاني السعد مع نيل المراء
أيا تبع ايننا قد جيت عاجل قتلت أبي وخربت البلاد
فما أبقيت قيمة للأماره وقد البستهم ثوب السواد
هتكت الأرض ياتبع بفعلك وصيرت الأنام لك أعادي
جعلت رجالن تشبه نسانا وأذلت الأماره في البلاد

فوالله ثم والله ثم والله اله خائق كل البوادي
فلست تراجع عن قطع رأسك ولو ملكتنى كل البوادي

(قال الراوي) فلما فرغ الأمير كليب من كلامه وفهم تبع
فحوى قصده ومرامه قال بالله عليك أيها السيد المحترم أنت
تعفو عن وتجعلني من الخدام فقال كليب لا بد من قطع
رأسك يامهات ولكن أسألك لماذا قتلتني غدا وما
بالميدان فقال تبع إذا كان لا بد من ذلك يا فارس المعارك
فأمهلني

ساعة حتى أخبرك عن قتل أبيك وأتودع من هذه
الدنيا قليلا ثم أبدى حزنا وعويلا وأشار يقول من فؤادي
متبول وعمر السامعين يطول:

قال الملك تبع حسانت ظلمني دهري دون الناس
يا ابن ربيعة يا مخدوم أنت أمير شديد الباس

طويل الباع يوم نزع عفيف شجاع ثقيل الراس
تسألني عن قتل أيك فكل بناءه لها أساس
فلما جيت لأرض الشام أتى للقانا كل الناس
أتاني كل أكابر قيس وكل أمير لدي باس
الا أبولك فقد خالف ولم يفعل كباقي الناس
فزان الغيظا بوسط القلب أمر بشنقه للحراس
وهذا بأمر الله مكتوب فوق جبينه بأعلى الراس
وأنا بقيت بهذا اليوم وحيد فريد بلا أبناس
أريد العفو عما جنيت بحياة عمك مع حساس
أنى كنت زعيم القوم وحمي نافذ بين الناس
فما أتاني وعد الله بطل العزم وظنى حساس
دعتني الجليده بالحيله وغابت عني كل الناس
وهذا أمر الله محتوم وأمر نافذ فوق الناس

(قال الراوي) فلما فرغ تبع من هذا الشعر والنظام قال له

كليب لابد من قتلك بحد الحسام حتى ترتاح الناس من
شرك وتأمن عاقبة غدرك ثم ضربه بالسيف على عاتقه
فخرج يلمع من علائقه فوق على الارض قتيلا وفي دمه
جديلا فلما راته الجليده قد مات زان بها الافراح واعتنقت
ابن عمها وقبلته وقالت له مثلك من تكون الفرسان
ياليث الميدان فشكرها كليب وهن ها بسلامتها وزان في
أعزازها وكرامتها ثم خرج من المخدع وأعلم الفرسان بقتل
الملك تبع وقال لهم لقد بلغنا المراد فكونوا على حذر
واستعدوا لامتلاك البلاد فقالوا نحن بين يديك ولانبخل
بأرواحنا عليك ثم وضع راس الملك على راس السنان وخرج
الابطال والفرسان وطافوا في شوارع البلده وضربوا من
وجدوه بالسيف المهند وهم يقولون عن فرد لسان هذا
راس سيدكم حسان فقد عدمناه وقتلناه وارحنا الناس من
شره وبلاه فمن عصى هلكناه ومن اطاع ابقيناه على
قيد الحياه وله منا الامان على طول الزمان.

(قال الراوي) فكانت أكثر أهل الشام تكره تتبع نكته
وجوره وتتمنى هلاكه فاجتمعت العساكر والاعيان
وطلبوا من كليب الامان وانهم يكونوا له من جملة الرعايا
والغلمان على طول الزمان فأجابهم كليب الى ذلك
انطلب ورفع عنهم السيف الاحدب ووعدهم بالجميل
والخيرات وسمح لهم بخراج عشر سنوات فدعوا له بطول العمر
ولوام العز والنصر ثم اجتمعت بنو مرة واكابر العشائر وقواد
العساكر والبسوه تاجا مرصعا بالجواهر ثم اجلسوه على
كرسي المملكة وجلس بقربه وزير الميمنه وهو نيهان وزير
تبع حسان ووقفت أمامه الحجاب والامراء والنواب فحكم
معاملا الناس بالجود والكرم ومنصفا المظلوم من ظلم وفي
الليلة الثانية اجتمعت سادات القبيلة وزفوا عليه ابنة عمه
الجليلة وقد كنا ذكرنا في أول السيرة عن أوصاف هذه
السيدة الخطيرة وم احتوت عليه من الحسن والجمال

والفضل والكمال فاعتنقا اعتناق الاحباب وزال عنهما الغم
والاكتئاب وباتا في حظ وانسراح الى وقت الصباح وفي
اليوم الثاني وردت اليه المدائح والتهاني واشتهر ذكره في
البلدان وهابته ملوك الزمان.

(قال الراوي) وكانت الجليله قد طلبت من كليب أن
يبني لها قصرا من أجمل القصور وينشيء فيه بستان
يحوي جميع أنواع الزهور فأجابها الى ذلك ووعدا ببناء
قصر لا مثيل له في جميع الممالك ثم انه نزل الى الديوان
وجمع الوزراء والاعيان وأعلمهم بذلك الشان فقال له
الوزير نبهان أعلم يا ملك الزمان انه لا يوجد في هذه
الايام من يقدر أن يبني لك ذلك القصر طبق المرام الا معمر
المختص بالرياء ملك مصر لانه هو المشهور ببناء القصور
الحسان وهو الذي عمر قصر تبع حسان فأرسل كليب
أريد منك أن تبني لي قصر من القصور الحسان لا يوجد

مثله في جميع المدن والبلدان ويكون له جنينه جميله
المنظر تحتوي على جميع الاشجار والخضرة فان اتقنت
الصنعة طبق المرغوب نلت المقصود والمطلوب فأجابه بالسمع
والطاعة وباشر في بناء القصر في تلك الساعة.

(قال الراوي) ولما اشتهر قتل تبع في اليمن تواصل الخبر
الى صنعاء وعدن هاجت الرجال وكثر القيل والقال
وكان للملك تبع ابن عم من الامراء المشاهير يقال له
عمران القصير وكان شديد الباس قوي المراس فلما بلغته
تلك الاخبار صمم على غزو بنو قيس بعسكر جرار فجمع
العساكر والجنود وفرق الرايات والبنود وركب في مائة
الف مقاتل وجد في قطع المراحل قاصدا بلاد الشام بكل
سرعه واهتمام ولما بلغ كليب هذه الاخبار استعد للحرب
وانتقل وخرج للقاء بالفرسان والابطال ولما التقى
الجيشان أمر كليب أن تقدم الفوارس الى ساحة

الميدان وأخذ ينشطهم بالكلام على قتال الاخصام فهاجت
الشجعان وتبادرت للضرب والطعان وكان الامير
كليب أول العسكر كانه الاسد الغضنفر وعلى راسه البيارق
والسناجق ثم اتقت الرجال بالرجال واشتعلت بين الفريقين
نيران الحرب والقتال حتى عظمت الاهوال فلله در
الامير كليب بطل الابطال وما فعل في ذلك اليوم من الافعال
فانه هجم هجوم الاسود وانطبق على العساكر والجنود بقلب
أقوى من الجلمود فبادر فرسان الكفاح وخطف المهج
والارواح وما زال الدم ييذل والرجال تقتل الى ان ولّى
النهار وأقبل بالاعتكار فافترقت العساكر عن بعضها البعض
وباتوا في تلك الارض وعند الصباح رجعوا الى الحرب
والكفاح فبرز الامير عمران الى ساحة الميدان فصال
وجال وطلب براز الامير والابطال فأراد كليب أن يبرز اليه
فمانعه حجابة وقالوا أيها الملك أن فينا ابطالا وفرسانا تستطيع
ان تحاربه ثم برز اليه فارس من الصناديد يقال له ميمون

بن الرشيد فالتقاه الامير عمران بقلب أقوى من
الصوان ولم تكن الا ساعه من الزمان حتى استظهر
عمران وطعن ميمون بالرمح فوقع قتيل وفي دمه
جديل فأخذ سلبه وحصانه ثم قوم سنانه وتقدم الى معركة
الحرب وقال اين فرسان الطعن والضرب اليوم تبان
الفروسيه وتعرف شجاعة اليمانيه والقيسيه فبرز اليه آخر
فأذاقه الموت الاحمر وما زالت تبرز اليه الرجال وهو يجند لها
على بساط الرمال حتى قتل سبعة من الابطال وكانوا
من اكابر السادات قد اشتهروا في الحرب والغارات
واستمر القتال على هذا المنوال مدة تسعة ايام وهم في أبرز
واقترحام وفي اليوم العاشر خرج الامير مرة لقتال عمران ولما
صار في الميدان تقنطر عن ظهر الحصان فادركه ابنه
همام وجاء به الى الخيام فعند ذلك برز الى عمران الامير
جساس وصدمه بقوة قلب وشدة بأس غير أنه لم ينجح في قتاله
ورجع عند المساء عربيه ونزاله فوقعت هيبة الامير عمران

في قلوب الفرسان والشجعان فاستعظم كليب ذلك
الامر واشتعل قلبه بلهب الجمر وقال ما لزيد الا عمر فاذا
كان الصباح بارزته في معركة الكفاح لانه طغى وتجبر وقتل
منا كل أسد غضنفر وبات تلك الليلة وهو في غم شديد وقلق
ما عليه من مزيد فما أقبل الصباح ركب كليب الحصان
واعقل بالسيف والسنان وبرز لساحة الميدان لقتل الامير
عمران الذي برز في ذلك اليوم وهو ينادي أين
الابطال انصناديد لا يبرز الا كليب المحتال الذي قتل تبع بالغدر
والاحتيال فما تم كلامه حتى صار الامير كليب قدماه
وصدمه صدمة منكرة أشد من صدمات عنزة فقال له
عمران من تكون من الفرسان فقال له أيها التيس
أني ملك على بنى قيس فسوف ترى منى ضربا يفك
الحديد ويذهب أبصار الفرسان لما غدت تبع بالخيـل مع ابنة
عمك الجليـلـه فقال كليب أما علمت ياقرنان بأن الرجال
عند أغراضها نسوان وأنـي ما قتلت الملك تبع الا لغدره

وقلة حياه وكثرة شره فانه قتل والدي وكان عوني
ومساعدى وحق هذا الذي اوجب ذلك اليوم سألحك به
وأسقيك كأس المهالك فلما سمع عمران من كليب هذا
الكلام اشتد بينهم الخصام فكانا تارة يتقدمان وتارة يتأخران
كأنهما أسدان درغامان فانبهرت من قتاهما الفرسان
وأحدقت اليهما الابصار من اليمين واليسار واستمر على
ذلك الحال الى قرب الزوال حتى تعجب عمران من
ثبات كليب أمامه لانه كان يظن أنه لا يوجد في الدنيا
من يقدر أن يقف قدامه فعند ذلك قاربه وفاجاه وطعنه
بالرمح قاصدا هلاكه وفناه فخلى كليب من الطعنه
فراحت خاييه بعد ما كنت صاييه ثم هجم كليب وقال خذها
يا عمران من فارس الميدان وليث الحرب والطعان
وضربه بالسيف على عاتقه فخرج يلمع من علاقه فوق
على الارض قطعتين وحسان عليه غراب البين وبعد ذلك
حملت العساكر على بعضها وتقاتلت بالسيف والخنجر فكثر

القتل والجراح وجرى الدم وساح وزعقت النفوس والارواح
من ضرب السيوف وطعن الرماح وكان بعد مقتل
الامير عمران أن تضعضعت من عساكر اليمن
الاركان فولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار فتبعهم
كليب بالعسكر وقتل منهم أكثر من عشرة آلاف نفر وغنم
غنائم عظيمة لها قددر وقيمه ومازال تابع آثارهم حتى دخل
ديارهم فخرجت اليه أكابر البلاد طالبين العفو والامان
فأجابهم كليب الى ذلك الشأ وأرتد راجعا الى الشام بعد
أن رتب عليهم خراجا يدفعونه في كل عام فدخل القصر
بالعز والنصر فاجتمع بابنة عمه الجليده وباقي سادات القبيلة
وطاب له الوقت وزال عنه المقت ثم بعد ذلك بعشرة شهور تم
بناء القصر المذكور فكان من عجائب الزمان والاوان
لانه في غاية الانفاق ولاسيما البستان فانه كان كفردوس
الجنات فيه من جميع الاشجار والفواكه والاثمار والمياه
الغزيرة والزهور الكثيره حتى أعجب كليب به وانعم على

بانيه وفرشه بالفراش الفاخر الذي يهر التواظر ويخير العقول
وجعل أبوابه وشبابيكه من الذهب ورصعها بأنواع الجواهر
المنتخب ثم نقل ابنة عمه الجليده اليه وكانت قد ولدت سبعة
بنات مثل البدور الكالعات فربتهن بالدلال والعز والاقبال
فاتفق له ذات يوم من الايام أن زاره مرة ابن اخيه كليب
في جماعة من بنى الاعجام وبعد أن دار بينهم الكلام قال
مرة يا ابن أخي كثرت عليك الرجال والاعنام بسبب كثرة
المواشي الازدحام فمرادي الان أن أرحل عنك
بأنعمي ورجالي وباقي أموالي ولاشك بأننا في هذا
الرحيل والانتقال تتحسن بنا الاحوال ونحصل على راحة
البال فقال كليب أفعل يا عمي ماتحب وأنزل في أي
مكان تريد قرب الديار فان البلال بلالنا ونحن ملوك
الاقطار.

(قال الراوي) فرحل مرة بقومه ورجاله ونوقه وجماله ونزل

في واد كثير النبات يبعد مسافة تسع ساعات وكان مرة قد
شاخ وكبر في العمر فاقام الامير جساس على بنى بكر
فكان يحسن اليهم ويحكم بالانصاف عليهم فشاع ذكره
واشتهر أمره فكانت تقصده الشعراء والفرسان وهو يكرمهم
ويخلع عليهم الخلع الحسن ولم تكن الاسنة من الزمان
حتى صار يحكم على مائة وعشرون الف عنان هذا
ماكان من أمر جساس وأما كليب الفارس الدعاس فانه
كان في سنوح الفرص يخرج الى الصيد والقنص وكان له
عدة أخوة كل منهم مشهور بالمروءة والنخوة وكان من
جملتهم المهلهل الملقب بالزير وكان جميل الصورة كأنه البدر
وهو صاحب هذه السيرة والوقائع المشهورة وكان في تلك
الايام ابن عشرة أعوام وكان في الشجاعه كسبع الغاب
لا يخاف من أحد ولا يهاب فصيح الكلام معكفا على شرب
المدام وسناع الاصوات والانغام ينشد الاشعار البديعه ويأتي
بالمعاني النفيسة الرفيعة وكان كليب حبه لا يتعرضه بأمر

من الامور بل يقابله بالفرح والسرور وكان الزير يتباهى
بشجاعته أمام أخيه وأنه لا يوجد في الفرسان ما يضاهيه فقال
له كليب في بعض الايام أراك يا أخي منشغلا بالملاهي
وشرب المدام فقلبك خالي من الهموم والاحزان كأنك
لاتسأل عن تقلبات الزمان فمن الواجب أن تحسب
حساب العواقب لأن الدهر دولا ب سريع الانقلاب اذا
أضحكك يوما أبكالك سنة وليس على أحد جميل ولا حسنة
فقال المهلهل ما دمت أنت في الوجود وأنا في خير لا أحسب
حساب الغير ولكن أن جار عليك الزمان وأحاطت بك
الحساد والخوان فأنا أرد عنك الاثقال وأجندل أمامك الابطال
أنا الاسد الغالب فارس الكتائب والمواكب أنا قهار الاعادي
أذا نادى المنادي فتبسم كليب من كلامه وتركه مشغلا
بشرب مدامه وارتد راجعا الى الديوان وقد راق له
الزمان.

(قال الراوي) وقد اتفق بعد ذلك بأيام أن أولاد مرة
اجتمعوا مع بعضهم في الخيام وضربوا تحتاً من الرمل ليروا
ماجل بهم ومايجري عليهم ومايصيبهم فبان لهم أن الامير
جساس لابد أن يقتل الامير كليب ويظهر الزير ويأخذ ثارة
بدون ريب ويقتل منهم كل أمير جبار وبعد وقائع تستحق
الاعتبار فاعتراهم القلق والكدر وأجمع رأيهم على أن يقتلوا
الزير قبل أن يكبر وكان من حملتهم الامير سلطان بن
مرة فأنشدهم يقول:

على ما قال سلطان ابن مرة مبيد الضد في يوم انزال
تبين عندنا جساس يقتل كليب بن ربيعة ولا يبالي
ويأتي الزير بعده يا أمارة يشئت جمعنا بين الجبال
وبحي ذكرنا من كل ارض ويفينا ويسى العيال
هلموا نقتله ونبيد اسمه ونسلم من تصانيف الليالي
فيلزم أن تروح الى الجليله وتعلمها على ماقد بدائي

فهذه أختا ليست غريبه فتسعفنا على نيل الاماني
جليله عارقة في كل فن وتعرف في الزيارج والرمال
فقوموا كلنا نذهب اليها ونقضي شغلنا قبل الوبال

فلما انتهى السلطان من هذا الشعر والنظام وسمعه الامير
جساس ومن حضر من أبناء مرة الاكرام استحسنته جميع
انقوم وركبوا من ذلك اليوم وخرجوا من القبيله
قاصدين اختهم الجليله وكانوا ثلاث واربعين ذكر كل منهم
أسد غضنفر ولما وصلوا اليها دخلوا وسلموا عليها فتلقتهم
بانتراحاب والاكرام وأقاموا عندها ثلاثة أيام ثم قالوا لها عن
فرد لسان قد ظهر لنا في الرمل بأنه يظهر للزير شان
ولأي شان فيقهر الابطال والشجعان ونهاية ملوك
الزمان ويعاملنا بالجور وسوء الادب وتحط منزلتنا بين
ملوك العرب فاتفق راينا على قتله قيل أن يكبر وأتينا
ننعلمك بالخبر فما هو رأيك في هذا الامر المنكر فقالت ان

قتلتموه فينكشف الامر ويأخذ كليب بثأره منكم فيزداد الشر
وما دام الامر كذلك فأنا أجعلي كليب يلقيه في المهالك ثم
أنشدت تقول:

مقالات الجليده بنت مرة تعالوا أخوتي أصغوا لقولي
تريدوا قتل أبو ليلى المهلهل أخوه كليب خلفه مثل غول
ومن خلفه غدير وزير قات سبع الغاب في يوم المهول
وست وأربعين بنو أبيه يجوكم راكبين على الخيول
وتركب خلفكم كل الفوارس فوارس تلقب مثل الفحول
ولكن سوف أرمية بجلبة تحير كل أصحاب العقول
ويبقى كليب بقتله بيده ويجعله طريحاً على السهول
(قال الراوي) فلما فرغت الجلية من شعرها ونظامها
شكرها أخواتها على حسن اهتمامها وركبوا ظهور خيولهم
وراحوا في حال سبيلهم فصبرت ما عليها من الثياب
وأظهرت الغم والاكتئاب فلما رآها كليب على تلك الحال

تغيرت منه الاحوال لانه كان يحبها عظيمة ويودها مودة
جسيمة لحسنها وجمالها ودلالها ولاسيما انها ابنة عمه ومن
حمه ودمه فقال لها

علامك يا جليلة مائي أراك في هذه الحانة الويلة من
فؤاد متبول وأجابته بهذه الآيات تقول:

مقالات الجليلة بنت مرة كليب أنت قيدوم السرايا
وتحكم في القبائل والعشائر وفي كل المدائن والقرايا
وحكمك نافذ في كل أرض وتخدمك الملوك مع الرعايا
وأنى بنت عمك يامسمى ومثلي ليس يوجد في البرايا
أتانى الزير أخيك في غيابك يريد فضيحتى بين الصبايا
قبضت عليه من عنقه فولى وراح بسرعة وسط الخلايا
ألايا أمير قل كيف تعمل فاقتله وأرده المنايا

وان لم تقتله حالا فانى أروح اليوم من وسط الخبايا
وتبقى الناس تشتم في قفايا وتبلى بالدواهي والرزايا
وهذا الأمر لا يصلح لمثلك كريم الأصل عكاز المطايا

فاقتله واخلص من بلاه ولا تخشى أثام ولا خطايا
فقتل الزير أصوب من حياته لأنه خائن دون البرايا
فما سمع كليب منها هذا الشعر والنظام غائب عن الصواب
وأرسل أحد الرجال ليأتيه بأخيه الزير في الحال فذهب
الرسول وأستدعاه وتمانع عن الحضور لأنه كان في ذلك
الوقت يشرب الخمر.

الجزء الثالث

وجالسة وهم في فرح وسرور فرجع الرسول على الأثر
وحدث الأمير كليب بذلك الخبر فزاد كدر على كدر
وأرسل الرسول إليه ثانياً فما حضر فعند ذلك صار كليب
إليه وقد عظم الأمر لديه فلما دخل عليه نهض الزير على
قدمية وسبه كليب وشتمه وضربه حتى الالمة ثم نزع عنه
ثياب الحرير حتى صار معيره فالكبير والصغير وأرسله مع
الرعيان ليرعى النوق والجمال ورجع إلى الجليله وأعلمها

بما فعل مع اخية المهلهل فلما رات انها لم تبلغ الامل زادت غمًا
وكدرا وأخذت تدبر على هلاكة بحيلة أخرى فقالت ذات
يوم تكليب أما تخشى من الهتيكة والعايب أما في راسك
نخوة وناموس من جهة أخوئك المهات المعكوس فقال لها ما
معنى هذا الكلام وما هو المراد بهذا التبويخ والمال قالت
بلغنى من بعض الغلامان الذين يدورون مع
الرعيان بأنهم فعلوا معى القبيح وانت جالس مستريح ليس
عندك علم ولا خبر وقد تحدث فيك جميع البشر ثم شرحت
له واقعة بهذا الشعر والمقال :

تقول الجليله يا محفوظ اتانى علم بحال أخوئ
وشاع العلم بكل القوم غناء الناس مع الصعلوك
وصار الناس بقبل وقال وكل البدو عليك ضحوك
أنت أمير كبير القوم وقيس وحمير قد هابوك
فكيف يكون أخوئك الزير وقومك من أهلة يجافوك
كيف بقالك راس يقوم والرعيان لقد عابوك

فاقتل أخوك في سيفك وإلا قومك قد لا أموت
فكل العالم تحكي فيه يقول الزير بقى مهتول
فهذا الاخ ومثله ألف في يوم الضيق فما عانول
أخاف يقولوا كل أهله مثله و العالم يشكول

فلما فرغت الجليلة من هذا الشعر ووقف كليب على
حقيقة الامر التهاب فؤادة واضطرب من شدة الغيظ و
الغضب وأخذته الحمية وعصفة في راسة نخوة الجاهلية وقد
صمم النية على أن يقتل أخوة ويسقية كأس المنية فقالت
الجليلة لا تقتله يا أمير لان كلام الناس كثير فالأوفق أن
تأخذة إلى وادي السباع وهو مكان منقطع عن الناس
كثير النمر و الاسود فقتله هنا وتعول فتفترة الوحوش و
الاسود وتخلص من كلام العباد فقال هذا هو الصواب و
الامر الذي لا يعاب ومن وقته ركب ظهر جواده واعتدا
بالاله حربة وجلادة واستدعى الزير اليه فما تمثل بين يديه

قال له مرادي ان اذهب إلى الصيد و القنص وأزِيل ما
بقلبي من الغصص فسار أمامي فتماثل أمرة وصار ووجد
في قطع البراري و القفار حتى وصل إلى الوادي
المذكور وهو مكان مهجور وما زال وسائرين حتى صار
في وسط ذلك المكان وإذا بجوار كليب قد شخر ونخر
وضرب الأرض وتأخر وإذا بسباع من بطن الوادي قد
ظهر فلما رآه الأمير كليب هجم عليه الجوار ورماه بالرمح
فاخطاه فتبعه الأسد فانهزم كليب من أمامه خوفا من
العطب فلما رأى الزير أخاه قد هرب تقدم نحو
الأسد بقلب أقوى من الحجر وطعنه بخنجر كان معه
ففقده نصفين فاخرج قلبه فأكله وصاح على أخيه ارجع
يا أخي ولا تخاف فرجع كليب وهو يتعجب من أفعال
الزير فنزل عن ظهر الحصان وقلبه بين عينيه وصفا له قلبه
وقال في سره من يكون له أخ مثل هذا ويفرط فيه وان
عاش هذا الغلام يكون من عجائب الزمان ثم رجع

واياه فلما راته الجليله قالت لماذا ماقتلته فأخبرها بواقعة الحال
وكيف أنه قتل الاسد والذي يكون مثله لا يستاهل القتل بل
يجب له الاكرام ثم أشار يقول:

يقول كليب من صفوة ربيعه شديد الباس ذو عزم رجيح
كريم الاصل سلطان متوج وفي طريق الكرم ماني شحيح
الا يابنت عمي يا جليله الا يا صاحبة الوجه المليح
نظرت اليوم من سالم فعلا لا يشيب لها الطفل الطريح
لقاني السبع من خلفي وزجر فصار الزير من خلفه
يصيح

فكر السبع نحو الزير هاجم فعال الزير واقف مستريح
ولما قد لنا منه وقارب فغار عليه كالسبع الجريح
طعنه الزير بالخنجر فقداه والقاء على الغبرا طريح
فلما شفت هذا الفعل منه علمت بأنه فارس رجيح
رجعت اليه من فرحي سريعا وصحت عليه في قول

مليح

مهلهل يا مهلهل يا مهلهل فانت اليوم أولى بالمديح

(قال الراوي) فلما فرغ كليب من شعره زاد كدر
الجليله وقالت له وهي تبكي مادام الامر كذلك فاني
سأذهب نهار غد الى بيت أهلي وأعلمهم بما ظهر من
الزير في حقي فمأ يقتلوه لاني لست أأتمنه على نفسي
إذا بقيت عندك لانه لابد أن يغدر بي لان عيونه حمرة
علي وانت بعد كل هذا ليس لك نخوه ولا ناموس فقال
أذكري الله يا جليله ودعينا من هذا فكيف اسمح بقتل
أخي وهو من حمي ودمي ولا سيما أنه شديد ومن
أشجع الناس فإذا قتلته افترضت بين العرب وتحدث في
الناس فقالت لابد من قتله على طريقة غير هذه وهو أن
تأخذه الى بير صندل السباع وتدليه بجبل على نية أن
ينشل الماء وحينئذ تقطع الحبل فيسقط في البير ويموت ولا يعلم به

أحد وأشارت تقول:

ما قالت الجليله بنت مرة ودمعي فوق وجناتي غزارة
أخولك الزير ماهو كثير فالح يلعب مع وليدات الصغارة
أخولك الزير شوفه مثل الضبع كما المجنوت يلعب بالحجارة
ياريته مايشوف الخير دائم كأنه شبه ضبع في مغارة
ياليت الزير ينقص من حداكم ولا يبقى تظهر له خبارة
الا يا حيف هذا من ريعه وتعدوه بينات الامارة
ترى خمسين خليفه مثل أهلك أماره من أماره من أماره
يبقى الزير هو ندل فيكم ليت لا يطلب من الحرارة
قتل الزير أحسن من حياته ولا نهتك ما بين الامارة
أقتل هل ردي لاعاش عمره وأهيفه في حسامك مثل نارة
أنت ابن عمي نور عيني وشوري اليك ماهو فشارة
ما قالت الجليله بنت مرة وناري عاتقه من ذي شرارة

(قال الراوي) وكان كليب يحب الجليله محبة عظيمة ولا كان يخافها في شيء فلما أحت عليه وافقها على ذلك اكراما لخاطرها فنهض ثاني الايام وركب جواده وأخذ في صحبتته أخوه الزير ومائة من الفرسان وسار بهم الى بير صندل وعند وصولهم قال كليب يا سالم خيولنا قد عطشت فمر ادنا أن ننزل ونسقيها وأنت تنزل الى البير فتملا دلوك فقال حبا وكرامة يا أخي فدلوه في حبل وأخذ يملئ الادليه وهم ينشلوا ويسقوا حتى ملأوا الارض الذي على باب البير وجاؤا بالخيول ليستوها فتزاحمت على بعضهما البعض وأخذت بالصهيل والازدحام فعجز كليب وجماعته عن ردها على بعضهما البعض فسمع الزير وهو بالبير صهيل الخيل وجعيرها فصرخ عليها صوتا مثل الرعد القاصف حتى ارتجت منه الوديان واضطربت منه قلوب الفرسان فجفلت الخيل وتأخرت وانفصلت عن بعضها فلما رأى كليب ما فعله أخوه سالم تعجب غاية العجب وندم

على ما فعل وفي الحال أخرجه من البير وازدادت محبته
عنه ورجع الى الديار فلما راته الجليله غابت عن الوجود
من شدة الغيظ وقالت لكليب بارك الله فيك اهكذا
المفارقة فقال والله يا جليله من كان هذا الفعل فعله يحرم
الله قتله ثم حدثها بما جرى وكان يقول وعمر السامعين
يطول:

يقول كليب من شعر نفيس قصيدة ما نظمها قط قائل
جليله اسمعي يا بنت عمي أرى عقلك بهذا اليوم زائل
أقتله ليشفى اليوم قلبك ومنه قد ظهرت لنا فعائل
سباع الغاب هابت من نقائه كذلك الخيل صيرها جفايل
ثلاث ألوف يلقاهم بصدرة من الشجعان فرسان القبائل
تقول لقتله وارتاح منه فقولك ماهو قول عاقل
فاني لا أبيع بألف مثلك ولو مهما جرى منه من فعائل
أراكي تطلبي قتله سريعا فقولك عنه ليس له دلائل

فقولك يا جليله قول باطل فحاش الزير أن يتبع رزائل
فقلبي من كلامك لاتعيدي أيا بنت الاماجد والاصايل

فلما فرغ كليب من شعره ونظامه وفهمت الجليله فحوى
كلامه اغتاظت في الباطن ولكنها أظهرت له السرور وقالت
له أن قصدي امتحانك لارى هل أنت تحبه أو تبغضه لانه
فصيح اللسان ومن أشد الفرسان وأخذت تمازح كليب
بكلام النفاق حتى صفا قلبه وراق ثم انها صبرت مدة أيام
وبعد ذلك أظهرت عن نفسها انها مريضة فرقدت في
الفراش وقالت لكليب أن لي حاحه اليك ولايقدر عليها
سوى أخوئك الزير فقال وما حاجتك قالت أريد مقدار
كأسين من حليب السباع لانه يقوي الاعصاب وانا في
غاية الضعف والعناء وقد وصفت لايقي هذا عاجلا لمرضي
وقالت أن هذا الدواء يأتي بولد ذكر وأشار تقول:

مقالات الجليله بنت مرة كليب اسمع لي يا أبا اليماما
انت اليوم ملك البوادي ياليت الحق بك يا امير داما
وتحكم ياملك شرقا وغربا من ارض الروم للكعبة دواما
وتحت يدك الوف من العساكر موكم حاكم وكم فيه
مقاما

وكم أبراج من ذهب وفضه جواهر تشرق جناح الظلام
ولذلك ظفل تحيي فيه ذكرك سوى سبع بنات مثل الحماما

اتاني منك سبع بنات اتاني ولاجاني منك ذكر غلاما
وقالت دايتي لي يا جليلة معي لك علم يبري السقاما
لبات لبوة بصوفة احمليها تروحي في ذكر حامل قواما
فنادى الزير واخبره سريعا ادام الله عمرك بالسلاما

(قال الروي) فلما فرغت الجليلة من شعرها ونظامها
صدق مقاهها وارسل في الحال يطلب اخاة الزير فدخل وسلم
عليه وقبل يديه وقال بقلب جسور انا عبد مامور ولا اخالفك
بامر من الامور فاعلمة كليب بالوقعه
وقال اريد منك يا خي ان تاخذ هذا الحق الصغير وتملاة
من حليب نبوة فقال على الراس والعين وتكن يا اخي
اعطني سيف اتسلح به خوفا من هجوم السباع فقال كليب
للجليلة ان تعطية السيف فقالت لة الاتستحي يا زير
ان تطلب سيف وانت في هذه الشجاعة فحجل واطرق
راسه وسار من وقته وساعته وقد تاكد انها تريد هلاكة
وضررة وما زال يسير حتى وصل الى غابة كبيرة كثيرة
الاشجار والصخور وليس معه سوى سكين وعصاه
فبينما هو ينظر من خلف وقدام واذا بأسد قد ظهر وهو
هائل المنظر وعينة تقدح بالشرر.
فلما اقترب منه قبض عليه الزير ونشلة بقوة ساعدة وزنده

ولوحة بيده مثل المقلاع وخبطة الارض فرض عظامة ثم نزل
عليه بالعصا حتى قتله واراد ان يجز راسه واذا بلبوة قد
اقلبت عليه ومن خلفها سبعة اشبال
فلما رات ذكرها قد مات احمرت عينها فاراد الزير ان
يلاعبها قليلا وقد علم انها مغتازة فجعل نفسه انة خائفا
منها فركض من امامها فتبعته وكان قد وصل الى شجرة
لبيرة فطلع اليها وبقيت هي تنظر اليه وتهمم ثم
اقلبت اشبالها وجعلوا يرضعون من ثديها فوجد الزير لها
ثدي مثل الحق فقال هذا الذي طالبة مني اخي ثم اراد

النزول فقال ان نزلت تفترسني من رجلي ثم رمى
نفسه من الشجرة فجاء راكبا عليها فقبض عليها من رقبتها
والقى رجلية على بطنها بقوة شديدة حتى لم يعد لها سبيل
ان تتحرك من مكانها ثم سحب السكين وهو يضحك
عليها وينحراها كما ينحر الجزار الغنم وملا الحق من حليها

وقطع راسها وراس الاسد بعد ان ربط اشبالها بالحبال وساقهم
امامة كانكلاب فلما اقبل الى الحي ولاقتة فرسان
العرب واصحاب المناصب والرتب واستعظموا ذلك الامر
واعتراهم العجب وعند وصوله الى القصر سمعت الجليلة
الضجة فطلت براسها من الشبائب فرات الزير وهو مقبل
على تلك الحالة فانتهب قلبها بنار الغضب لانها كانت تظن
انه يموت ويهلك ثم دخل الزير على الجليلة وكان كليب
جالس معها فسلم عليها وارمى الرأس امامها وقدم الحق
لامرأة اخيه وقال لها هل تجدين شيئا
اخر حتى أفضية فقالت بارك الله فيك ياسبع الرجال فانك
تستحق المدح والثناء وكان كليب لما رأى رأس السباع
تعجب من قسوة قلبه وشدة بأسه وقال له كيف فعلت
والى اين وصلت فأشار الزير يقول:

يقول الزير قهار المواكب رمانى الدهر فى كل المصائب

فلا تسمع أخي قول الاعادي لأن الضد شورة ليس
صائب

يشوروا عليك في الاعادي ليسقونك أخي كأس العواطب
فأهل عليك في رأي وخيم لأن كلامها لاشك كاذب
فاعلم يا أخي في ماجرالي بهذا اليوم في وادي الثعالب

وجدت سبع وسط الغاب دائر كأنه جائع للصيد طائب
فلما شافني حالا أتاني وكشر عن سنانة والمخالب
فصحت عليه جاهلية فتقدم ياخي الي هاجم وطائب
حززته بخنجري فأهوى على وجه الثرى للارض قالب
أتنى بعده لبوة مغيرة فلما شفتها وليت هارب
رأيت أشبائها سبعة وراها فداروا لجهتي من كل جانب
فلما شفتهم جاؤا لنحوي طلعت شجرة ذات الشناغب
فداروا حولها فرميت نفسي فصرت لظهرها بالخال راكب
حززت لراسها وملئت حقي حليب بعد أن نلت المأرب

وراس السبع واللبوة قطنة علامة للاغارب والاقارب
وسقت أولادها السبعة أمامي فلما صرت في وسط
المضارب

فلاقتني رجال قومي وجيتني الآقارب والآجانب
وهذا ماجرى لي في نهاري وما قاسيت من هول
المصائب

(قال الراوي) فلما فرغ الزير سالم من شعره ونظامه
واخوه كليب مع الجليلة يسمعون كلامه فغضبت الجليلة
من كلام الزير وكيف انه لمح بشعره عليها فقالت في سرها
لا بد لي أن أعمل على قتله وبعد ذهابه قالت لزوجها
كليب كيف يعلم اني ساعية في قتله ولم يكن عارف بما
فعله معي فوالله ان الموت اذ عندي من الحياة فلا
بد لي ان أشنق نفسي واستريح من جور أخيك القبيح

ثم صارت تصيح وتبكي فقال كليب أخزي الشيطان
ودعينا من هذا الكلام الآن واخذ يتلطف بخاطرها ويقول
لها كم مرة رمينا بالخطر وهو يرجع سالما كاسبا غنا فقالت
الجليلة

مرادي أن تسمع مني ما اقولة لك الآن ولا عدت ولا
عدت تسمع مني غير هذه المرة وهو ان تجعل نفسك مريضا
وترقد في الفراش فاذا أتاك أخوك الزير حتى يراك
فتقول لة أصابك مرض شديد ووصف لة الاطباء شربة من
بئر السباع اذا سمع منك هذا الكلام فأخذتة النخوة والغيرة
ويذهب في الحال لقضاء حاجتك فاذا راح لا يعود
يرجع أبدا من كثرة وجود السباع في ذلك المكان والكثرة
تغلب الشجاعة فيفترسوة في الحال وتكون قد بلغنا الامال
لأننى كلما تذكرت اعماله أريد ان أخنق حالي والعرض
عند الحر غالي ثم أنشدت تقول من فؤد متبول:

الا اسمع لشوري ما أقولك على علم الصحيح أنا أدلك
أخولك هبيل ما يسوى مسلة ولو قلع في الجبال والاف تلة
فارسله غدا بير صندل وان ارستلة هنالك يقتل
ومنة تسنريح مدى الدهور ونخطى بالمقاصد والحبور

فلما سمع كلامها أجابها الى مرامها وانقطع عن الديوان
ومقابلة الناس وجعل نفسه مريض وأقام بالفراش مدة أيام لما شاع
هذا الخبر علم الزير بذلك فتشوش خاطرة لانة كان يحبه محبة
عظيمة فدخل عليه فراه راقدا وهو يتوجع عليه ويتأسف
ويسلية بالكلام فقال لة كليب اعلم ان مرضى شديد
وأنا خائف منة وقد وصفت لي الاطباء شربة
ماء من بير السباع فمتى شربتها شفيت من هذا الدواء
وليس لي غيرك يا أخي من يأتيني بها فان كنت
تحبني أريد منك الان يا فارس الفرسات وقهار العداء في
ساحة الميدان أن تذهب الى ذلك المكان وتأتي

بالمطلوب والمقصود من بين الاسود فقال الزير أبشر يا أمير
ثم نزل من عنده وجاء بقربتين فحزمهما على حمار ثم سار
وجد في قطع القفار الى أن وصل الى بير السباع
وكانت السباع في ذلك الوقت سارحة في البرية سوى
سبع واحد كان راقداً على حافة البير وهو واضع يديه
على فمة او نايم فقال الزير في سره هذا نايم وعيب علي
أن اقتله غدرا فتركة وفك القرب وربط الحمار من يديه
ورجلية ونزل البير من الدرج فملا القرب وأتفق أنه عند
نزوله الى البير شهق الحمار فوعى السبع ولما رأى الحمار
هجم عليه وضربة بمخلبة فقتله وجعل يأكله فلما خرج الزير
من البير ووجد السبع قد قتل الحمار وهو يأكله أغتاظ جدا
فوضع القرب على الأرض وقصد نحو السبع بقلب كالحديد
وقال ويلك يا مشعوم كيف تأكل حماري أما علمت يبطلشي
واقتراري فوحق ذمة العرب لأبد من تحميك القرب
وكان الاسد قد وثب عليه ونهض برجلية فالتقاء الزير بالعصا

وضربة ضربة شديدة وقعت على راسه فدوخته فوق
على الارض طائشا فجاء الزير بالحبل وجمته لجاما قويا ووضع
بردة الحمار على ظهره ثم وضع القرب ورفسه برجلة فنهض
مثل السكران فقال الزير يا قليل الادب الذي يأكل حمير
العرب فهو أولى أن يحمل القرب ثم ركب على ظهره
وساقه مثل الكلب وكان كلما عرج عن الطريق يضربه
بالعصا على راسه حتى طاعه قهرا وجبرا ثوسار وجد في
قطع القفار حتى أقترب من اتلديار فعند ذلك تذكر
ما جرى له مع أخيه والاسد
وكيف عال ظافرا منصورا فجاش الشعر في خاطره فأنشده
يقول:

أنا مهلهل فعزي يفلق الحجرا الانس والجن تحشى
سطوتي حذرا
كيد النساء فيبقى في عدم فخب الله من يسمع كلام مرا

قالوا أخولك كليب اليوم منظر حار عالفراش ضعيف الجسم
والبصرا

فجأته عاجلا حتى أسأله والعقل في خيرة مما عليه جرى
فقلت له كيف حالك أنت أخبرني فقال يامهلهل كيف أنت
تري

أريد شربة ماء أظفي بها طمئي من صندل تزول الهم
والكدرا

فسرت حالا لذلك البير في عجل فنلت قصدي وعدت
اليوم مفتخرًا

هذه فعالي وكل الناس ترهبني حتى الاسود وأهل البأس
والآمرا

(قال الراوي) وما زال يقطع انقفار وينشد الاشعار حتى
وصل الديار وهو راكب على ظهر الاسد غير مبأل باحد لانه
بلغ المقصود والارب

وفعل أفعال تعجز عنها فرسان العرب ولما دخل الحي
جفلت الخيل الخيل والجمال واندهشت النساء والرجال لما رأوا
الاسد على تلك الحال وكثرت الضججات وتصايحت الاولاد
والبنات وسمع كليب والجليلة تلك النضجة فطلا برؤسهما من
الشباك فوجد المهلهل قد أقبل وهو يسوق الاسد بعصا فبكى
كليب لما

رآه وقال لابنة عمه الجليلة هل ينبغي لهذا البطل أن يقتل فقد
جاء بالاسد وعلى ظهره انقرب وهذا أعجب العجب فاشتعل
قلبهما واتتهب من شدة الغضب حتى كادت تموت قهرا
ثم نزل كليب اليه وقلبه بين عينيه وقال لله درك يا فارس
الميدات وزينة الشبان وبعد ذلك سأله عما جرى له
وكان فأنشد يقول:

يقول الزير أبو نيلي المهلهل ودمعي فوق وجناتي سايل
ذهبت اليوم نحو البير قاصد أجيب الماء يا ابن الاكارم
وجدت السبع قرب البير راقد فقلت بخاطري ذا السبع نايم
نزلت البير أملا منه أشرب وربي بالذي قد كنت عالم
ملأت القربتان وعدت حالا لأرجع للقبيلة والمعلم
وجدت السبع قد أكل البهيمة ضربته بالعصا فعاد نايم
وحملت القرب من فوق ظهره وجئت إليك يا فخر الاكارم
أطال الله أيامك وعزتك على طول الزمان وأنت دايم

فلما سمع كليب هذا المقال أجابه على شعره:
يقول كليب اسمع يا مهلهل فما لك من مثيل في العوالم
سابع البر خافت من قتالك وولت في الفلا منك هزائم
نزلت البير أملا منه واشرب وتحظى بالسرور والغنايم

فقم البس ثيابا من حرير وأفعل ما تريد يا ابن الأكارم
فمهما طلبت مني يا مهلهل أنا أعطيك والله عالم
أخي ما عال عندي أعز منك وحق الله خلاق العوالم

فلما فرغ كليب من كلامه أنزل الزير القرب من على
ظهر الأسد وضربه بالسيف القاه قتيل ثم قطع رأسه أمام أخيه
وقال الله أكبر فقد أخذنا بثأر الحمار وبلغنا ما نحب ونختار
بعوث الواحد القهار فأمر كليب الخدم أن يدخلوا الزير
إلى الحمام فدخل واغتسل ولبس حلة من أرجوان
وذهب إلى عند أخيه في الديوان فقام له على الأقدام
وأكرمه غاية الأكرام واجلسه في أعلى مقام فزدا إن إعتباره
عند الخاص والعام وأرتفع منزلته عند الأمراء والأكابر واشتهر
اسمه بين القبائل والعشائر وقال له كليب ذات يوم أطلب
يا أخي مهما تريد فأن شئت مدينه أو هبك إياها أو امرأة
جميلة أزوجك بها فمالي جميعا بين يديك فلا أبخل بشيء

عليك لأنك اليوم ساعدي وزندي وأنت الحاكم من
بعدي فقال لا أريد سوى سلامتك والذي أريده منك
أن تأمر بصيوان يكون كبير مفروش بالفرش الفاخر عند
بئر السباع ويكون عندي جماعة من الخدم يقدمون
لي ما أحتاجه من الأكل والخمر لأنني أريد أن أنفرد
عن باقي جماعة الناس وأكون وحدي خصوصاً من
كيد النساء وعندما تشتاق إليّ تزورني فقال كليب ما هذا
العمل فوالله ما عادي لي صبر على فراقك يا مهلهل ولا
عدت أسمع فيك كلام الاعادي اللئام فأبقي عندي في
العز والاكرام فقال يا أخي قد صممت النية على الارتحال
فإن الانعزال أفضل للرجال الاحرار ولا سيما قد صار
على السباع ثار عليّ قتل الحمار ولا بد لي من قتل
جميع الاسود أو أن الحمار يرجع ويعود فضحك كليب من
كلامه وتعجب وأمر له بما طلب وقدم له جواداً من أطيب
الخيول وجميع ما يحتاج اليه من السلاح والنفوس والمشروبات

والمأكول وأرسل معه عبدان يخدمانه ثم ودعه وسار حتى
وصل إلى بئر السباع فنصبوا له الصيوان وقام في ذلك
المكان وهو يأكل ويشرب المدام وكان في كل يوم يلبس
عدته ويركب جواده ويصيد السباع وكان كلما قتل اسد
يقول يائثرات الحمار وما زال على تلك الحال حتى أفناها
وبنا له قصرا من رؤوسهم فلما طال عليه الزمان أخذه
القلق والضجر لأنفراده عن البشر وكان بينه وبين همام بن
مرة محبة عظيمة ووداد فزار الأمير همام في بعض الايام ففرح
بقدومه عليه وقال اهلا وسهلا يا ابن العم وترحب به غاية
الترحيب وقال له لقد ضاقت نفسي من الوحشة والانفراد
فوالله ما عدت ادعك تذهب من عندي ابدا وكان
همام يسرف اكثر اوقاته عنده فينالمه ويشرب معه المدام
ويتناشدان الاشعار في الليل والنهار ومازالا كذلك وهم
في بسط وانشراح وطرب وافراح وشرب المدام وسماع الانغام
مدة ثلاثة أعوام هذا ما كان من حديثهم في تلك الايام.

في حرب البسوس بين بكر وتغلب

(قال الراوي) وأعجب ما أتفق وتسطر من الاحاديث التي
تروى وتذكر هو حديث العجوز الشاعرة أخت الملك تبع
حصان الذي قتله كليب كما شرحنا قبل الان وهي
المرأة التي ذكرها تبع لكليب في ملحمة بأنها سوف تظهر بعده
وتلقي الفتنة في القبائل وبسببها يقتل كليب بن وائل وتثير
الحرب بين بكر وتغلب وباقي عشائر العرب وكانت هذه
العجوز من عجائب الزمان وغرائب الاوان ذات مكر
واحتيال وخداع ساحرة ماكرة وكان لها أربعة أسماء لأنها
في يوم ولاداتها وردت اليها
أموال السبعة أقاليم وامها سمته تاج بخت لأنها كانت كثيرا
ماتاكل من جوز الهند
وكانت مع هذه الاوصاف القبيحة جميلة المنظر فصيحة الكلام

شديدة البأس ولما كبرت وانتشت وصارت بنت عشرين
سنة فكانت تسارع الطواشية وتركب الخيل في الميدان
وتبارز الابطال والفرسان وشاع صيتها في كل مكان
وتواردت اليها الخطاب من جميع المدن والبلدان
فكانت تقول لا تزوج الا من يقهرني في الميدان فكنت
تقهرهم في القتال وتعلم عليهم في ساحة المجال فاقتصرت
عنها الخطاب وتباعدت عنها الطلاب وكان قد سمع بخبرها
ملك عظيم اسمه سعد اليماني وكان ملك بلاد السرو ابن
عم أخوها تبع وبطل أروع ليث صميدع صاحب مدن
وبلدان وجيش وفرسان فهام قلبة في حبها فركب في
جماعة من أبطالة وسارقا صداديار ابن عمه تبع ليخطب
أخته سعال فلما وصل الى تلك البلاد ترحب به الملك تبع
واضافة ضيافة عظيمة لانه ملك وأمره نافذ في القبائل فلما
كان اليوم الثالث قال سعد لتبع اعلم يا ابن العم حضرت
من بلادي لاخطب أختك سعال الدرة المصونة

والجوهرة المكنونة فلا تردني خائب فهي ابنة عمي ومن
لحمي ودمي وأنا أحق بها من كل أحد فقال تبع اني
أرغب في ذلك غير انة كما لاخفاك بأنها لا تتزوج بأحد مهما
كان الا بمن يقهرها فيالميدان فقال أني ما أتيت الا
على هذا الشرط فعند ذلك

دخل عليها أخوها وأخبرها بقدوم الامير سعد بن عمها وانه
قد جاء ليخطبها ويتزوجها بعد أن يبارزها ويحاربها فأجابته
الى ذلك المرام وفي ثانب الايام

اعتدت بأنة الحرب والجلال وركبت على ظهر جوادها
وبرزت الى الميدان وحل الضرب والطعان وكان
الامير سعد قد ركب حصانة وبرز الى الميدان والتقاها
بقوة

قلب وجنات وأخذتا يتقاتلان نحو ساعة من الزمن
وكان الامير سعد صاحب نخوة وحمية ومن اشد
فرسان الجاهلية فحاربها حتى أتبعها ثم اقتلعا من بحر

سرجها فأقرت لثة بالغلبة وبعد ذلك تزوجها واقام الحفلة سبعة
أيام ورجع بها الى بلاده وكانت قد أخذت معها جميع ماتملكه
من أمتعه وأموال وعبيد وغلمان وأقامت مع زوجها في
أرقد عيش وهناء لمدة عشر سنين الى ان عمي وفقد
البصر فصارت تحكم مكانه واطاعتها العرب وعظم أمرها
واشتهر ذكرها ومازالت على تلك الحال وهي في أرقد
عيش وانعم بال الا ان كليب قتل أخوها تبع كما سبق الكلام
ولما بلغها هذا الخبر اخذها القلق والضجر وتنغص عيشها وتمرمر
وقالت لابد لي من المسير الى تلك الديار كليب الغدار
وإذا قتلته انظفيء ناري وأكون قد أخذت بثأري
فأقامت مكانها وكيلا يحكم بالنيابة عنها وركبت هي وزوجها
وبناتها وأخذت معها عبادان ومازالت تقطع البراري
والأكام حتى وصلت الى بلاد الشام فسألت عن رحلة
بنى مرة فأرشدوها اليها فلما صارت هنالك قصدت الامير
جساس دون باقي الناس ودخلت عليه وهو في الديوان

وحولته جماعة من الامراء والاعيان فتقدمت اليه وسلمت
عليه ودعت وترحمت وبأفصح لسان تكلمت وقالت له أدام
الله أيامك ورفع على ملوك الارض قدرك ومكانك وبلغك
أربك ومنالك ونصرك على حسانك وأعدائك فتعجب
جساس من فصاحة مقالها فأنى عليها وسأها عن حالها
فقالت له أننى شاعرة أطوف القبائل والعشائر وأمداح السادة
والسادات والاكابر وقد سمعت بجودك وكرمك ونظفك
ومحاسن شيمك فأتيت الى دارك حتى أعيش في
جوارك وأكون مضمونة بأنظارك ثم أنها بعد هذا الثناء
والمديح أشارت اليه بهذا الشعر الفصيح:

تقول سعاد من قلب مفجوع زمان السوق أبقانا ذلائل
وبعد غلانا صرنا رخاصا وبعد الكثر قد صرنا قلائل
وبعد العز قد صرنا اذلا وبعد السمن قد صرنا هزائل
فهذا الدهر ماله قط صاحب فهذا مستقيم وذالك مائل

وذا ييكى وذا يضحك ويلعب وذا يندب عياله والخلائن
فسبحان الذي قدر علينا بغيرتنا وتشيتت الشمائل
فبعد ان كنت في خير ونعمه دعاني الدهر كاطلاب
شاتل

أدور على المناصب والامارا وأنزل في القرايا والمدائن
سمعت بذكركم ي آل مرة ثلاث شهور لي عندكم أسائل
أيا حساس يا فخر البرايا ويا كهف اليتامى والارامل
قصدتك لاحتبيب فيك ظنى أيا ابن الاماجيد الاصائل
فأجبر خاطري ربي يجبرك ويعطيك السعادة والفضائل
فكم أوهبت من مال ونوق وكم فرقت من خيل أصائل
فانت اليوم بين الناس فردا ثناء مشاع في كل القبائل
عديم المثل ما بين الامارا وقد تفاخرت عربان القبائل
عسالك اليوم تنعم لي بمالي ولا تصغي الى واش وقائل
فارجع بالغنايم والعطايا وبالخيل المسومه الصواهل

فلما فرغت العجوز من شعرها ونظامها وفهم جساس
فحوى كلامها قال لها أهلا ومرحبا الارض أرضي والديار
دياري وانت نزيلتي وفي جوارى فكل من تعدى
عليك قتلته ثم أشار يترحب بها ويقول:

قال جساس بن مرة يا عجوز مرحبا بك بلا بطا
مرحبا بك مرحبا بك مرحبا عدل ما مشيت الركاب بالنوطا
في قدومك حلت البركة لنا فابشري باخير مع كثر العطا
أسرحي ثم أمرحي في حيننا ما أغيطك لو بدا منك خطا

(قال الراوي) فلما فرغ جساس من كلامه دعت له
العجوز بالنصر وطول العمر والبقاء وقالت في سرها لقد نلت
المراد بعون رب العباد وأقامت عنده شهرين وجساس
كل يوم يزيد في إكرامها وكانت قد رأت اتفاق قوم كليب مع

بنى مرة وهم في حبة ومؤلفه عظيمه واجتماعات كثيرة كأنهما
قبيلة واحده فما هان عليها ذلك الامر فأخذت تلقى الفتنه
والفساد بين الامراء والنقوال حتى وقع الشر والنزاع وكثر
القييل والنقال ولما اشتد الامر اجتمع اكابر الناس عند الامير
جساس واخلوا يشكون من بنى تغلب وعن سوء
معاملتهم وانهم يعتدون عليهم في اكثر الاوقات بدون
سبب وهذا كله من يوم ما قتل كليب تبع اليماني وامتد
ملكه في الاقطار فابتدا يجور ويظلم ولا يحسب حساب أحد
وهكذا قومه تفعل كفعله وكان مرادهم بهذا الكلام يحمسوا
الامير جساس ويهيجوه على قتال كليب ولكنهم لم يصغ لهم ولم
يطاوعهم على مرامهم وقال لهم انه من الصواب ان
اجتمع اولامع ابن عمي كليب واعلمه عن تعديات
قومه وجورهم علينا فان وجدت كلامه قاسيا يكون هو
السبب في تقويتهم وان أمر بتأديب المفتريين تكون قد
نلنا مرادنا .

(قال الراوي) وما زالت الفتنة بين الفريقين تمتد وتشتد حتى اتصل الخبر الى مسامع الامير كليب وبلغه ان بنى مرة هم أصل ذلك الخصام وانهم كل يوم في جمعيات واستعدادات فضاق صدره وتكدر وارسل أعلم حساس بذلك الخبر طالبا منه ان يبادر بالحال بقصاص المذنبين وتوقيف حركات البكرين واخراج العجوز من القبيلة التي كانت سببا لهذه الورطة فاغتاظ حساس من ذلك وتأثر وتأكد عنده كلام قومه وعلم ان أصل ذلك من كليب فلم يحبه بجواب ولا بخطاب واخذ حساس من ذلك اليوم يجمع الجموع ويفرق على قومه السلاح ويقويهم بالات الحرب والكفاح فبلغ ذلك الامير كليب فازداد كدوره واحتار في امره واحس بزوال ملكه وكان تذكر اخاه الزير الفارس فركب من يومه في جماعة من الفرسان وقصده الى بير السباع فوجده جالسا على سفرة المدام مع ابن عمه الامير همام وهما يناشدان الاشعار ويتحادثان بالاحبار فنهضا له على

الاقدام واجلساه في اعلى مقام وفرح الزير بقدوم اخيه لانه
كان له مدة طويلة غائبا عنه غير عالم بأن مجيئه لم يكن ناتج
الا عن سبب ضروري جدا وبعد ان جلس قليلا قال
كليب للزير اعلم يا أخي أن سبب مجيئي إليك أولا لاجل
المشاهدة وثانيا حتى آخذك الى القبيله وأقيمك ملكا
مكاني لانني طعنت في السن ولم يعد لي طاقة على
معاطاة الاحكام ولا سيما وقد تغيرت الاحوال ووقع بين
القبيلتين النزاع والجدال فاشتعل مني القلب والبال فقم معي
الان ياسيد الفرسات فقال الزير والله لقد اشتغل بالي
بهذا المقال فانشد كليب يقول:

أخي سال أسمع ما أقول لك ففكرت ديره والذهن ليا
أراك اليوم في زهو وهو ولا تدري بما قد حل فيا
بنو قيس قد وقعوا بخلف وجساس نوى يركب عليا
فقوم وشد عزمك يا مهلهل لأنك أنت جبار عتيا

والا راحت البلدان منى وصرنا معيرة عند البريه

(قال الراوي) فلما فرغ كليب من شعره ضحك الزير
حتى استلقى على ظهره فقال كليب وما هو ضحكك قال
ثقله عقلك قال انا قليل العقل قال لو لم تكن قليل العقل ما كنت
تكلمت بهذا الكلام بعد ان نظرت القصر وهو أمامك قال
وما يكون هذا القصر قال هذا القصر قد بنيت من رؤس
السباع الذين قتلهم بئار الحمار ومع كل ذلك أنت ملك
عظيم وصاحب ولايات وأقاليم فكيف تقول انك خائف
وفزعان وأخولك الزير فارس الفرسان فكن في
أمان وإطمئننا من نوائب الزمان فان كنت بئار
الحمار الذي ليس له قدر ولا مقدار قد بنيت قصرا من
رؤس السباع الا أبني من رؤس الاعالي مدائن وضياع
وقلاع وحصون فانهب بالسلامه ولا تترتع ثم أجابه على
شعره يقول:

يقول الزير ابوليلى المهلهل أنا لى فى الحرب عزمنا قويا
سباع الغاب خافت من قتالى وتحشاني ولم تقدر على
فاذهب يا كليب ولا تبالي واحكم بالقبائل بالسويه
فأن جارت بنوبكر وخابت فلا أترك منهم يا أخى بقيه

فلما سمع كليب شعره أحتار من فعله وندم على مجيئه ثم
كرر عليه السؤال وطلب منه أن يسير معه خوفا من
حدوث أمر من الامور فقال الزير سر أنت أولا وأنا سأتابعك
فيما بعد فقال لماذا لاتسير الآن قال لاختفاء لما حضرت
الى هذا المكان قتلت جميع السباع ما عدا سبعين أو ثلاثة
فمتى قتلتهم أدركتك فى الحال الى الاطلال فعند ذلك
ركب كليب جواده وسلم أمره لئلا يترك القهار الى أن
وصل الى تلك الدار وهو قلق وافتكار هذا ما كان من
أمر كليب ويرجع الكلام والسياق الى سعاد الشاعرة الساحرة

الماكرة فإنها لما اثارته الفتنه بين القوم وصار لها عند بنى مرة
ذلك القبول وجميع كلامها عند حساس مقبول أخذت طاسة
من الفضة وملاؤها من المسك والزباد والعطر وخففت
الجميع مع بعضه البعض وعمدت الى ناقته الجربانه وأخذت
تطلى أجنابها وتدهنها بذلك الطيب وأمرت بعض العبيد أن
يأخذها الى المراعي ويمر بها قرب صيوان حساس في
الصباح والمساء وأوصته إذا سأله أحد عنها وعن سبب
رائحتها يقول لا أعلم وإنما مولاتي تعلم فأخذ الناقة ومر
على ذلك المكان فعبرت رائحة الطيب فاستنشق حساس
الرائحة وكانت ذكيه جدا فتعجب وكان قد نظر الى العبد
وتلك الناقة فأمر بإحضار العبد وكان يظن تلك الرائحة
عابقه منه ولما أحضر وإذا رائحته كريهه جدا فسأله عن تلك
الرائحة فقال من الناقة فازداد تعجبا وسأله عن سبب
ذلك فقال ليست أعلم يا مولاي وإنما مولاتي سعاد الشاعرة
تعلم ذلك فقال حساس هذا غريب فاستدعى العجوز اليه

فحضرت ثم سأها عن قضية الناقة فتنهدت من فؤاد
موجوع وقالت لآخفاك أطل الله عمرك وابقاك ان
هذه الناقة من سلالة ناقة صالح وفيها خواص غريب يا
أبن الاجواد فان بعرها من المسك وعرقها من الزباد
فتعجب حساس غاية العجب وقال في نفسه تبارك الله رب
العالمين فلا بد لي من أخذ هذه الناقة فافتخر بها على
جميع الملوك فقال لها هل تبيعني أياها يا حرة العرب وأنا
أعطيك مهما تطليمن انفضه والذهب فلما سمعت كلامه
بكت ونطمت وجهها وقالت والله هذا الحساب الذي كنت
أحسبه فأنني ما هاجرت
من بلادي الا لاجل هذه الناقة وكلما نظرها امير أو ملك
يطلبها وما دام الامر كذلك فأنني سأرحل من عندك ثم
بكت من قلب حزين وأنشدت تقول:

تقول سعاد من قلب موجوع سقاني الدهر كاسات الحمام

ضنى منى الفؤاد وغاب نومي عمى بعلى وقد زادت
سقامي

انا حرمة لي يد قصيرة ولا لي قيمة بين الانام
وهذه ناقتي قد شتتني عن الاوطان يا ابن الاكرام
فكم من سيد جاء يشتريها فما نالوا بها نيل المرام
وقد جينا لكم والتجينا وقلنا قد حطينا بالسلام
وانت تريد أن تأخذها منى فعاد رجوعنا أشهى المرام

فلما فرغت من كلامها أخذ جساس يعطف بخاطرها ويقول
لها ان كلامي معك هو على سبيل المزاح فناقتك مباركة
عليك وأنت المعزوزة عندنا فقالت من حيث ذلك أريد أن
تجعل ناقتي دون باقي النوق والجمال لانها قد تربت بالذل
وأريد مرعى لانه ابقى بها فقال أرسلها الى المراعي مع
نوقي وجمالي فقالت انها لا تأكل الا من الرياحين وزهر
البساتين فقال انه ليس لنا كروم ولا بساتين قالت وهذه الكروم

التي بجانب القبيله من هو صاحبها قال هي لابن عمي
كليب زوج أختي الجليله وهمام متزوج أخته ضباع قالت
مادام انكم اهل واقارب وانت ملك نظيره فلماذا يكون
كليب أعظم منك فقال انه من بعد قتله الملك تبع عظم أمره
وانتشر ذكره وتملك على البلاد وطاعته العباد فلما سمعت
هذا الكلام قالت واللّه لقد أخطأت وبئس ما فعلت فأني
تركت البحر وجئت الى الساقية وتعلقت بالذنب وتركت
الرأس فاغتاظ جساس وحس وقال مامعنى هذا الكلام يا حرة
العرب فانك قد خرجت عن دائرة الصواب وباديتنا بقله
الادب أهذاء جزاء المعروف والاحسان فقالت لاتغضب
ولاتغتاظ وما قولني هذا الا من سبيل المحبه فكيف يكون
ابن عمك وصهر لك وزوج أختك ويملك على هذه
الاراضي العظيمة وانت ليس لك قدر ولا قيمه أهكذا يكون
الاهل وابناء الاعمام ايها الملك الهمام فقال جساس وذمة العرب
وشهر رجب لقد تكلمت بالصواب وان من الان

وصاعداً أنت أحسب له أدنى حساب لأنه قد اعتز وتمرد
ولا عاد يحسب حساب أحد وأنا لأبد لي أن أطلبه أن
يقاسمني على أملاك المملكة والا اقيه في التهلكة فروحي
وأطلقني ناقتك لكي ترعى في أحسن البساتين
والمراعي ثم أنشد وقال:

يقول جساس شعرا من ضمايري فدمع عيني على
الوجنات طاف

الجزء الرابع
والنار في مهجتي قد أحرقت كبدي من جور قوم ما لهم
أنصاف
قولك صحيح ما لنا عندة قيمة ولا كلام ونحن من
الاشراف
سبعة أقاليم ملك تبع حازها وعلى المدائن واقريات طاف

والكرام والنخل والآثمار جمع حاز الجميع من البلدان
والآطراف
روحي ياسعد خلى ناقتك ترعى بين الروم ولست منه
أخاف

(قال الراوي) فلما انتهى حساس من شعرة ونظامه
فرحت العجوز وانشرح صدرها فقبلت يده وخرجت من
عنده وقالت لعبدها خذوا هذه الناقة واتركوها ترعى في
البستان المعروف بجي كليب واجعلوها تهدم الحيطان
وتقطع الاشجار وتاكل
الاغصان واذا اعترضكم فاشتموه وسبوه واذا اقتضى
الامر اقتلوه ولا تخافوا سمعا وطاعة ثم أخذوا الناقة وساروا بها
الى ذلك المكان.

(قال الراوي) وكان هذا البستان كأنه روضة جنات
كثير الاشجار وانفواكة والآثمار وكان كليب قد اعتنى به

حتى صار من احسن منتزهات الدنيا وكان لايسمح
لاحد ان يدخل الية سوى هو وعيالة فقط فلما أخذت
العبيد الناقة دخلوا بها بعد ان هدموا الحائط وصاروا يقلعوا
الزهور ويكسروا أغصان الشجر وكانت الناقة تأكل العريس
وأثمار الكرم وكان كليب قام حارسا يجرسة اسمة ياقوت
فلما نظر الحارس تلك الفعال هجم على العبيد بالعصا وقال لهم
اخرجوا يا كلاب من البستان قبل أن يحل بكم الهوان
فشتموه وسبوه ثم ضربوه فهرب من بين أيديهم وجاء الى
كليب وأعلمته بواقعة الحال فاغتاظ غيظا شديدا وجاء الى
ذلك المكان ومعه أربعة غلمان فرأى العبدین أحدهما
جالس على سريرة أي الذي كان يجلس عليه وقت
النزهة والآخر دائر مع الناقة بين الكروم والزهور وهو يسب
الامير كليب ويشتمه فعند ذلك ترا كضت غلمان كليب
على العبيد لتقبض عليهما فتركا الناقة وهربا فأحضرت
الغلمان الناقة أمام كليب فأمر بذبحها فذبحوها وطرحوها

خارج البستان وكانت عبيد العجوز تراقب عن بعد ما
يجري على الناقة فلما شاهدوا ما كان م امرها رجعوا
على الاعقاب وأعلموا مولاتهم
بما جرى وكان وكيف أن غلمان كليب ذبحوا الناقة
بامر مولاهم وطرحوها خارج
البستان فقالت الآن بلغت مرادي وأخذت ثاري
من الاعادي ثم أمرت العبد أن يسلخ الناقة ويأتيها
بجلدها فسلر العبد وسلخها اليها وقامت من وقتها ووضعت
التراب على راسها وشقت ثيابها مع بناتها وعبيدها وجواربها
وأخذت جلد الناقة وسارت بها عند الامير حساس فدخلت
عليه وهو في الديوان مع الاكابر والاعيان وصارت
تندب وتبكي وألقت الجذ بين يديه فقال ملامك أيتها العجوز
وما الذي أصابك~u^ûé~u^ûé

S~u^ûé

S'~uœ"> DEL

(قال الراوي) فلما فرغت العجوز من كلامها استعظم
جساس تلك القبضة وعصفت في راسه نخوة الجاهلية وقال
للعجوز أذهبي بأمان فأنا أعرف شغلي فذهبت الى
خيامها واستبسرت ببلوغ مرامها ثم التفت الامير جساس الى
من حولة من الامراء وأكابر الناس أنظروا ما فعلت ابنة
عمنا في حقنا وهو صهرنا فقد أهاننا بهذا العمل وأنا لابلد لي
أن أستعد لقنالة في هذا اليوم فاما أن أقتل أو أبلغ الامل
فقلت لة أكابر

العشيرة تمهل يا امير فانة لربما لايعلم أنها ناقة نزيلك ومن
الصواب أن ترسل لة كتابا على سبيل العتاب وتطلب منة
ثمن الناقة وتظنر مايكونجوابه فان أرسل الثمن واعتذر
كان خيرا وان أبى وامتنع فحينذ تفعل ماتريد
فاستصوب جساس هذا الرأي
وكتب الى كليب يعلمة بذلك الحال ويطلب منة ثمن الناقة

وأرس الكتاب مع عبدة ابويقظان فأخذ يقظان الكتاب
وفي طريقه مر على تلك العجوز أخبرها بالقصة فترحبت
بتهول لطفته بالكلام وقدمت له الطعام ثم أخذت تسقيه المدام
حتى سكر وغاب عن الصواب فعند ذلك فتشنة في ثيابه
حتى عثرت بذلك الكتاب فقراته فوجدته كتابا
بسيطا خاليا من التهديد والوعد والوعيد وأضافت إليه
كلما مغيظا وهي هذه الايات

أمير كليب الأعارب أيا ابن العم لا تكبر علي
فلازم أذبحك في حد سيفي وأنت شبيهة حرمة أجنبية

ثم طوت الكتاب ووضعته في مكانة وقام العبد فنهض وركب
جواده وصار حتى وصل ديوان الأمير كليب ودخل
عليه وقبل الأرض بين يديه وناولته الكتاب فأخذه وقراه ولما
وقف على معناه أغتاظ غيظا شديدا وأراد أن يقتل العبد

ونكنه كان رجلا عاقلا موصوفا بالحلـم والحزم فأطرق رأسه
الى الأرض وتفكر قليلا قال في سره نعل الامير جسـاس كتب
لي هذا اكتاب وهو في حاله السكر غائب عن الصواب
فمزق الورقة وأمر بضرب العبد فضرب وقال له اذهب
يا ابن اللئام الى عند مولائك بسلام والاسقتيك كأس الحمام
فقام وهو آخر رمق وركب حصانه وسار الى عند جسـاس
وقال له انه بحال ما قرا الكتاب مزقه وأمر بضربي وقد
شتمك وسبك وهذا الذي تم وجرى.

(قال الراوي) فلما سمع جسـاس هذا الكلام صار الضيا في
عينيه كا ظلام فنهض في الحال ودخل الى الخزانة السلاح
ولبس ألة الحرب والكفاح وركب ظهر حصانه وأخذ الى
صيوانه وصاح على أبطاله وأخواته وفرسانه فجاءوا اليه
ودادروا حوا اليه فأعلمهم بواقعة الحال وما جرى بينه وبين
كليب من النزاع والجدال وقال لهم استعدوا لقتال بنى تغلب
الانذار وأخذ يكلمهم بهذا الشعر والنظام :

يقول جساس نار القلب مشتعلة على الضمائر يا قوم لها هيب
يا قومنا اسمعوا قولني وأصغوا قول صحيح بلا تكذيب
كليب خلى كال أحوالنا عبر حكم البلاد مشارق ومغيب
وليس يحسب لنا قدر ومنزلة الكل عندهم غنم وهو بينهم ديب
ناقة نزيلي ذبحها ما ما خشى أجدا أجرى الى دمه شبة
الآناب

انت عجوز فألقت جلد ناقتها بعد ما بكت بدمع سكيب
تنهدت ثم قالت يا ولد مرة ابن عمك كليب عليك يعيب
هكذا كليب يفعل بنزيلك مالك قيمة عندة ولا ترحيب
فقلت لها اصبري يا عجوز علي فأنا لك منة ثمناها أجيب
أرسلت له أبو اليقظان عندي بكتاب ما فيه أسا ولا تعذيب
شق الكتاب وأرمى العبد بضربه ومن كثرة الضرب ما
أظنه يطيب

أترضون المذنة يا أهل قومي الذل لا يرضاه سوى كل

معيب

(قال الراوي) فلما فرغ جساس من شعره ونظامه وعرف قومه فحوى قصده ومرامه فما أحد طاوعه على هذا المرام وقالوا له عن فرد لسان بئس هذا الرأي وهل يجوز لنا يا أمير لاجل ناقة حقيرة تقاتل ابن عمنا الأمير كليب ونرفع في وجهة السلاح بعد أن صاننا وحمانا بسيفه وقتل الملك تبع حسان واستولى على الأقاليم والبلدان وجعل لنا ذكرا عظيما في قبائل العربان على طول الزمان فان كان لك عليه دم أو ثار فدونك وإياه فلا تطلب منا مساعدته ولا نجده فلما سمع كلامهم تركهم وقصد بيت العجوز ولما اجتمع بها قال لها نقد جئت إليك لارضيك بالعطايا خوفا من ازدياد الشر ووقوع البلايا فاطلبي ثمن ناقتك لاعطيك إياه ولو كان مهما كان قالت بالنجوم

اريد واحد من ثلاثة اشياء قال وما هي قالت اريد اما
ان تملأ جحري بالنجوم او تضع جلد الناقة على جثتها
تتقوم او راس كليب بالدماء يغوم فقال لها ملىء جحرك
بالنجوم او ان الناقة تعيش وتقوم فهذا لا يقدر عليه الا الحي
القيوم أما راس كليب فابشري به ثم قوم السنان وأطلق
العنان وقصد حي بنى قيس فقالت العجوز لعبدها سعد
خذ هذا السكين والمنديل الأبيض واتبع جساس من وراءه فإذا
رايته قتل كليب فأسرع أذن والطخ هذا المنديل
من دمه فمتى فعلت ذلك فاني أطلقك لوجه الله تعالى
فامثل أمرها وتبع آثار جساس اما جساس فلم يزل سائرا
حتى وصل الى قصر كليب وسأل عنه فقالت له أخته
الجليلة قد ركب الآن وهو يطبع مهره في وادي الحضا
والجندل فقصده حتى التقى به وهو يطبع مهره وكان
كليب بدون سلاح ولم يكن معه سوى خيزرانه فقط
وكان كليب دائر ظهره الى جساس لانه كان من عادته

دائما انه لا يلتفت في الحرب الى أقل من مائة فارس فأراد
جساس

ان يغدره من قفاه فما طأوعته يده على ذلك مهابة ووقارا
فلما وصل وسلم عليه فرد عليه السلام فراه متسرבל
بالسلاح فاستعظم كليب الامر وقال علامك يا ابن عمي
أراك بالسلاح الكامل قال مرادي الصيد والنقص لكنني لما
التقيت بك أعرجت اليك لأسالك سؤالا واحدا واعتبك على
ما فعلت فهل كان لك بساتين وكروم ونحن ما لنا شيء
أتت عندنا عجوز شاعره مع بعل لها أعمى ورعت ناقتها في
بستانك على تجاهنا فكيف تقتلها أما عندك قيمه
ولا أعتبار بهذا المقدار فضرب كليب كفا على كفه من
شدة الأسف وقال والله يا ابن عمي ما عرفت أنها ناقة
ونزيكلك ثم ذكر عن سوء ادب الرعيان وما فعلوا من
الضرر في بستان ومع كل ذلك فاني أعوض وأعطيهما أربع
مائة ناقة وإذا اردت أكثر فأعطيهما ولا يكون ذلك

سببا للنزاع والخصام بيننا فأنا أولاد أعمام وأصهار فقال
جساس على سبيل الخداع أنني سأرضيها وهو قاصد قتله
ثم قال له مرادي أن ألعب معك سابقين
بالجريدة فقال كليب يا جساس أنت راكب ظهر القسيمة وأنا
راكب مهر جاهل فقال أنا أسوق أمامك والمهر يسبق الفرس
فساق جساس الفرس فتبعه كليب حتى حكمت تحت يمينه
وضربه فأصابته ظهره فقلبتنه عن ظهر الفرس فأنحدر الدم
من فمه ومناخيره فقال كليب قم يا ابن العم فإن كنت
لا تريد أن تلعب غير هذه الجريدة
فاصرع واضربني بها فينتهي الحال ثم نزل كليب عن ظهر
المهر ومشى أمامه أما جساس فانه قد تألم بهذا القدر حتى
أنه لم يعد تمكنه القيام وإذا بعبد العجوز أقبل اليه وجذبه من
يده فأوقفه وقال والله أنك من أحقر الرجال ثم أعلمه بحال
وكيف العجوز أرسلته خافه لأجل تلك القضية فتحمس
جساس ونهض ومسك له العبد الركاب فركب ثم تقدم نحو

كليب وهز في يدة الرمح وطعنه في صدره خرج يلمع من
ظهره فوق على الارض يحتبط بدمه فبكى كليب ملء عينيه
ودمعه يسبل على خديه فلما راه جساس على تلك الحال ندم
وتأسف على ما فعل فتقدم اليه وقبله في حितه وعارضيه
وضمه الى صدره ووضع رأسه على ركبتيه وقال سلامتك
يا ابن اعمى يا ابا اليمامة فقد حلت بي الندامة فوالله
أنى فعلت ذلك بدون عقل ولا تميز فسامحنى على هذا
الارتكاب القبيح فأجابه كليب على حلاوه الروح وقال هذا
حكم الاله المتعال ما كان أملى منك أ، تبادىنى بهذه الفعـال
وتشمت في الاعداء والانذال وتفرق بينى وبين اليتامى
والاطفال وما بكائى على مال ولانوال وانما بكائى على
اليتامى ولكن هم رب لا يغفل ولا ينام وابكى على
غدرك فانك قتلتنى بالغدر والعدوان ولست من أقرنى
في الميدان ولا في ملتقى الفرسان ولكن سيجازيك
العادل الديان وسوف ترى ما يحال بك من الهون

ولأظن بأنه يصفى لك الزمان بعد الآن فقم واذهب
الى الحيام وأقرى الأيتام منى جزيل السلام ولكن اسقنى
قبل رواحك شربة ماء لان قلبى قد احترق من الظما
وأشار بهذه القصيدة يقول

يقول كليب اسمع يا ابن عمي أيا حساس قد أهرقت دمي
أيا غدار تطعنى برمح ولست انت في الميدان خصمي
واشمت الاحاسد والاعادي وباتت اخوتي تبكي وامي
على ناقة تقتل ابن عمك أمير كريم من لحمك ودمك
يوم الضيق كان يزيل همك ويردي الضد في يوم النزال

(قال الراوي) فلما فرغ كليب من شعره ونظامه فخاف
جساس وأصفر لونه وارتعش قلبه وقال والله يا ابن عمي
لايعرف الانسان ماذا مقدر عليه ثم انه رفع راسه عن
ركبته واتى له بماء فأسقاها ثم ركب وتركه وخلاه وهو يركض

ويأتفت وراءه قاصدا أهله وحماه وأما عبد العجوز فإنه بعد
ذهاب جساس تقدم ليذبح كليب
حسب ما أمرته العجوز فلما أقترب منه وجده يجول بنفسه
وهو على آخر رمق فتامل فيه العبد فوجده ذات هيبة ووقار
ووجهه يتلألأ بالأنوار فتأخر عنه وخاف منه فنظر إليه كليب
ففاق من حلاوة الروح وقال له من أنت وما هو قصدك
ومرامك فاعلمني بحالك فقال له لاخفي عنك أنا عبد التبع
اليمني فلما قتلته أنت حضرت أخته سعاد العجوز
الساحره الى هذه البلاد لتأخذ بثأره منك وتطفي هيب
نارها وهي التي اقت الفتنة بينك وبين ابن عمك حتى
قتلك وأرسلتني لأذبحك وأخذها
أثر من دمك فقال كليب لقد صدقت فقد ذكر لي تبع هذا
الكلام ونفذ قوله الآن
بالتمام وهذا تقدير رب الانام فأريد منك يا عبد الخير قبل أن
تذبحني تفعل معي هذا الجميل وهو أن ترميني بالقرب

من هذه البلاطه القريبه من هذا الغدير لاكتب وصيتي
الى أخي سالم الزير واوصيه بأولادي ومهجة كبدي
وبعد ذلك أفعل ماتريد
فسحبه اعبد الى قرب البلاطه والرمح غارس فيه والدم يقطر
من جنبه فبكي كليب
وتفكر وهو يتأمل على ما أصابه ويتحسر ثم اخذ ييده عودا
وغطه في الدم وانشد
يقول:

هديت لك هديه يامهلل عشر أبيات تفهمها الذكاه
أول بيت أقوله أستغفر الله أله العرش لايعبد سواه
وثاني بيت أقول الملك لله بسط الأرض ورفع السماء
وثالث بيت وصي باليتامى واحفظ العهد ولا تنسى سواه
ورابع بيت أقول الله اكبر على الغدار لا تنسى أذاه
وخامس بيت حساس غدرني شوف الجرح يعطيك النباه
وسادس بيت قلت الزير أخي شديد البأس قهار العداه

وسابع بيت سالم كون رجال لآخذ الثار لاتعطي وناه
وثامن بيت بالك لاتخلي لاشيخ كبير ولافتاه
وتاسع بيت بالك لاتصلح وأن صاحت شكوت للاه
وعاشرييت أن خانفت قولي فأنا وياك الى قاضي
القضاء

ولما انتهى كليب من كلامه التفت الى العبد وقال له افعل
الان ما تريد فقال والله ياأمير ما تستحق الاكل خير وان
يدي لاتطاولعنى على ذبحك قال اذبحنى لاننى في ألم شديد
وعن قريب تأتى أخوتي وباقي الرجال والحريم فعند
ذلك اخرج العبد السكين وانحنى عليه وذبحه من الوريد
الى الوريد ونوث المنديل بدمه ورجع الى عند سيدته
فأعلمها بقتل كليب وأراها دمه ففرحت فرحا شديدا
وصبرت الى الليل ثم حملت وسافرت بمن معها من تلك
القبيله سرا حتى لايعلم بها أحد وقالت لقد أخذت الان

ثأري وطفيت هيب ناري هذا ما كان منها واما حساس
فانه لما رمى كليب وولى هارب سار حتى وصل الى
قومه وهو في خوف عظيم أصفر اللون متغير الكون فقال
أبوه مرة اين كنت قال كنت في البريه فالتقيت بابن
عمي كليب فقتلته وزال همي وغمي فلما سمع مرة هذا
الخبر تبدل صفو عيشه بالكدر وقبض على حساس من
ذراعه كما يخرج روحه من بين جنبيه وقال يا عديم الزمان
ويا أخبث الانام اتقتل ابن عمك وهو من لحمك ودمك
لأجل ناقه حقيرة وصاحبها سائله فقيرة فماذا تقول العرب يا
غدار اذا سمعت عنك هذه الاخبار فقد اجلبت علينا الاذى
والضرر وفضحتنا بين البشر وما زال يوبخه ويلطمه من
خلف وقدام حتى جاءت أخوته اليه وخلصوه من بين
يديه وهم يعنفوه ويسبوه ويشتموه ما عدا الامير همام فانه
كان عند الزير في تلك الايام يتنادمان ويشربان المدام
على بير السباع كما تقدم الكلام وليس عندهما خبر بهذه

الامور والاحكام ثم التفت مرة على أولاده وقال لهم لقد
حلت بنا المصائب من كل جانب فما الذي عاد يخلصنا
من الزير ليث الوادي وقهار الاعادي فوالله ليقطع
آثارنا ويعجل في دمارنا ثم أنه بعد هذا الكلام أشار يقول:

يقول أمير مرة من قصيد بأن العار ما يحويه ماح
جنيت اليوم يا حساس حربا علينا في المساء والصباح
وقدت النار في بكر وتغلب يعم لهيبها كل النواحي
أيا حساس تقتل ابن عمك كليب البرمكي ليث البطاح
أمير ما كان له مثيلا شديد البأس في يوم الكفاح
أيا حساس من قتل ابن عمه يبيت الليل يسهر للصباح
فسوف ترى بما جرى بنا اذا برز المهلهل للكفاح
فيسلب ماننا قهرا وغصبا بأطراف العوالي والنصفاح

(قال الراوي) فلما فرغ من هذا النشيد أجابه حساس

بهذا التقصيد وعمر السامعين يطول:

تأهل مثل أهبه ذي الكفاح فان الامر زاد عن التلاحى
فأني ان جلبت عليك حربا فاني ليث حرب في الكفاح
فكيف عن الملام فلست أخشى يوم الحرب من طعن

الرماح

وأني حين تنشر العوالي أعيد الرمح في أثر الجراح
تعدت تغلب ظلم علينا بلا ذنب يعد ولا جناح
ومالي همه ايدا قصد سوى قتل العدى يوم الكفاح

(قال الراوي) فلما فرغ جساس من كلامه قال أبوه
سوف ترى ما يحل بنا من البلاء والويل من سيف المهلهل
فارس الخيل ثم صار يكي ويتأسف ويلطم كفا على كف ثم
قال لأولاده الرأي عندي أن نكتف جساس ونرسله الى
الزير وأخوته ليقتلوه بثأر كليب وبهذه الوسيله تزول الفتنة

وتظفي النار وتزول الاحزان والاكدار فان المصيبة
عظيمة وعاقبتها ذميمة وخيمة فقالت اولاده ما هذا الكلام يا بابا
فهل بعد كليب غير حساس يليق أن يكون ملكا فان كنت
تحسب حساب المهلهل فما هو الا كالاھبل وليس له داب الا
اكل الكباب وشرب الشراب وقال مرة العياذو بالله من
كيد الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم ثم قال لاولاده وان اخيكم همام له عند الزير مدة
ايام فنخاف ان يعلم الزير بقتل اخيه فيقتله ولا يقيه.

(قال الراوي) وكان همام جاريه اسمها رباب فاستعاده
مرة ابيه وقال لها اقطعي البقاع وسيري الى بير السباع
واعلمي همام سرا بما جرى وتجدد قولني له ان يرجع
بالعجل خوفا من ان يقتل فسارت الجارية حتى وصلت
الى هناك فوجدت الزير وهمام على سفرة الطعام وهما
بالكلام ويشربان المدام ويتحدثان بالكلام فلما رآها همام

وثب اليها وقال ما دهالك قالت سرطويل وحزن وعويل
ثم أعلمته سرا بواقعة الحال وطلبت منه المسير الى الاطلال
فلما وقف على حقيقة الاحوال اعتراه الاندال وغاب عن
الصواب وتبدل انشراحه بالحزن والاكتئاب فلما طال بينهما
الحديث والخطاب خرج الزير من بين الاطناب كأنه اسد
الغاب فوجدهما يتكلمان سرا ويميان عليه فعظم الامر
لديه فسل الحسام وقال ماهو الخبر ياهمام فاني اراكم في
قلق واهتمام واشار يقول:

يقول الزير ابو ليلى المهلهل أحس النار في قلبي هيب
فقلبي موجه والجسم ناحل ولا التقى الى جسمي طبيب
وشاب الراس منى والعوارض فاني صرت في حال عجيب

وافكر في الزمان وشؤم فعله وهذا الدهر يتقلب قليب
يا همام الا يا ابن عمي فمالك خائف واقف رعب

فما ابصر الحرمه تقول لك تناديك وانت لها تجيب
اراكم تكنموا الاسرار عني كأنني بينكم رجل غريب
اراكم في حديث وفي وشاوش وبين ذا وذا امر عجيب
فلا تخل الامور من الحوادث يا همام اعلمني تصيب
والا افتحوالي الباب حتى اروح عني بدا قلبي يطيب

(قال الراوي) فلما فرغ من شعره أجابه همام يقول :

يقول همام اسمع يا مهلهل فدمعي فوق الحدود سكيب
وناري بالحشا قد أحرقتني أحس لها طي الفؤاد هيب
أقول أنت تسمع يا مهلهل بأنك صاحبي نعم الحبيب
فما نحن في وشاوش لا وانت بيننا رجل غريب
انا واياك في طرب وهو ولا تحسب حسابات الحسب
جعلنا يا فتى نيت جملكم جرى دمه على نحره سكيب

فلما سمع الزير هذا الشعر توقد قلبه بلهيب الجمر وأجابه يقول

:

يقول الزير يا همام اسمع ان ابن عمي لي نسيب
فما لك علم في وقتك كله ولا في القضييه لك طليب
فقم اذهب الى اهلك يا نسيبي بلا تطويل من قلب المعيب
فتأتي أخوتي ثم يقتلونك ويدعونك على الغبرا كتيب
فما أقدر أن أحملك منهم وانت محب ايا نعم الحبيب
فلوجينا ما عيش أكلنا وكاسات شربناه بطيب
لكنك أمد يدي تحت سيفي وأخذتار أخوي عن
قريب

(قال الراوي) فلما فرغ الزير من هذا الشعر والنظام قال
لهمام انت من دون بني مرة نديمي وصديقي وزوج
أختي ورفيقي ليس عندك علم بهذا المنكر فلا تحاف

ولاتفزع فقال همام لقد جرى القلم يا ابن العم والذي
مضى ما بقى يرجع فأما تقتلنى عوض عن أخيك أو تأخذ
منا ما يرضيك وترفع عن الحرب والقتال وتتركنا نبقى في
الاطلال فوالله صعب على هذا الامر وانتهب قلبي بنار
الجمر لما سمعت بهذا الخبر المهول فلا كان حساس المهار قال
الزير وحق من يعرف الغيب وروح أخي كليب أني لا
أرفع السيف عنكم حتى اشفي غليلي منكم ثم أقتلكم
عن بكرة أبيكم وأهتك النساء والبنات وأجعلكم مثلاً بين الناس
ولو لم تكن زوج أختي وسميري ما كنت أعلمتك بما في
ضميري بل كنت قتلتك في الحال وأورثتك النكال فسر
الآن الى الاطلال ولاعدت تريني وجهك في الحرب والقتال
فلما سمع همام ذلك الكلام ركب ظهر الحصان وأوما الى
ابنه شيبان الذي الذي كان معهما في ذلك المكان
ان يسير معه الى تلك الاوطان فامتنع عن المسير وقال
سأبقى مع خالي الزير فصار همام وقد عظم عليه الامر وهو

ينقض غبار الموت عن منكبيه حتى وصل الى حلقه
واجتمع بأبيه وأخوته وأخذ يلوم جساس على فعله وكيف انه
تجاسر على كليب وقتله وأعلم قومه بما عزم الزير فخاف
الكبير والصغير وأيقنوا بالهالك والتدبير واستعدوا من
يومهم الى الحرب والكفاح وجمعوا آلات الحرب والكفاح هذا
ما كان على بنى مرة وأما الزير صاحب الشجاعه والقدرة
فانه بعد ذهابه الى الديار اشتعلت بقلبه هيب النار واعتراه
الاصفرار فصار يلطم وجهه في يده وقد عظم الامر عليه
حتى رقصت شعرات شاربيه ومع ذلك لم تنزل من عينيه
دمعه لانه كان من الجبابرة السبعة وكان يقول وحق رب
العباد لا بد ان افتك بينى بكر الاوغاد واقتل الشيوخ والاولاد
ولما طال المطال وهو على هذا الحال قال له شيبان بن
همام دع عنك هذا الكلام واشرب المدام فانك عاجز يا خال
عن هذه الافعال فمن انت من الابطال حتى تتكلم بهذا
المقال وتباهى على الامراء واكابر الناس كأني همام

وعمي جساس ثم انشد اليه يقول وعمر السامعين يطول:

انشد شيبان وقال في بيوت ودمعي من عيني طال
خالي اسمع ما أقول وحط قولني وسط الببال
خلي الهرج ووطي النفس واترك عنك القيل وقال
تقول تكيد بني مرة وتقتل كل الابطال
غدا يا خالي هم يأتوك بخيل كثير ونعم رجال
يظهر خيول عليك تجول ودق طبول كما الزلزال
ونرج الارض بطول وعرض ترحوا قتلي بضرب صقال
يجيء جساس قوي الباس كذا العباس زكي الحال
ويا تي عمر بخيل ضمير وصفر وغمر وابو جفال
يجي ملك القوم كان يوم الكون كسبع صال
وأخي شيبون بطل مجنون وابي همام ان جال ومال
وتاتي الشوس وكل عبوس يخلوا الروس تلال تلال

فلما انتهی شیبات من كلامه أجابه الزیر علی شعره
ونظامه:

يقول الزیر أو اه أو اه یا ابن اختی عقلي زال
یولي غدا الفرسان تحيک یخوفنی من أهل أنزال
أتاریک انت عدو مبين كلامک ما خلالي حال
وانا العرید یوم نکید للروس اکید بطعن وعوال
اکید الشوس اقطع الروس انا الجبار فغير محال
وبعد کليب لا یبع الروح اشلکم بالرمح شلال
وبعد کليب اخلي السیف طول العمر بکم عمال
وبعد کليب سیاج البیض ما أعتق منکم رجال
وانت یا ابن اختی الیوم عدت بغير محال
وابولک أغدی سیفی فیہ وأعشی الرمح من الابطال

(قال الراوی) فلما فرغ الزیر من انشاده نهض الغلام

ليركب على جواده ويلحق بأبيه وأعمامه فضربه الزير بجامه
القاه على الارض قتيل وفي دماه جديل ثم قطع عنقه ووضعاه
في محلاه حصانه ونفها في قربوس السرج وتركها فसार الجواد
حتى وصل الى القبيله وسار الى بيت مولاه فلما رأت أم
الولد جواد الغلام وهو في تلك الصفه قالت للجاريه دونك
جواد سيدلك فتقدمت الجاريه وأخذت المخلاة فوجدت
فيها رأس شيبان فاستعظمت ذلك الشأن واعلمت بواقعة
الحال فطار عقلها لما نظرت راس ابنها مقطوع فضجت بالبكاء
والنواح والعيول والصياح فاجتمعت عليها نساء الحي من
كل مكان ولما سمع همام الخبر طار من عينيه الشرر فبكى
واشتكى وقال لزوجته ضباع نظرت ما فعل أخوك فوالله
لم يبق لي غريم سواه فشقت ثيابها وسارت عند أخيها المهلهل
ولامته على ما فعل وقالت اتقتل ابن أختك بئرا أخيك ثم
أشارت تقول:

تقول ضباع يا سالم علامك بجاه كليب ماسويت بابني
بشار كليب تقتل ابن أختك وتحرق مهجتي وتزيد حزني
حزنت على كليب وما جرى له وحزني في صميم
القلب مبني
ولكن قد حكم ربي مراده وربي ما كتب لي يصيبني

فأجابها الزير بهذه الايات:

يقول الزير من قلب حريق بقتل كليب زاد اليوم حزني
الا يا أخت قلبي من بكائك ولا تخشين من أمر يعبني
فو الله ثم والله ثم والله اله العرش منذ ادعوا يجيني
فلا بد لي من حرب الاعادي وقتل كل جبار طلبني

فلما فرغ الزير من كلامه قالت له الله درك يا سالم يا قهار
الاسود القشاعم لقد زالت نوعتي الان وخفت عني

الاحزان لما سمعت شعرك يا فارس الفرسان وعرفت ما
انت معول عليه من الحرب والطعن وأخذ الثأر وكشف
العار ثم رجعت الى الديار وهي في قلق وافتكار هذا
ما كان من امره

(قال الراوي) ولما اشتهر موت كليب ووصل الى ابنائه
الخبر وعلمت بذلك جميع أهله وبناته فمزقوا الثياب واكثروا
من البكاء والاتحاب فتهتك لوجه الملاح ووقع في الحى
العويل والصياح وكسرت الفرسان السيوف والرماح
وخرجت بنت كليب من الخدور وهن مهتكات الستور
نشرت الشعور حافيات الا الاقدام يقطعن السهول والاكام
وقد امهن اختهن اليمامة وكان ذلك اليوم مثل يوم
القيامة ولما وصلن اليه وجدن الطيور حائمات عليه
فوقعن على جثته وقبلن يديه وارتمين حوائيه ولما قرأنا
ذلك الشعر الذي كتبه على الصخرة زادت احزانهن

واخذت يلطمان على وجوههن ثم اقبلت اخوة كليب
الى ذلك المكان وازدحمت الرجال والنسوان والابطال
والفرسان والسادات والاعيان يرثوه بالشعار واجروا
هيب نارها سوء البطل الاوحد والسيف المهند والصحصاح
الشهير الذي ليس له في ذلك العصر نظير عمها المهلهل
الملقب بسالم الزير فسارت هي واختها اليها وتوقفت عليه
فقاتت والله ياعماه مكانك حزنان بما جرى علينا وكان
من طوارق الزمان يقتل اخيك ملك العصر والاوان ثم
القت نفسها غميانه في حجره وضعن على جثته وقبلن
يديه وارتمين حواليه ولما قرأنا ذلك الشعر الذي كتبه على

انصخرة ز C-C -C-C'~u~u^ûé] ٠

S~u^ûé~u^ûé

S~u^ûé

S'~uœ~u^ûé

S~u^ûé

~u~u~S ينيه ويقول سلامتك يا أمير اليمامة يا صاحب الجبهة
والكرامه فقد احرق قلبى بفقدك فلا كان من عيش
بعدك ولما اشتد عليه الامر ارته اليمامة وصية أخيه المكتوبه
على الصخره فقرأها وقال وحق الله المتعال اني لا اصالح
الى الابد ما دامت روجي في هذا الجسد ثم بكى وتنهد
ورثاه بهذه القصيده أم السادات واكبر العمدة وهي من
أجود مرثي العرب واحسن الاشعار أهل الفضل والادب
:

كليب لاخير في الدنيا وما فيها ان انت خليتها لم يبق
واليتها
فيها تنعي النعاة كليباً فقلت له مالت بنا الارض أم مالت
رواسيها
ليت السماء على من تحتها وقعت حالت الارض فانذكت
أهاليها

الناحر النوق للضيفان يطعمها والواهب الميتة الحمراء

براعيا

الحلم والجود كانا من طبائعه ما كل اللطافه يا قوم تحصيلها

ضجت منازل بالخلان قد درست تبكي كليب نهار مع

لياليها

كليب اي فتى زين ومكرمة تقود خيلا الى خيل تلاقيها

تكون اولها في حين كرتها وانت بالكر يوم الكر حاميا

غدر لك جساس يا عزي وباسند وليس جساس من يحسب

تواليها

لا أصلح الله منا من يصلحهم حتى يصلح ذيب المعز راعيا

وتوالد البغلة الخضرا خد الجء وانت تحيا من اغبرا تاليها

ويجلب الشاة من اسنانها لبن وتسرع النوق لاترعى مراعيها

(قال الراوي) فلما فرغ الزير من هذا المراثيه انغراء
وسمعتة السادات والامراء تعجبوا من فصاحة لسانه وقوة
قلبه وجنانه وما احتوة ابيه من الانفاظ الرقيقة والمعاني
البليغة الدقيقة وقالوا والله لقد جاد سالم الزير وفاق على
الاشعار والمشاهير بهذا الكلام الذي هو كالدرا المنظير ثم
اجتمع الامراء المقدمين وقالوا للعرب المجتمعين انها ما عاد
ينفع البكاء والانتحاب وان اكرام
الميت دفنه في التراب ثم أتوبكليب الى الديار ودفنوه بكل
أحترام واعتبار واحتفال ووقار ورثوه
بنفائس الاشعار وبنوا على قبره قبه من أعظم القباب وطلوا
حيطانها بالذهب والفضه فكانت من العجب في
بلاد العرب زخرفوها بالنقش الفاخر كتبوا على حيطانها
اسماء الاله القادر.

(قال الراوي) وبعد أن تلو أسماء الاله القادر وسمعتها

السادات ورؤساء العشائر دفنوا الامير
كليب كما تقدم الكلام ذبح الزير على قبره النوق والاغنام
وفرق المال والطعام على الارامل
والآيتام ثم جلس في الديوان وجميع الاكابر والاعيان
وأبطال الميقات والفرسان واخوانه الشجعان وقال
أعلموا أيها الأمراء والسادة الكرام أن جساس أهانكم وقتل
ابن عمكم وملككم
فاستعدوا لاختذ الثار وكشف العار من بني بكر الانشرار فلما
سمعوا منه هذا الكلام أجابوه الى ذلك
المرام وقالوا عن فرن نسان أننا بين يديك ولا نبخل بأراوحنا
عليك لان الامير كليب لا ينتهي ولم تلد قمثله النساء ثم انهم
تحالفوا معه وعاهدوه على الكرسي المملكة وبايعوه
واجلسوه فلما تملك على القبيلة طرد امرأه اخيه الجليله
فسارت الى بيت ابيها وجواربها وكانت جليله بوئد ذكر
سوف يأتي عند الخبر واستعد الزير من ذلك اليوم لقتال

النوم وحلف بأعظم الاقسامه بأنه لايشرب المدام ولايتذ بطعام
حتى يأخذ يأخذ ثاره بعد الحسام وينتقم من بنى بكر أشد
الانتقام

او انه يموت تحت ارجل الخيل ولايبالي بالويل ثم امر الرؤساء
والقواد بجمع العساكر والاجناد
وان يكون في استعداد للحرب فامثلوا امره في الحال
وتجمعت الفرسان والابطال حتى امتلات الروابي
وائتلال وكانت قد انضمت اليه عدة قبائل وامدوه في
العساكر والجحافل حتى سار في لأربعمائة الف وقال لما بلغ
بنى بكر هذا الخبر اعتراهم القلق والضجر وخافوا من
العواقب وحلول النوائب فجمعوا المراكب والكتائب وسار
بهم الامير الى الذئاب وهو مكان شهير يبعد ثلاثة أيام عن
قبيله الزير وهناك أنضمت اليهم بعض القبائل من
العربان فكانوا نحو ثلاثمائة

أنف واقاموا في ذلك المكان ولما سمع الزير برحيل مرة

واولاده الى الديار قال لا بد أن اقتني الاثار وافنى الكبار
وانضغار ثم امر الفائد الكبير بسرعه المسير فامثلوا ما امره
وفعلوا ما ذكره وفي الحال دق طبل الرجوع فارجت منه
السهول والمروج وهو الطبل الذي كان تتبع حصان ولم
تكن الاساعه من الزمان حتى ركبنا الابطال
وانفرسان وركب المهلهل متسربلا بالسلاح كأنه
ليث الغاب وعلى راسه الرايات والبنود ومن.

الجزء الخامس

حواله القواد والجنود فعند ذلك سارت الواكب قاصده
الذئاب وما زال العسكر يقطع البر الاقفر اشرف الى تلك
الديار في اليوم الثالث عند نصف النهار ولما قرب وانكشف
البيان وراه الامير مرة ومن معه من الرجال وانفرسان
قالوا وحق الاله التقدير المتعال لقد اقبل علينا سالم الزير بالجموع
والجماهير وانفرسان المشاهير واليوم تباع الارواح بيع

السماح في عاجل الحال انتخب
الامير مرة انف من الابطال وارسلهم لملاقاة الاعداء في
تلك البيداء وكان المقدم عليهم ابنه جساس وجماعه من
علماء الناس فصار الجحفل طالبا جيش المهلهل ثم فرق مائه انف
اخرى في الصحراء وقدم عليهم ابنه همام وحثهم على
الحرب والنصدام واقام هو ياقبي العسكر على الجانب الايسر
حتى اذا انكسرت الفرقتان يحمل بمن معه من
الفرسان ولما شاهد المهلهل
تلك الحال وانقسام الرجال والابطال فقسم عسكره الى ثلاثة
اقسام وتقدم ولما اقتربت العساكر من بعضها البعض وانتشر
جموعه في تلك الارض حملت الفرق على الفرق وهجم
الجيش على بعضه وانطبقوا وقصد المهلهل فرقه الامير مرة
بعشره الاف من اهل الشجاعة والقدره وفي الحال اشتبك
القتال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وارتحب
الوديان والتلال من قعقه النضال فكان يوما مريعا

وحربا فظيعا يشيب منه راس الغلام قبل الفطام فما كنت ترى
الارؤوسا طائرة ودماء فائرة وفرسان غابرة فلله در المهلهل
وما فعل ذلك اليوم من العمل فانه هجم هجوم الاسود وفرق
المواكب والجنود ونكس الرايات والبنود وقتل كل جبار ونمرو
وكان كلما قتل فارس منتخب يقول يا نثرات كليب ملك
العرب ويلقى نفسه في مهاوي العطب املا بالنصر وبلوغ
الارب وما زال على تلك الحال حتى قتل خمسمائة من
الابطال ولما اشتدت الاهوال تأخرت عنه الرجال خوفا من
الهلاك والوبال وهو يجول ويدور ويهدر كالاسود والنمور
ويقول كليباً قتيل الجور اين عيناك اليوم تراني وتشاهد
حربي وطعاني فياليتني كنت فدالك ولا كان من
يسلاك (قال الراوي) وكانت نيران المعامع والحروب
والوقائع مشتبكة في ثلاثة مواضع واستظهرت جيوش المهلهل
على اعدائها وبلغت غاية مناهها وفعلت باقي الفرق كما
فعل سيدها واستمر القتال على هذا الحال من الظاهر الى

غروب الشمس وكان قد قتل من بنى بكر أوفى من
ثلاثين ألف نفس ومن جماعة المهلهل نحو خمس آلاف بطل
فعند ذلك دقت طبول الانفصال فارتدت عن بعضها
الفرسان ونزلوا في الخيام والمضارب ورجع المهلهل وهو
قاهر وغالب كأنه أرجوان مما سال عليه من أدميه
الفرسان فاجتمع بالسادات والاعيان في الصيوان
فهنوه بالسلامة وقالوا مثلك تكون الشجعان يازينة
الأكوان وجوهرة هذا الزمان فشكرهم على هذا الكلام
ووعدهم بالخير والانعام ثم أكلوا الطعام وأخذوا يتذاكرون
بأمر الحرب والصدام وكان المهلهل صديق يركن اليه
ويعتمد في أموره عليه قوي الجنان فصيح اللسان يقال
له امرؤ النقيس ابن ايان وكان يقاربه بالفروسيه ويساويه
بالفصاحه والهمه العاليه فقاتل معه في ذلك اليوم وفتك في
صناديد القوم وكان لا يفارق الزير في القتال ويحمي ظهره
من غدر الرجال فقال له المهلهل أمام الفرسان ما هو رأيك

يا ابن ايان في الهجوم على الاعداء اللثم تحت جنح
الظلام فاني والله كلما اذكر قتل كليب تتوقد بقلبي
النيران وليس لي عنه صبر ولاسلوان فقال تمهل يا أمير
مهلهل فان النهار قد اقترب ولا بد لنا من بلوغ الارب
لان القتال في الليل يجلب علينا الهم والنويل فتختلط
الاحزاب بالاحزاب ولا تعلمون تعرف الاعداء من الاحقاب
لان الظلام يحجبنا بعضنا البعض وتشتت في هذه الارض
فاستصوب كلامه الزير فقال هكذا اشارت فرسانه:

(قال الراوي) وبات الجيشان يتحارسان وأوقد
النيران فكانت بنو بكر وباقي قبائل العرب قد باتت في
شدة وتعب وأيقن الأمير مرة انه يغلب ويقهر من سيف
الزير الاسد الاسود ولما أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح
تبادرت العساكر الى ميدان الحرب وانكفاح واصطففت
الفرق الى صفوف وترتبت المئات والالوف وتأهب المهلهل

للحرب واستعد للطعن والضرب فركب ظهر الحصان
وتقدم الى معركة الطعان وتبعه امرؤ القيس بن ايان
وقواد الابطال والفرسان بقلوب أقوى من الصوان
وكذلك ركب الامير مرة وبقية الفرق واعتقلوا بالسلاح
والدروع فعند ذلك دقت الطبول وصهدت الخيول وارتفعت
الرايات على رؤوس الامراء والسادات من جميع الجوانب
والجهاات وهجم كل فريق على فريق وتقاتلوا بالسيف
والمزارق وانتفت الامم بالامم وقام الحرب على ساق وقدم
وما مضى ساعة من النهار حتى اشتد هيب النار وطلع
للقنال انغبار وانذل الجباب وحار وارتفع الصياح وعلا
وارتجت أقطار الفلا ولبست الارض من الدماء حلا وعظم
بنبهم البلا وانويل وعاد النهار كسوان الليل وقال المهلهل في
ذلك اليوم وما قصر وفعل افعالا تبقى وتذكر فانه أقنحم
صفوف الاعادي كانه ليث الوادي وحال المامن والمياسر
وطعن فيها طعنا يذهل النواظر ويخير العقول والبصائر وهو

يقول يالشارت كليب مهجه قؤادي ومن كان سندي
واعتماداي ولما طال المطال واشغى غليده من قتال الابطال
قال:

ذهبت الصلح او تردوا كليبا او نبىذ اليين نظرا ذهلا
ذهبت الصلح او تردوا كليبا او نعم السيوف شيبان
ذهبت الصلح او تردوا كليبا او ازهق الرجال قهرا وذلا

فتعجب الفرسان من شعره ومقائه وانذهب من هول
قتاله وكذلك اندهشت باقى ابطاله باقى ومازال الحرب
يعمل الدم ييذل والرجال تقتل الى ان ولّى النهار وارتحل
ودخل الليل واقبل فعند ذلك رجع الامير المهلهل وباقي الجيش
والجحفل وجميع اكابر عشيرته وأهله وأخوته يتحادثون فيما
يجري ويكون فاستقر الرأي على سرعة الانجاز والجهاد
في الحرب والبراز قبل أن يطول الامر وتفوتهم الغلبة

وانصر ثم انهم اكلوا الطعام باتوا في الخيام ولما طلع النهار
واشرقت الشمس والانوار تاهبوا للحرب والكفاح فتقلدوا
بالسيوف والرماح ودقوا الطبول وركبوا ظهور الخيل وتقدمت
الفرسان والابطال الى ساحة القتال وكذلك فعل الامير مرة
والامير جساس ومن يلوذ بهم من عظماء الناس والتقت
العساكر بالعساكر وتقاتلوا بالسيوف والخنجر وكان الامير
المهلل في اول الجحفل فصاح وحمل والتقى الفرسان بقلب
أقوى من الجبل وهو يهدر كالاسد ويضرب فيهم بالسيف
المهند ويقول يائثرات كليب ليث الصدام وزينة الليالي
وكان كلما قتل فارسا يعيد هذا الكلام فقصدته الابطال
من اليمين والشمال وهو يضرب فيهم الضرب الصائب
ولا يبالى بالعواقب حتى مزق الصفوف بحملاته وفرق
الالوف بتواتر طعناته وما تنصف النهار حتى قتل مائه بطل
كرار من الابطال والفرسان المذكورة كذلك فعل امرؤ
القيس ابن ايات وباقي القوוא والشجعان ومازالوا

على تلك الحال الى ان ولى النهار بارتحال فارتدوا عن
الحرب وانصدام ورجعوا الى المضارب والحيام وكان قد
قتل من عرب جساس في ذلك النهار عشرون الف بطل
كرار ومن عرب المهلهل نحو ثلاثة الاف بطل ولما اصبح
الصباح استعد الفرسان للحرب والكفاح فركبوا ظهور
الخيول وتقاتلوا بالسيوف والنصول وهجم المهلهل على
الفرسان الفحول كأنه الغول وهو ينشد ويقول:

هلموا اليوم نلتقي يا ال مرة ونو كانوا ثلاثين الف كرة
وسيف الهند يقطع في يميني فلاتخشى المهالك والمضرة
فاحموا يا بنى عمي لظهري فتحظوا بالاماني والمسرة
فكل الناس ترهب من قتالي اذا ما جلتي في الميدان
كره

سوف اييد جساسا وقومه واسقيهم في حربي كاس مرة

ثم انه لما حمل على الكتائب والمواكب وظهر بافعاله الغرائب
والعجائب وقتل كل شجاع غالب:

(قال الراوي) وما زال القوم في حرب وصدام وقتل
وحصام مدة ثلاثة شهور حتى اشفى الزير غليله من بنى
بكر وقتل منهم كل سيد جليل وفارس نبيل وكان عدد من
قتلهم في تلك المواقع نحو مائة الف مقاتل مابين فارس وراجل
وقتل من جماعه الزير نحو عشرة الآف بطل فلما رأى حساس
ما حل بقومه من النوائب خاف من العواقب وعلم انهم
اذا ثبتوا امامهم يهلكون هلاك الابد لا يبقى منهم احد
فولى وطلب لنفسه الهرب مع باقي طوائف العرب وغنم
الزير غنائم كثيرة

واموال غزيره ثم رجع بمن معه من الفرسان الى
الاطلال وهو في احسن حال وانعم بال ونزل في قصر
اخيه وصارت ملوك العرب تكاتبه وتهاننه وكان يترقب
الافاق للحرب والغزو فشكرته

اليمامه على ما فعل وقالت لاعدمتك ايها البطل فانك اخذت
الثار وطغيت هيب النار ورجعت بالعز والاتصار فشكرها
على هذا الكلام وقال حق رب الانام لايشفى فؤادي
ولايطيب لذيد رقادي حتى اقتل الامير جساس واجعله
مثلا بين الناس وهذا الامر سيتم عن قريب باذن الله
السميع المجيب.

(قال الراوي) بينما هو يترقب الاخبار ويقتفي الاثار ان
دخل عليه العبد نعمان الذي تقدم ذكره قبل الان وكان
من اصحاب الزير واصدقائه المشاهير فسلم عليه وتمثل بين
يديه فنهض له على الاقدام واكرمه غاية الاكرام وبعد ان
جلس قال للزير اعلم يا امير قد جيت الان من ابعد
مكان اولا

لاهيئك بالاتصار واعزيك على فقد ذلك البطل الكرار واثانيا
لاعلمك بانه ظهر لي المنام من مده عشرة ايام رؤيا عجيبيه
تشير الى احوال غريبه وهو النهار ان تحارب احد من

ملوك الاقطار بن

تجنب وقوع الفتن وتبقى مرتاح في الوطن فمتى تمت
هذه الليالي رافقت السعد والاقبال باذن الاله المتعال فأن
حاربت انتصرت وان قاتلت ظفرت وقهرت فشكره
الزير على ذلك الاهتمام وغمره بجزييل الانعام ومن ذلك
اليوم اخذ لنفسه الحذر وتجنب مخاطئه البشر وكان يصرف
ايامه بشرب المدام واكل الطعام واشتهر الخبر في القبائل ان
الزير اوقف الحرب مدة سبع سنين كوامل
(قال الراوي) وكانت بنى مرة قد هامت في الاقطار خوفا
من الهالك والدمار وندم جساس غايه الندم بقتل كليب
الاسد الغشمشم وما زال هو وقومه في خوف وحذر من
عواقب الامور الى ان بلغهم خبر توقيف القتال فزال
عن قلوبهم الهموم والاهوال ورجعوا الى الاطلال.
هذا ما كان من بنى مرة وجساس واما الزير الفارس
الدعاس فانه استمر على تلك الحال وهو في رغد عيش وانعم

بال ان كانت نهايه السنه السادسه فركب الى الصيد
والقنص في جماعه من فرسانه وابتعد عن الديار نحو ثلاثه
ايام ومن الاتفاق الغريب فان الامير حساس راى حلما
في بعض الليالي وهو انه رقد في قرب صيوانه حوض
من الماء فبينما كانت قومه تشرب منه فاذا بذنب كاسر قد
جاء الى الحوض بصفه جمل كبير وله ثمانية انياب فشرب من
الماء ثم ضرب الحوض بنايه فانشق من جانبه وتهور ذلك الماء
حتى كادت قومه ان تهلك من شده العطش والظما ثم
راى النسوان والاولاد بثياب السود والدم جاري مثل
المجاري والجمال تنهش بعضها البعض ودمائها تسيل على وجه
الارض فاستيقظ حساس خائفا من هول ذلك المنام
فاستدعى اليه اخوته وبنى الاعمال وقص عليهم ما راى
وابصر فاستعظموا ذلك الامر وقالوا لا يوجد من يقدر على
تفسيره سوى المنجمين فان حسن عندك ارسل
استدعى عمار الرياحي فانه يفسره لك على يقين فارسل

اليه وحضر وقص عليه الخبر فضرب ورسم الاشكال فبات له
حقائق الاحوال ثم التفت على جساس ومن حضر هنالك
من الناس وقال لهم هذا المنام من عجائب الايام وهو يدل
على شر عظيم وخطب جسيم سوف يحل عليكم من سالم
بوقت قصير وقد اظهر لي ايضا بان اخ المهلهل عندة مهر
الهم اسمة عندم قوي العصب والحيل عديم المثال في
الحيل وسعد الزير مقرون بهذا الحصان وبه وينتصر في
الحرب والطعن فاذا ملكتم هذا الجوان نلتهم المراء واسرتموه
في القتال والطراى . فلما سمع جساس هذا الكلام استبشر
ببلوغ المراء وقال لهم قد بلغنا بان الزير غائب عن القبيله
وما في الحى غير النساء والحصان موجود في الديار
وهذه ازالة الغصه ثم انه ارسل رجلا ليكتشف الخبر ثم رجع
واخبره بصحة الكلام فعند ذلك ركب جساس في ثلاثه الاف
بطل وطرق باب المهلهل على عجل واحاط بساحه الدار من
اليمين واليسار فاستعظم بنات كليب ذلك الامر ولم يعلن

ذلك السبب فطلت اليمامة براسها من الشباك وقالت له
اركب على ظهر انفرس ما هو الداعي يا خالي بقدمك
الى الخي بالابطال والخي خالي من الرجال فقال لها
جننا بطلب المهر الا لاهم المدعو بعندم فقالت له اهلا وسهلا بك
مهما طلبت فلا نمسكه عنك غير انه لا خفائك بان المهر
خاصه بعمي عليه فلا يمكننا ان نسمح فيه ثم اشارت
تقول:

بكم قد حلت البركه علينا وزال الشر عنا مع تكال
فمهما تطلبوا مني تشوفوا خيولا مع بغال وجمال
ولكن مهر عمي غير ممكن اسلمه فان المهر غالي

(قال الراوي) فلما سمع جساس شعرها ونظامها اجابها يقول
على كلامها بهذين البيتين:

تعالوا اسمعوا قول اليمامة تقول المهر لا أعطيه غالي
فاني قاصد أخذه سريعا ولا أخشى العداة ولا أبالي

(قال الراوي) فلما فرغ جساس من شعره نزل عن ظهر
الفرس ودخل الى الاصطبل فوجد المهر فوضع عليه العدة
وركبه وقال لليمامة قد أخذت الحصان وغدا أطار دكم
على ظهره سار وهو فرحان حتى وصل الى الاوطان
فقال لآخيه قد اتيت بالحصان ومرادي اجره في
الميدان فاتتخبوا ثلاثين راسا من الخيل الصوافن
فأركبوها واكمنوا في عشر مكامن وأنا أمر عليكم أسرع
من الريح فاتبعوني في البر الفسيح فان سبق هذا الجواد
بلغنا به المراتل في الحرب والطراول فأجابوه الى ما طلب
وأراد وركبوا الخيول الجياد وركب سلطان أخو جساس
القميرة ووقف في آخر كمين وركب جساس ذلك الحصان
واطلق له العنان فسار في تلك القفار أسرع من الطير اذا

طار ولما اقترب من الخيل تبعته فسبقها جميعا ما عدا القميرة
ففرح جساس ثم نزل عن ظهره وأمر العبيد ان يربطوه
بقرب صيوانه ووكل به مئة عبد وقال لقد اقبل علينا السعد
فسوف نقتل ذلك الوغد.

(قال الراوي) هذا ما كان من جساس واما الزير فانه
عند رجوعه من الصيد استنقذ ذلك الحصان فلم يجده مع
الخيل فصعد الى انقصر وسأل اليمامة وأشار يقول:

يقول الزير ابو ليلى المهلهل بدمع قد جرى منى بدا
يمامة رحت انا نصيد قانص وقومي واخوتي ثم الجياد
لنا عشرون يوما في فلاوة ودرنا من بلاد الى بلاد
وصدنا طيور او ووحوشا كثيرة ودرينى رجعنا للبلاد
وجيت لمهر أخي فما نقيت شر عقلي وعنى عاد غاد
فأين المهر قوطر يا يمامة عدم صبري وفارقنى رشادي
امات المهر أم أحد أخذه من الاوباش والناس الاعادي

فلما سمعت اليمامة شعر عمها اجابته تقول:

تقول اليمامة ياعم اسمع الا ياعم جاؤوا الاعادي
ابي جساس اخذه غضب عني انا حرمة ومالي منه
جلادي

فقلت تأخذه يا خال تندم يجوكم غدا على خيل جياي
وقال غدا الاقيكم بعزمي وقد زادت همومي بزدياد
له ياعم ثلاث ايام غائب وقد زان حزني بزدياد
فقم ياعم شد الخيل وركب بعسكر كأنهم رف الجرار
وميل على بني مرة بسيفك واحصد جمعهم مثل الحصا
ياعمي عدية اليوم يومك ياعزي وفخري واعتمادي
وهاتوا راس جساس سريعا اجبر خاطري واشفي فؤادي

فلما فرغت من شعرها ونظامها اجابها الزير يقول:

يقول الزير قهار الاعادي انا السبع الجسور في كل وادي
غدا لا بد اجد في لقاءهم واحصد جمعهم يوم الجهاد
واخذ ثارنا من آل بكر واطفي النار من طي الفؤادي
واخذ مهرنا المدعو بعندم ويظهر ذكرنا بين العبادي
فمن يذهب يقول لا ولاد مرة اتاكم اليوم ذباح الاعادي
اتاكم المهلهل مع آل تغلب اسود الحرب في يوم انظراد
الا يا آل مرة سوف اشفي بقتل ساداتكم فؤادي
ولا يخفاكم يا آل مرة بقتل كليب صرتم لي أعادي

فلما فرغ الزير من شعره دخل وجلس في الديوان وجمع
اخواته والامراء والاعيان واخبرهم بواقعة الحال وقال لهم
مارايكم في اسجلاب الحصان فقالوا له الراي رايك
ونحن طوع يدك قال متى كان الصباح تركبوا في
ثلاثة الاف فارس وتكمنوا في وادي الهجين وانا اكمن

في وادي المطلا وكان هذا المكان يبعد عن بني مرة
مسافة ميل ثم قال لاختيه عديه وانت قم الان وغير ثيابك
وزيك والبس ثياب ممزقه حتى لا أحد يعود يعرفك واذهب
لحي بني مرة وتجلس بقرب صيوان جساس فاذا سألوك
عن بلادل ومهنتك فقل لهم من بلال الصعيد ومهنتي
هي سياسة الخيل وانا قد بلغني ان جساس من محبته في
الحصان كل يوم يسلمه الى سايس فاذا قال لك هل تريد
ان تخدم عندي وتسوس هذا المهر فقل نعم حتى اذا تمكنت
منه تركب ظهره وتلحقنا الى ذلك المكان فمتى صرت
هنالك لا تخف ولا تحسب لهم حساب ولو كانوا بعدد التراب
فاني سأبيد جمعهم بعون رب العالمين واخذ ثارنا من
جساس اللعين فاستصوب رايه ولبس ثياب ممزقه وتجمع بعمامه
والتحف بحرام عتيق وغير زيه وتنكر وسار يقطع البر الاقفر
الى ان حي بني مرة فقصد صيوان جساس وكان قد
اقبل الليل فرقد بين اطناب الحيام ولما كان الصباح جلس

الامير حساس واجتمعت حوله اكابر الناس ثم وضعوا موائد
الطعام واخلوا يتذكرون بالكلام فبينما هم كذلك ان حانت
من حساس التغاته فرأى عديده وهو على تلك الصفات
فشفق عليه وقال لبعض غلمانه اطعم هذا الفقير واساله عن
حاجته فأخذ له الغلام طبق الطعام وساله عن بلاده
فقال اننى من بلاد الصعيد ومهنتى سياسه خيل الاماجيد
فقد جار على الزمان فأتيت منالوطان قاصدا اهل
الفضل والاحسان الى ان وصلت الى هذا المكان
فطيب الغلام خاطره واعلم مولاه بحاله فقال حساس اذا كان
منبلال الصعيد فهو ادراء بسياسه الخيل من العبيد فدعوه
يسوس لنا عند المهر الجديد وانا اعطيه كل ما يريد ونا وجدته
من الماهرين سلمته جميع خيلي وجعلته رئيس
اصطيلي فلما قال له الغلام هذا الكلام دعا حساس بطول
العمر ثم ان تحزم وتقدم الى المهر ففك قيود رجليه وقبله
بين عينيه وقال هذا يومك يا جوادي فقد بلغت الات

مرادي وكان المهر لما رأى صاحبه عرفه فمال إليه وألفه
فتعجب جساس وباقي الناس لأن الجوار كان لا يأنف
أحد من العبيد الموكلين عليه من قاربه ضربه بيده ورجله
فقال جساس وحق رب الأنام إن هذا السيئس يستحق
الأكرام والآنعام وكان عليه لما تمكن من المهر ركب
على ظهره ثم نكزه برجليه وصاح فسار مثل هبوب الرياح
وجد في قطع البطاح كأنه طير بلا جناح فلما رأى جساس
تلك الحال تغيرت منه الأجوال وعلم أنها حيله قد تمت عليه
ولطم على خديه ووجهه وصاح على الأبطال والفرسان
وقال دونكم هذا الشيطان فقد احتال علينا وخدعنا بالمر
والاحتيال حتى نال طلبه بلغ قصده وأربه فعند ذلك ركبت
الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالسيوف والنصول وتبعوه
في تلك السهول وهم يصيحون وراءه ويجدون في قطع
أنفاله إلى أن وصل إلى ذلك الوادي الغدير فوجد أحاه
الزير وهو كامن هناك في جماعه من الأبطال صناديد

الرجال فاعلمه بواقعة الحال فقال خذ حذرئ الان فقد
اتتك الفرسات من كل جانب ومكانفتسم المهلهل وقال
سوف ترى ما افعل ثم انه نزل عن ظهر حصانه واعطاه
لاحيه واخذ المهلهل الالاهم ووضع عليه عدة جواده ثم ركب
وتلملم واذا بالخيول والمواكب قد احاطت به من كل جانب
وصاح عليهم وحمل بقلب اقوى من الجبل ومل عليهم
بالحسام كانه ليث الاجام فطير الرؤوس عن الاجسام وفتك
فيهم فتك الذئاب بالاغنام وفي اقل من ساعه ادركته بقيه
الجماعه الذين كانوا مكمنين في وادي الهجين فانصبوا
عليهم كالشوهين من الشمال واليمين وكان قد وصل الخبر
الى حساس فأخذه القلق والتوسواس فركب بياقي الابطال
ومن يتمد عليهم من الرجال وقصد ذلك المكان وقاتل
قتال الشجعان واتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال
وعظمت الالهوال وجرى الدم وسال وكثر القيل والنقال
وتزلزلت الارض من هول القتال وكانت واقعه عظيمه لمسمع

بمثلها في الايام القديمه انهزم فيها حساس اقبح هزيمة وغنم
المهلل غنيمة جسيمه لها قدر وقيمه ورجع الى الديار والعز
والانتصار فالتقته النساء بالدخول والمزامير ثم طلع الى
القصر وهو منشراح الصدر فشكرته بنت اخيه على ما فعل
وقلن لله درك من بطل فقد احدث اثار وطفيت من
القلوب هيب النار فالله يحفظك ويقيك وينصرك على
حسادك واعاديك فشكرهن على هذا الكلام وبعد ان
خلع ثيابه جلس للطعام وشرب المدام ثم دخلت امه فقبلته
بين عينييه وهناته بذلك الانتصار وطلبت منه ان يرفع عن
بنى مرة السيف البتار فاستقبلها بالوقار والاعتبار وقال لها والله
اني لا اصالحهم يا امه حتى يعود كليب الى قيد الحياة ثم
تذكر تلك الواقعة وما جرى له في تلك الايام مع القوم فأنشد
يقول وعمر السامعين يطول:

يقول الزير أبو ليلى المهلل وقلب الزير قاسي ما يلينا

وان لان الحديد ما لان قلبي وقلبي من حديد القاسيينا

تريدي يا أميه أن أصالح وما تدري بما فعلوه فينا
فسبع سنين قد مرت علي أبيت الليل مغموما حزينا
أبات الليل أنعي في كليب أقول لعله يأتي إلينا
كان كليب في رؤوس المعلا تغشاه ذئاب الجائعينا
أتنى بناته تبكي وتنعي تقول اليوم صرنا حائرنا
فقد غابت عيون أخيك عنا وخلانا يتامى قاصرنا
سللت السيف في وجه اليمامة وقلت لها أمام الحاضرنا
وانت اليوم يا عمي مكانه وليس لنا بغيرك معينا
وقلت لها ما تقول أنك عمك حماة الخائفينا
كمثل السبع في صدمات قوم أقلبهم شمالا مع يميننا
فدوسي يا يمامة فوق راسي على شاشي إذا كنا نسينا
فان دارت رحانا مع رحاهم طحناهم وكنا الطاحيننا
أقاتلهم على ظهر المهر أبو حجلان مطلوق اليميننا

فشدي يا يمامه المهر شدي وأكسي ظهره السرج المتينا
وهاتي حربتي رطلين وازود وحطيتها على عدل متينا
ونادي على عدية وكل قومي صناديد الحرب المانعينا
ونادي أخوتي يأتوا سريعا لنلقي جيش بكر أجمعينا
فنادتهم أتوا كأسود غاب وقالوا قد اتينا يا أخينا
ويأتوا يحرسون الليل كله وقضوا الليل كله وساهرينا

(قال الراوي) فلما فرغ الزير من شعره ونظامه شكره
الجميع على مقاله وباتوا تلك الليلة في سرور وانشراح ولما
اصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أمر الزير قومه بالاستعداد
للحرب فركب ظهر الجواد وتبعته الفرسان والقبائل
وقصدوا بني مرة بقلوب قوية وهمم عليه فالتقاهم جساس مع
أخوته وأهله واشتبك بينهم القتال وعظمت الاهوال وابتلت بني
مرة بالبلاء والويل وكان الزير يحصد فيهم بالنهار والليل
واستمر القتال بين الفريقين مدة سنتين حتى فقد من بني

مرة في هذا الحرب الاخير نحو اثني عشر الف أمير عدا
السادات والاكابر والجيوش والعساكر وكان الزير يأمر قومه
بقطع الرؤوس ووضعها في المخازن لانه كان قد اقسم بالله
العظيم ان سيملي البيوت من جماجمهم وباقي
الاماكن فلما طال المطال واشتدت على بكر الاهوال
اجتمعت اكابر الناس مع الامير حساس واخذوا يتفوضون
كيف يتخلصون لان الزير لا يقبل منهم فدى وجميع
وسائهم التي استعملوها في توقيف الحرب راحت
سدى فقال سلطان لاختيه حساس أعلم يا أخي بأن
الزير في كل صباح يمر على قبر أخيه فيجيبه بالسلام ويقول
له قد قتلت في ثار لك فلان وفلان فهل اكتفيت أم لا
فلا يجيبه أحد فالرأي عندي ان اتخبوا رجلا وتضعوه
داخل القبة بحيث لا يراه أحد فإذا مر الزير على القبر حسب
عادته وسأل أخاه ذلك السؤال فيجيبه الرجل بصوت خفيف
من قلب ضعيف لقد اكتفيت يا أخي فاغمد سيفك من

هذا اليوم عن قتال القوم وايات اذية البشر فان ذلك مما
يجلب علي الضرر فاذا سمع هذا المقال فلربما ينطلي عليه
الحال فيكف عن الحرب والنقتال فنستريح من القيل والنقال
فاستصوب جساس وباقي الاعيان رأي الامير سلطان
(قال الراوي) وكان في القبيله رجل فقير الحال عديم
الاشغال فاستدعاه جساس اليه وقص ذلك الكلام عليه وقال له
اذا بلغنا الارب ولكن الطريقه خطره قبيحة فآخذ جساس
يحسه بالكلام ويرغبه في هذا بالشعر والنظام :

على ما قال جساس بنى مرة الا يا فارغ الاشغال اسمع
فلي عندك حاجه صغيره فتقضيها سريعا لم ترجع
فان الزير لا شاننا جميعا وفرق جمعنا في كل موضوع
ولا يقبل رجاء ولا عطيا وعن الافعال ما كان يرجع
بثار كليب صرنا شرايد اعدم في الوغى كل ليث اروع
يمر في قبره في كل صباح ويزعق بصوت للاكباد يصدع

يقول الا نعمت أخي صباحا أيكفي ما قتلت تريد ارجع
فأذهب واختبى بالقبر حالا اذا صاح المهلهل انت تسمع
اذا سألك أحارب أو اصالح اجيبه انت محفوظ ارجع
ان رضيت منهم نلت ثأري وانت بقتلهم لا عدت تطمع
لعله يظن انك انت اخيه فيصفح عن مآلنا ويرجع

(قال الراوي) فلما فرغ جساس من هذا المقال قال له
عديم الاشغال على الراس والعين ولما كان الليل حفروا
سر دابا وصلوه الى القبر وادخلوا ذلك الرجل فيه ولما كان
الصباح ركب الزير ظهر الحصان وتبعه الابطال والفرسان
ومر على قبر اخيه حسب عادته ونادى بصوت عال نعمت
صباحا يا أخي كليب فقد قتلت في ثأرك نهارا امس
خمسة آلاف نفس أيكفي ما قتلت منهم او ارجع افنيهم عن
بكرائهم فاجابه ذلك الرجل من القبر بصوت خفيف وانت
انعمت صباحا يا أخي الخنوف يا ساقى الضد كاس

المنون كف الحرب فقد اكتفيت وان قاتلتهم بعد اليوم
تكون قد تعديت

وبغيت فتزيدني ضررا وغما وكدرافان نفسي قد بلغت
مناها ونالت مشتهاها فكثرت خيراتك وزادت في الدنيا
مسرتك.

(قال الراوي) فلما سمع الزير هذا الكلام زالت اتراحه
وزاد فرحه وانشراحه وقال سبحان الرحمن الرحيم
الذي يحيي العظام وهي رميم انت يا اخي بخير ونحن
بعدك نقاسي الضنك والضير

ثم نزل عن ظهر الحصان ودخل الى القبر وهو فرحان
وقال اذا كنت بخير يا ابا اليمامة فما هي هذه السكتة
والاقامة بعد العز والكرامة فقم الى عند بناتك فانهن في
حزن وكدر ثم تقدم اليه وتامل فيه بالنظر فراه انه ذلك
الرجل المعهود فغاب المهلهل من الوجوه فجذبه من
حيته واخرجه من السرداب وقال له اصدقني بالحطاب

فمن انت ومن تكون قبل ان تشرب كاس المنون
فأعلمه بواقعه الحال وحقيقة الاعمال فسل السيف ليقتله وقد
اغاضه فعله فقال انا بجيرة كليب اخيك فلا كان من يعاديك
وقد جرنني جهلي من قلله عقلي حتى جرای ما
جراى يا فخر الوراى .

فلما سمع الزير كلامه ابدى ابتسامه فصطح عنه واعطاه
جوادا من اطايب خيل العرب والنف دينار من الذهب
فدعاه بطول العمر وخرج من القبر وهو يقول:
والله ان الامير كليب يحمي اليوم الخائف في مماته كما
كان يحميه في ايام حياته ثم راجع الى القبيلة وهو يتعجب
من تلك الحيلة وفي الغد ركب فرقه من الابطال وقصدوا
بنومرة واشتبك بينهم القتال وعظمت الاهوال وما زانوت في
قتال وصدام مدة عشر ايام فانكسرت بنومرة انكسار وقتل
الزير مقتله عظيمه المقدار وكان ياتي براس سادات
الجماعة فيضعها على قبر كليب مدة ساعه ثم يدفنها تحت

انثرى ويبنى فوقها القصور والقرى وكان كما اقبل
مناحرب في المساء تلتقيه اليمامة مع جماعه من النساء
فتقول يا سيد الناس هل اتيت براس جساس حتى
نخلع السوان ويطيّب الفؤاد فيقول كوني براحه بال فسوف
تبلغين الامال باذن الاله المتعال هذا ماكان من المهلهل
واما جساس فانه قد استقبل ولما ضاق به الحال اجتمع اهله
وعشيرته وعقدوا بينهم ديوانا فاستقر رايهم على ان يذهبوا
الى بلاد الحبشه والسوان ويلجأوا بالملك الرعيني ابن احت
اللتبع حسان فركب في ثاني الايام احوته واكابر عشيرته
واخدمعه احتة الجليلهلتشفغ لهم عند حريم الملك الرعيني
وبقي اخوة شاويش في الحي وكان هذا الرجل يحب
الزير من ايام صباه فعند رجيل جساس حضر شاويش
الى عند الزير واعلمه بما جرى وكان من مسير الزير
احواته عند ملك الحبشه والسوان ان فأعطاه الزير الامان
وقال له انيما عدت احاربكم من الان حتى تحضر

اخواتك الى الاوطان بالابطال والفرسان وتوقف الزير
من ذلك اليوم عن محاربه انقوم وصار يصرف اوقاته في
بالصيد والقتنص هذا ما كان من المهلهل واما جساس فانه
قد جرى في قطع انقفار حتى وصل الى بلاد الحبشه وتلك
الديار ودخل على الملك الرعيني
ووقع عليه بعد ما علمه بحادثهم الحاضره وطلب منه انجده
والمساعدة على حرب الزير ايضا بان كليب قتل خاله تبع
حسان وقتله هو وبقته قام اخوه الزير يحاربهم حتى كان
ان يفنيهم فلما سمع الرعيني هذا الكلام قال لقد بلغت اليوم
منكم المرام ولا بد من نبحكم بحد الحسام لانكم من قوم ثمام
قتلتهم خالي واتيتم تستجيرون بي ثم امر بقبضهم وكانت
الجليله واقفه على باب الصيوان وهي مثل الطاوروس
لابسه افخر الملبوس كانها العروس فلما شاهدت ما جرى
على قومها خافت من العواقب فشقت المواكب وتمثلت
امام الرعيني فقبلت اياديها ودعت له بطول العمر فلما راها

الرعينى تعجب منفرد حسنها فمال قلبه اليها ووقع في
شرك هواها فقال لها من تكونين يا مہجة الفؤاد وبغيہ المراد
فقلت له اخت القوم الذين امرت بقبضهم بدون ذنب ثم
اشارت تقول

ما قالت الجليله بنت مرة ايا ابو فهد اصحى دير بالك
وانظر ياسياج البيض فينا وانظر الذي وقفوا قبالك
انا نقيتك يا ملك البوادي يا من بالملا شاعت فعالك
ملوك الارض كنا يا مسمى فانت نظيرنا ونحن مثالك
فالذي جرى كله مقدر ايا فخر الورى من قتل خالك
قتل خالك كليب في حسامه وقام اخي الذي واقف
قبالك

قتل لكليب خالك بسيفه كرمت خاطر لك واصفى بالك
ظهر لكليب اخ اسمه المهلهل حرمننا النوم زاد الله مالك
قتل منا اما جيد كثره اتيننا واقفين على ديارك
فهذا اليوم يومك يا مسمى فذق الطبل واركب في رجالك

وسرمعنا الى الزير المهلهل فقتله ودسه في نعالك
وحكم سائر العربان يا ملك على امولهم تبقى حلالك
ولا تشمت العدا يا امير فينا اتينا لك وصرنا من عيالك
وانت صميدع شهم كريم جميع الخلق تفزع من خيالك

(قال الراوي) فلما فرغت الجليده من نظامها وفهم
فحوى قصدها ومرامها ثارت في راسه الحميه وقال قد
فهمت قولك يا صبيه ثم اشار يقول عمر السامعين يطول:

قال الرعيى ابو فهد قال الا يا جليده اسمعي المقال
واتم افهموا قولى ياملوك اولاد مرة ترونى الهم زایل
اتيتم تلتجوا في الجميع وقعنم على وقع العيال
من جور الزير يا أهل الكرم دهاكم ضناكم رماكم بحال
فوحياه راسي ورحمت ابي من خلق الارض وارسى
الجبال

لأركب عليه بكل الفحول وأجرد عساكر شبه الرمال
واقتل أعداءكم بجاه السيوف وأنا ألع الزير في سوء حال
جليله طيبى أنت وأبشري أنا فداء أخوئك بحد النصال
أيا أخى غطاس انهض الآن واجمع الفوارس والأبطال
نادى على الجيش أن يركبوا يلبسوا الزرد والنصول
الصقال

ودقوا الطبول وشدوا الخيول وامشوا الفحول شبه العذال
فدعنا نسير نزيل عسير عن أولاد مرة هذا النكال

(قال الرواي) فلما فرغ الرعينى من كلامه نهض أخو
غطاس الوزير وجمع الأبطال والفرسان والعساكر السودان
ونادى المنادى أن السفر يكون بعد ثلاثة أيام ولما
تجهزت العساكر للمسير لحرب الزير كان عندهم ستمائة
الف بطل ففرح جساس ومن معه من الناس فلما رأوا تلك
السهول قد امتلأت بالخيول وفي اليوم الثالث دقت الطبول

ولمعت النصول وسارت العساكر كالبحور الزواخر في
أوهن الملك الرعيني وأكابر دولته وجساس وباقي عشيرته
ومازالوا يقطعون البراري والأكام حتى وصلوا إلى
بلاد الشام فأرسل جساس يعلم قومه بقدوم هذا العسكر وأن
يهيئوا لهم الأطعمه والذخر فلما سمعوا هذا الخبر فرحوا فرحا
عظيما وهيئوا لهم ما يحتاجون اليه من الطعام والمداين
وخرجت النساء والرجال للقاءهم فلما وصلوا إلى الديار
نزلوا في المضارب وقد تباشر قوم جساس بالنجاح والظفر
وبلوغ الأمل.

(قال الراوي) كل هذا يجري والوزير ليس عنده خبر
بشيء من هذا الأمور بل كان مواضبا على السرور
وشرب الخمر فبينما هو كذلك أن دخل عليه أخوه عدي
وقال انت جالس في صفائك ولا تدري فيما دهاك من
اعدائك وإشار ينشد ويقول:

نقد قال الفتى المدعو عدي ودمع العين فوق الخد ساجم
اراك اليوم في زهو وهو تنبه يا أخي ان كنت نائم
فقم على ماسوف يجري من الاعداء يا ابن الاكارم
اتونا قوم مرة بالرعينى ملك جبار بالاحكام ظالم
نقد ذهبوا اليه يا مهلهل فجاء بست كرات عوالم
بهم من كل قوم ليث اروع وهو من بينهم مثل الصقر حائم

تبدى الزير حال ثم قال له تخاف من العدى واخولك
سالم

انا وحدي الاقيهم بعزمي انا الدعاس في يوم الزحائم
واني سوف اقتل الرعينى واقطع راسه والله عالم
وافنى جيشه مع جيش مرة انا المقدام ما بين المعالم

(قال الراوي) فلما فرغ الزير من نظامه وفهمت قومه
فحوى كلامه تعجبوا من هذا المقال وشكروه على تلك

الفعال واخذوا يستعدون للحرب والقتال واما الزير فانه
صبر الى الليل وغير زيه وتكرر حتى لم يعد يعرفه احد من
البشر وجعل نفسه كأحد شعراء العرب الذين يقصدون
الامراء وارباب المناصب والرتب طمعا في انفضه والذهب
ثم ركب الحصان وتقلد بالحسام من تحت الثياب واخذ
معه بعض الغلمان وسار الى قبيلة بنى مرة ولم يعلم به
انسان ولم اقترب من الحلة نزل عن ظهر الجواد وسلم
الى الغلام وقصد المضارب والخيام حتى وصل الى
صيوان الرعيني فوجده جالس وحده فدخل وسلم عليه
وتمثل بين يديه فلما راه الرعيني في ذلك المنظر خاف وانذعر
وسأله عن مهنته فقال اننى شاعر اطوف على الامراء
والاكابر فاحصل منهم على الانعام ومزيد الاكرام وقد سمعت
انك في بنى مرة فأتيت قاصداك من مدينة البصرة الى
ان تشرفت بطاعتك وتمثلت امام حضرتك.
(قال الراوي) وكان للرعيني زوجة تدعى بدور كانت

خلف الستار فسمعت ما دار بينهم من الايراد فأرسلت
جاريته تقول للملك ان يأمر الشاعر بالانشاد فقال الرعيني
انشد يا شاعر فانشد يقول:

قال الاديب الذي طالب احسانك يرجي بوسط الحشا
والقلب بزار
يا أبو فهد يارعيني استمع ما أقول يا من قلوب العداء بالروع
هزار
قد كنت قبلا في خير وفي نعم مستور ما بين اهلي ما أنا
معتاز
فصرت شاعر على الاجواء أطوي الارض ماشي على
عكاز
قالوا فسر للرعيني مقصد الشعر فذاك جوال يعطي كل
معتاز

فجئت طالب احسانك واكرامك يا من حوت المكارم بالعطا
المعتاز

الجزء السادس

(قال الراوي) فلما فرغ الزير من كلامه امر الملك
الخزندار ان يعطيه الف دينار فعند ذلك سل سيفه الابتر
اسرع من لمح البصر وضرب الرعيني على عاتقه خرج
من علائقه ثم مال على الطواشيء والخدام بضرب الحسام
وبعد ذلك هجم على الخيام كسيع الاجام فقتل الرجال ومدد
الابطال ووقع في السودان الضجيج والصياح والعيول
وانتواح فخرجت الابطال من المضارب وركبوا ظهور
الجنايب فتقلدوا بالسيوف وهجموا على بنى مرة صفوف
صفوف وهم لم يعلموا سبب ذلك التويل من شدة سواد
الليل غير انهم ظنوا بنى مرة قد خدعوهم حتى اتوا معهم
الى بلادهم فقتلوا ملكهم وغدروهم فلما رأى حساس ما حل

بقومه من السودان استعظم ذلك الشأن فركب جواده
وتبعه اجناده واظطرب ان يدافع عن نفسه ويحامي عن
ابناء نفسه فقاتل تلك الليلة حتى استقتل وفعلت رجاله مثلما
فعل وكانت ليده مهولة وحادثه غير مأمولة كثر فيها القتل
والجراح الى وقت الصباح وكان المهلهل لم بلغ القصد والامل
بذلك العمل ارسل عبده في الحال الى الاطلاع في طلب
الفرسان والابطال وحضروا عند طلوع النهار واحاطوا
بالاعادي من اليمين واليسار وحكموا فيهم ضرب السيف
البتار واستمر الحرب والصدام بين القوم ثلاثة أيام حتى
ابلاههم المهلهل بالنويل والدمار وقتل منهم كل بطل مغوار واسد
كرار وكان من جملة المقتولين الامير غطاس قائد جيش
السودان فلما رأت الجيش ماحل به من الهوان وت
الادبار وأوسعت في جوانب القفار وكذلك انهزم حساس
ومن تبعه من الناس وتفرقوا بالفلاة وهم يقصدون النجاة
ورجع الزير مع قومه غالبين غامنين ظافرين ودخل القصر

بالعز والنصر وصحبته اكابر القواال الذين عليهم الاعتماد
وهم يثنون على المهلهل ويقولون لا عدنا طلعناك ايها
البطل فبسيبك نلن المراد وقهرنا الاعادي والحساد فلا
زالت ايامك في سعاد وعداوك مقهور ومكمول ثم انه اكلوا
الطعام وشربوا المدام وباتوا تلك الليله في سرور وافراح
على ذلك الانتصار واما الامير جساس فانه بات في قلق
ووسواس وندم على ما فعل وقطع من سلامته الامل ولا
سيما لما بلغته الاخبار بان الاختلاف والانكسار الذي
جرى عليهم في الليل والنهار كان بحيلة المهلهل الاسد
الكرار فزال همهم وعظم حزنهم وغمهم فكانت قبائل العرب
يطلب منها المساعدة على قتال بني تغلب وانظمت عدة قبائل
برسم المساعدة وصاروا ايدا واحده وكذلك انظم مع الزير جملة
قبائل مشاهير فحتى لم يبق في بلاد العرب قبيله الا
وانضمت مع بني تغلب.

(قال الراوي) من غريب الاتفاق المستحق التسطير في

الاوراق بأن الامير مهلهل خرج ذات يوم في عشرة الاف
بطل ومعه الامير كتيّف وكان من أشرف تغلب وفرسانه
الغضاريف وتبطّن في جوانب القفر ليجس أحوال بني بكر
فمر في قبيلة من قبائل العرب يقال لهم بنو تميم وهم من
فرع تغلب وكانت هذه القبيلة ذات خيرات جزيله واجتمع
المهلهل بفرسانها وسيدها الامير عمر وقال لهم اركبوا معنا يا بني
تميم لقتل بني بكر فابوا وقالوا عن فرد لسان لا نحارب
من لم يحاربنا من العربات فقال المهلهل اما شملتكم الحرب
لحد الان فقالوا الا يا فارس الميدان فقال فو حق الاله الخالق
ما كنت اظن انها شملت كل من في المغارب والمشارك
وما دام الامر كذلك يوجوه العرب تنحوا عن منازلكم خوفا
من حلول الحرب واقتصدوا غير هذه الديار مرادنا ان
نقاتلهم تحت ستور الاعتكار فان حاربناهم لا تأمنون على
انفسكم من شرهم واذاهم لانكم فرع من قبيلة بني تغلب
فان تقيمون منكم لهذا السبب فقالوا ما علينا من بئس

فانهم يحاربون من يعترض لهم من الناس اغتاض المهلهل
من هذا الكلام وكان عليه اشد من ضرب الحسام
فتركهم وسار من الاثر بمن معه من العسكر وجد في
قطع القفار والتقى بقوم من بنى بكر في ذلك الجوار فكبسهم
تحت ظلام الليل وابلاهم بالذل والويل فسلبى اموالهم وقتل
رجالهم وأخذ رؤوس ساداتهم العظام ورجع في الظلام وطرح
الرؤوس بين خيام القوم المعتزلين من بنى تميم المذكورين
الذين كانوا راقدين ثم تركهم وارتحل وسار على عجل
فلما استيقظت بنو تميم من المنام ورأت الرؤوس بين اطناب
الخيام فأيقنوا انها مكيدة من المهلهل فزاد بهم الخوف والنوول
وعلموا انهم لابد ان العدو يتهمهم في ذلك العمل فنهضوا
وارتحلوا من اطلالهم بموشيهام واموالهم وانظموا الى قبيلة
تغلب والتجواء بالمهلهل فارس العجم والعرب فلم يبق قبيله
من قبائل العربان في ذلك الزمان الا شملتها الحرب
واهوان.

(قال الراوي) ولما عظم الامر على جناس وضاق به
الانفاس فصمد الى العابد نعمان الذي تقدم ذكره قبل
الان فوقع عليه وشكا حاله اليه وبكى بين يديه وطلب منه
ان يسير بالعجل ويقصد الامير مهلهل ويطلب منه كف
الحرب والطعان من الزمان حينما ترتاح النفوس
والقلوب من هول تلك الحرب التي اهلكت الرجال ورملت
النساء ويتمت الاطفال فلما سمع قوله رقى له فسار الى عند
المهلهل في الحال وطلب منه ان يكف القتال ونوبره قصيره
ومده يسيره وذلك لراحه القبيلتين وحير الفريقين فاجابه الى
ذلك المرام لانه كان يحبه لونه باقى الانام وامر بتوقيف
الحرب عن النجوم من ذلك اليوم واشتغل المهلهل في تلك
الايام بالملاهي وشرب المدام واكل الطعام وسمع الاصوات
والانغام ومغازلة النساء في الصباح والمساء وكان جناس
يترب على المهلهل الفرص ليقتله ويزيل ما بقلبه من
الغصص فبلغه في بعض الايام ان الزير طريح الفراش في

الخيام من كثرة شري المدام وان اخواته قد خرجوا
للصيد ولا يرجعون الا بعد ثلاثة ايام فجمع اخوته واعلمهم
بذلك الخبر واتفق رايهم انه بعد غروب الشمس يركب اخوهم
سلطان في جماعه من الفرسان ويكبس سالم الزير على
حين غفله ولما كان الليل ركب سلطان في ثلاثة الاف بطل
وقصد حي المهلهل ولما صار هنالك هجم عليه وهو راقد
في الخيمه سكران فاحاطت به الفرسان وقبضوا عليه
واوثقوه كتافا ثم نزلوا عليه بالسيوف الى ان اثخنوه بالجراح
واتلفوه حتى صار عبره لمن اعتبر وكان دمه يسيل كالطر
فزادت افرحهم وزالت اتراحهم وقالوا لقد بلغنا الارب
ورفعنا الحرب عن العرب.

ثم انهم وضعوه في جلد جاموس وخذوة الى عند اخته
ضباع وقالوا لها لقد اتيناك بقاتل ولدك فخذيه واشفي
منه غليل كبدا فيا ما قتل ويتم ورمل فما هان عليها ذلك
الامر لكنها اظهرت لهم السرور والفرح وقالت ان جزاء

الغدار الحرق بالنار ثم تركوها وساروا واما هي فقد
احتارت في امرها وزادت احزانها عليها وانه وان قتل
ولدها فانه سيد للقبيله ذكر الايبور على مدى الدهور.
فبينما هي في بحر الافتكار واذا به قد فاق من غشوته
وصحى من سكرته وقال وهو على اخر رمق سبحان
الحى الدائم ثم صاح يطلب عبده شهوان وهو يظن انه
في ذلك المكان فقالت له ضبا ع قد انتقموا منك أعدائك
فأصحى فقد نقت الموت والهلاك فلما رأى ذاته عند
أخته وهو على تلك الحال انشد وقال:

قال الزير ابو ليلى المهلهل ونار الحزن توقد في حشاه
فكان كليب ملك البرايا أتى جساس غداره بالفلاه
جلست في مكانه أخذ نثاره وكنت أنعيه صباحا مع مساء
فقال الشيخ كف الحرب عاجل ولا تقتل بسيف ولا قناه
جلست بخيمتي والدن جنبى وعندي العبد ما عندي

سواه

وقومي كلهم للصيد راحوا فعرفوا انقوم مع باقي العداة
أتوني والمقدر كان كائن وحلى كل مما أن تراة
اتوا بي لعندك يا أخت حتى تنالي الثأر يا غاية مناه
كلينى يا ضباع أو أقتلينى انا أخوك اذا احتبك القناه
فانتى تشبهى اللبوات حقا وانى مشبه سبع الفلاه
فألتينى بصندوق مزفت وأرمينى ببحر فى مياه
أيا أسما أفعلى انت بأصلك ربيعه بيننا ما غباه

(قال الراوى) فلما فرغ الزير من كلامه غاب عن
الوجود وصار فى صفة المفقود وكانت ضباع لما سمعت
من أخيها هذا الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام ثم انها
جاءت بصندوق كبير فوضعت فيه سالم الزير وزفتته وطلته
بالقار وكان عندها عبدان أمرتهما ان يحملان ذلك
الصندوق ويلقياه فى البحر فحملاه وسارت هي معهما

تحت جناح الظلام الى ان وصلا الى شاطئ البحر
فطرحاه هنالك في البحر ثم بكت ضبا ع عندما غاب عنها
اخيها ورجعت تنوح من فؤاد أحرق قلبى بفراقك يا جميل
المحامل وفخر الاواخر ثم أنشدت تقول بهذه الايات:

تقول ضبا ع من قلب حزين ايا عيني فزيدي في بكاه
كواني البين في أول زماني رمانى الدهر في أعظم بلاها

ايا دمعي فزيدي في سخاكي على محزونة فقدت
أخاها

نقد كان ملوك البرايا ومن أعلا ملوك الارض جاها
كليب جساس الذي قتله طعنه طعنه برمح في قفاها
ترث لدمه على الارض فاير بحربة مسمعه من السم سقاها
وقام الزيركي يأخذ بثأره فقاتل آل مرة ثم هفاها
نقد قتله سلطان بغدر اثني عشر الف حملة فناها

فقال خذوه الى اخته الحزينه لتأخذ ثار ولدها مع أخيها
فحطيه في صندوق مقفل ومن بنى مرة ما يعلم حداها
وقلت له روح يا جمل المحامل ايا عود بيتى انخنها
وقلت قتلته يا فخر قومك ايا حطاما للجائع عشاها
ايا يوما اخذه الموج عاجل وموج البحر يلطم في مداها
فقلت له روح ايا سبع بغاب يوم الحرب ماتعطي قفاها
وهذا صار في عصر الجليله اله العرش يعدمها صباها
فسر ياريح واخبر اليمامة لتصبح ثم تسي في بكاهها

ثم رجعت الى الحي وصبرت حتى رجعت أخوتها وبني
عمها من الصيد فأعلمتهم بتلك القضية وما حل بالزير وقالت
والله انكم بعد المهلهل تتعبون مع جساس فتأسفوا جميعهم عليه
وبكوا من فؤاد موجدوع ثم ان ضباع كتمت ما فعلت
بأخيها وشاع الخبر انها احرقته بالنار وأخذت الثأر ولما شاع
الخبر وانتشر بين الناس فرحت بنو مرة وجساس واما أخوة

الزير فانهم شقوا ثيابهم من فرط أحزانهم وأخذوا يعددوه
ويندبوه بالاشعار ويذكرون ما له من محاسن الآثار
وكان أكثرهم حزنا أخوه عدي الذي يقول فيه:

أيا ويلي فدمع العين هلا على الخدين من دمع
صبا به

على فقد الفتى مهلهل أنور العين تدري ما أصابه
غدونا كلنا للصيد عنه وهو جالس كأنه سبع غابه
وعند رجوعنا لم نلتقيه فأحرق وسط مهجتنا غياه
فمن يوم أخيه كليب ولّى فلا يسرح ولا يلقى صحابه
وما فارق محله طول عمره ولا نعرف له مده غياه
مهلهل راح من اولال مرة وسهم البين ذر لنا غرابه
وبعده كيف عال يصير فينا لان حساس ما تحمل عذابه
تري بعده سيمحقنا جميعا يشتنا ولا يخشى عتابه
ايا أخوتي ماذا نسوي واين نروح من هذه العصابه

تعالى أخى يا درعان قوللى فقلبى والحشا يا أمير ذابه
ايا سراف يا ناصر تعالوا ايا هزوز يا منيه شبابه
ويا حنبل ويا باقى الامارة تعالوا واسمعوا منى الخطاب
تقول الزير ولم وراح منا قتيل ويندفن تحت الترابه

وأما سلطان فقد رجع مسرورا ووقف امام أخيه جساس
وأخذ ينشد :

والمهلل ناصب الخيمه بعيد فى وسط البستان له يا حبيب
وحده يسكر بليده وانهار رحت انا اليه من بعد المغيب
فى ثلاثة الاف فارس غامنين كل فارس مثل سبع وديب
هجمت عليه يا أخى بالعجل ووقعنا عليه بضرب عجيب
ضربه جساس بالغ بالسيوف حتى صار دمه جاري صبيب

ضربه حتى قطع من النفس وانطرح بلا مسعف ولا حبيب

ثم أخذ لأخته ضبا ع لتأخذ بثأر ولدها الحبيب
أخذته حرقته بنار ولقته على جمر نار اللهب
هذا الذي فعلت بعدك ياهمام يا حما البيض في يوم النكيب

(قال الراوي) فبما انتهى سلطان من كلامه شكره
جساس على اهتمامه وقال بارك الله فيك ياهمام فان
فعلك هذا يبقى مدى الايام ثم ساروا الى الحي وهم في
افراح وسرور وانشرح ولما وصلوا الصيوان جلس جساس
في الديوان واجتمعت حوله الابطال والفرسان ثم امر
بدق الطبول ونفخ الزمور وعمل وليمة عظيمة لها قدر وقيمة
فاجتمع فيها خلق كثير من كل أمير وسيد خطير ورقصت
النساء والبنات ودارت بينهم الافراح والمسرات وانشرحت
خواطر السادات وكان عندهم ذلك النهار من أعظم
الاعيان الكبار.

(قال الراوي) وكان لما بلغ بنو قيس حقيقة الخبر ان
المهلهل مات واندثر غابوا عن الوجود وابقنوا بالموت الاحمر
فزادت بليتهم وعظمت مصيبتهم فمهنم من أرتحلوا من
الديار وقصدوا الامير حساس وطلبوا منه الامان دون
باقي الناس فأعطاهم الامان وجعلهم من جملة الخدم
والغلمان ولم يبق عند أخوة الزير الاشراف الا شر ذمه يسيرة
وعصبة حقيرة فقصدهم حساس بالابطال ودار بهم من
اليمين والشمال فسلموا أمرهم اليه ووقعوا عليه فذهب
أموالهم وأخذ نوقهم وجمالهم ثم أشرط عليهم أن لا يوقدوا
نارا في الليل والنهار ولا يركبوا على ظهور الخيل بل يصيروا
مكانهم في الخيام فأجابوه الى ذلك المرام خوفا من الاندثار
ونزول الدمار وبعد هذا رجع الى الديار بانفر والاستبشار
فعظم شأنه وتأيد بالعز مكانه وسار في مقام عظيم وحكم على
السبعة أقاليم.

(قال الراوي) اما اخوه المهلهل فانهم بعد هذا العمل رحلوا
من اطلالهم باولادهم واطفالهم ونزلوا في وادي السعاب
وهم ييكى وانتحاب وذل وعذاب وصبروا على حكم رب
الارباب

هذا ما جرى هؤلاء من العبر واما الزير الاسد الغضنفر
فانه لما انقته اخته في البحر كما سبق الخبر فقدفته الامواج
في البحر العجاج الى ان ساقته التقادير الالهيه الى مدينه
بيروت وكان اسمها الخبيريه وملكها يدعى حكيمون ابن
عزرا وكان من اجل الملوك قدرا واتفق والامر المقدر
ان ثمانيه من الصيادين بينما هم يصطادون سمك نظروا
ذلك الصندوق في البحر العجاج تلعب فيه الرياح وتقذفه
طوارق الامواج فقال احدهم لالاخر انظريا صمويل هذا
صندوق يارؤيل

قد ساقه الينا اله اسرئيل ثم انهم قصدوه في الحال وسحبوه
الى الشاطي بالحبال وذلك بعد تعب ونكد ما عليه من

مزید فقال رئیس الشختور لباقي الاعوان تعالوا حتى
نفسه علينا الان قبل ان نفتحه يا اخوان فناخذ كل واحد
منا حقه قدر ما يستحقه فاجابه بعض الرجال ما هو مرادك
بهذا المقال فقال ان لي النصف ولكم الاخر لاني صاحب
الشختور والرئيس الاكبر فقال وحق خمار العذير ما تنال منه
شيء يا شبير ثم وقع بينهم الخصام وتشاتموا بالكلام فضرب
احدهم الرئيس

بسكين فقتله وكان للرئيس أخ فضربه القاتل بالمقداف فجندله
وما زالوا يتقاتلون طمعا بالمال حتى قتل منهم عدة رجال
ولم يسلم سوى رجل واحد واتفق بالامر المقدار ان
حكمون كان قد خرج في تلك الساعة مع اكابر دولته
للصيد وانقص فمر من ذلك المكان فوجد الصندوق
والرجل والقتلى مطروحه على الارض فوقف وسال
الصياد عن السبب فاخبره بواقعه الحال فتامل الملك في
الصندوق فتعجب من كبره وثقله واراد ان يعرف ما فيه

فأمر بحمله إلى السريا وارتد راجعا مع باقي رجاله فلما صار هناك أمر بفتحه ففتحوه وإذا رجل طويل القامة عريض الهامة واسع المنكبين كبير القدمين مثخن بالجراح من ضرب السيوف وطعن الرماح وقال الملك لحواشييه ما وجدتم فيه قالوا ياملك الزمان فيه انسان كأنه من عفاريت السيد سليمان له عيون كعيون السباع فلما نظر الملك خاف وارتاع وقال لاتباع كم له من الزمان يا ترى في هذا المكان.

(قال الراوي) وكان عند هذا الملك حكموت طيب ماهر اسمه شمعون فتقدم إلى الزير وهو مطروح وجس زلقومه وعرق الروح فوجده يختلج في اعضائه فقال ل الملك ان الرجل في قيد الحياه فقال له هل تقدر ان تشفيه وانا أعطيك ماتشتهي قال نعم يا مولاي ثم نهض على الاقدام وقال بسم الله العلي العظيم فشمروا عن زنوده واخذ اسفنجه وبلهه بالماء الخارج ومسح الجروح ووضع المرهم على القروح ثم جاء

بالعسل النحل فغلاه وفتح فمه واسقاه وفي برهه قصيره
اختلفت اعضاءه وتحركت وفتح عيناه فنظر وتامل في ذلك
المخل فراى جماعه من الرجال صفر الوجوه بسوائف
طوال فاعتراه الانذهال وشكر الاله المتعال فقال له حكموت
من انت ومن تكون وما هو اسمك ؟ فقال اسمي الموحد
انا عبد الاله العظيم رب موسى وابراهيم فقال ما هي قصتك
وسبب وضعك في هذا الصندوق ؟ فقال كنا اربعة سياس
عند الملوك وكنت انا المقدم وعلى الجميع فحسدوني
وضربوني ذات يوم بقصد انهم يقتلونني فغبت عن
الوجود من الم الضرب ولم ار نفسي الا في هذا المكان
فقال الملك للحكيم خذوه الى عندك وداويه بالعلاج حتى
يشفي وبعد ذلك احضره الى عندي فاخذه الحكيم الى
داره وعالجه مده من الزمان حتى ختمت جراحه
وتحسن احواله فاتى به الى عند الملك ولما دخل سلم عليه
وتمثل بين يديه فقال له الملك كيف انت الان يا موحد ؟ فقال

له بحسب انظارك الشريفه وقد شفيت وحصلت على دوام
العافيه فله در هذا الحكيم فانه يستحق الانعام والاکرام فمهما
انعمت عليه فاني ساعطيك اياه فبتسم الملك من هذا الكلام
وانعم على الحكيم ثم اتفت الى المهلهل وقال اعلمني بحالك
وكيفيه احوالك و اشار الملك يقول:

قال ابوستير حكمون الملك يا موحد استمع مني المقال
هات احكيلي على ما صار فيك ما علمت وما فعلت
من الافعال

حتى طعنت يا موحد بالرماح جروحك كثيره بسيوف صقال
يا موحد انت اغليوم مليح قرم فارس خيل ما انت نذل
قولني عن ذي الجرح كيف صار وما سببهم قول يا سبع
الرجال

ثم اعلمني على ما قد اقول يا زكي الاصل عن عم وخال
في بلادك اتولك الغانمين يضربون الثور لك معهم مقال

بعد هذا قل لنا عن صنعتك الذي تاكل منها خبزك حلال

فلما فرغ حكمون من مقاله قال له الزير أعلم ايها الملك
الجليل صاحب الفضل الجميل ان سألت عن حسبي ونسبي
ووظيفة ابي فانه كان ملك من ملوك العربان ثم غدر
به الزمان حتى صار يسوس الخيل وانا تبعت مهمته وهذه
وظيفتي ومهنتي واشار يقول:

قال ابو ليلى المهلهل في قصيد يا ملك حكمون يا حكم
الخصال
في بلادى ان سألت عن الجلوس مجلسي في الوسط
فوق اعلا الجبال
وان سألت عن الشور كل الشور لي ما أحد يقدر
يخالف لي مقال

وان وقع الحرب وضرب السيوف فاعذارى هلت فوق
الجمال

والسيوف الجذب عاد لها مرير واقتول تلول عادت كالرمال
فذلك اليوم انا اعز الملاح مامثالي في اليمن وفي
الشمال

وان اتاني ضيف انا اعز الضيوف واشيع للضيف من
حم الجمال

والفتى المعروف منجد يا امير ابن وائل ذلك لي امير
خال

ان كنت تسال يا ملك عن صنعتي صنعتي حاصود في
رؤوس الرجال

اما ابني فكان ذو قدر عظيم مال فيه الدهر يا حكمون
مال

صار سايس بعد عزة للخيل بالكرامه بعد عزة والدلال
وانا قد صرت سايس بعده اسوس الخيل ما مثلي مثال

وجروحاتي هي من عص الحصان قد ضربني برجله
اربع نعال
قمت من كدري ضربته في حشاه راحت السكين
للغزال
لاجل ذاك المهر سوى هل فعال وارموني بالدل مع كثر
الخيال

فلما سمع حكمزت هذا الكلام من الزير غضب عليه وقال
له انت كذاب فقد اخبرتنى قبل الان رفاقك قتلوك واليوم
تقول الحصان ضربني فتكذب علي وتحرني فلو كنت
من الاكارم ما جرت عليك هذه العظائم ثم صمم على قتله
فتشفعت فيه اكابر دولته ووضعوه في الحبس وبقي هنالك
مده سنه كامله وكان يسطو على المحاييس وياكل طعامهم
فضجوا منه الناس وشكوا امرهم الى الملك وقالوا له اذا
كان هذا سايس كما يقول فاجعله يسوس الخيل لانه يقاسمنا

على طعامنا غصبا وقهرا وهذا الامر لا يطاق فدعه يشتغل
وياكل خبزہ بعرق جبينه فاستدعاه الملك اليه وقال له هل انت
ماهر يا موحد بساسه الخيل قال نعم فقال سلموه خيلنا فاذا
وجدنا له معرفه في ذلك
اكرمناه.

(قال الراوي) وكان كثيرا ما ينفرد بنفسه ويتذكر اهله
وعشيرته وما هو فيه من الالهانه والاسر ويكي ويقول
يا ليت شعري ما جرى على اخلي من بعدى لان
الاسير كما يخفى على الخاذق البصير بمنزله العبد الحقير ولو
كان من بيت شهير وعالم خير فكيف من تكون جناب
الامير سالم الزير الذي قهر الابطال والغاوير وشاع ذكره
عند الملوك المشاهير فانه بعد ذلك العز والاحترام وعلو الجاه
ورفعه المقام وقع في اسر بني اسرائيل فكان الموت عليه
اهون من ذهاب القبيل ولكنه سلم امره الى الله وقام ينتظر
نفوذ حكمه وهو يتأمل الفرج والخلاص من شرك الاقناص

ونكان قد انتخب له فرسا من اطايب الافراس كانت
طويله العنق قصيرها لراس واجود
من القمير فرس جساس فاعتنى بتربيتها حتى حالت
قاخذها الى الشاطي البحر وربطها هنالك فخرج عليها
حصان من البحر فشب عليها فراح حامل وبعد عام
ولدت مهر ادهم وكان كامل الاوصاف ململم فسماه
الاخرج لخروج اباه من البحر ثم فعل معها ذلك العمل في
الثاني فولدت له مهر اخر كانه الابجر حصان عنتر فسماه
ابو جحلات واعتنى بهما دون باقي الخيل وكان
يسوسهما في النهار والليل واستمر على تلك الحال مده اربع
سنين وهو يطلب الفرج من رب العالمين.

حرب برجيس الصليبي مع اليهودي
(قال الراوي) واتفق في تلك الايام ان برجيس الصليبي
احد ملوك الاروام خارج مع ابيه سمعان في مائتي

انف عنان من بلاد كسروان وتلك الحدود لمحاربه
حكمون اليهودي وذكروا الاخبار عظماء الاعصار بان
مدينه حكمون كانت نفس مدينه بيروت كانت مزحرفه
البنيان وكثيره الحوانيت والبيوت ولما اقترب اليها برجيس
بالعساكر النصرانيه نصب خيامه في الاشرفيه وكتب كتابا
الى حكمون يقول فيه الملك برجيس بن ميخائيل الى
حكمون ملك بنو اسرائيل اما بعد فانك قد خانفت الشروط
ولم ترسل لنا الخروج المربوط وقد مضى خمسة اعوام وانت
تحاولنا بالكلام فاقتضى اننا قصدناك الان بالابطال
والفرسان كانوا مرده الجان لا تخاف طعن الرماح ولا نكل
الحرب والكفاح فان دفعت الخراج المطلوب من عشر
مالك توقفنا عن

حربك وقتالك والا وحق من اوجد الانسان والمسيح الذي
ولد بلا دنس خربنا ديارك وطفينا نارك وقلعنا اثارك
وجعلنا الولايات اليهوديه تابعه للاقايم المسيحيه فاسرع في

رد الحرب قبل حلول العذاب ثم انه ختم الكلام بهذا الشعر
والنظام:

على ما قال برجيس الصليبي كريم النوالدين ايا وجدا
شديد الباس ما بين الترابا على السادات دوما مستجدا
اذل القوم في سيفي ورخي اقد الشوش والهجمات قدا
انا قاصد حكمون اليهودي فاعلمه بما قد استجدا
واخبره بفرساني وجيشي وما عولت ان افغله جدا
بهم من كل قوم ليث اروع يصد الخليل في الميدان صدا
يريد المال ارسله سريعا وان لم يمتثل امري فردا
وعشر الخيل مع عشر العذراى بنات قد زهوا وجها وقدا

(قال الراوي) ان الملك برجيس سلم الكتاب الى
قائد اسمه فرنسيس وامر ان يسير لعند حكمون فيعطيه
الكتاب ويأتيه بسرعة الجواب فامثل القائد امر مولاه وجد

في قطع الفلاه الى ان دخل البلد وقصد حكمون
دوت احد فلما وصل اليه سلم واعطاه الكتاب وتمثل بين يديه
وكان عند حكمون جماعه من اخيار اليهود وهم
يطالعون في التوراه والتلمود ولما فاض الكتاب وقراه وعرف
حقيقه معناه احمرت عيناه وصاح على الرسول صوت مثل
الغول وقال هكذا يكتب لي برجيس يا خبيث يا تعيس فلولا
العار يا ابن الاشرار لكنت قطعت راسك واخذت انفاك
فاذهب وقل لمولاك ان يستعد للحرب والعراك فاني
لا اهابه ولا احسب حسابه فخرج فرنسيس من بين يديه وهو
ينفض غبار الموت عن عينيه ثم صاح الملك حكمون على
اخيه صهيون ووزيره قسمون وقال لهما استعدوا للقتال
وفرقا السلاح على العساكر والابطال فقد اتتنا العساكر
المسيحيه والابطال النصرانيه وقد عسكروا في الاشرفيه
فاجاباه الى ما امر في الحال جهز العساكر وفرقا عليها
السلاح والسيوف والرماح ولما بلغ الملك برجيس كلام

حكمون صار مثل المجنون وعول ثاني يوم على الحرب
والصدام.

(قال الراوي) وعند اشراق الصباح استعد حكمون
للحرب والكفاح فخرج من البلاد بالعاكر والعدل وحوته
الكلهه والاحبار وهم يتلون التوراه والاسفار املا بالفوز
والانتصار وكان برجيس قد ركب في ذلك النهار بذلك
الجيش وتقدم طالبا القلاع والاسوار بقوة واقتدار وعلى
راسه البيارق والصلبان ومن حوله القسوس والرهبان
وهم يتلون الزبور والانجيل بالتغنيم والتهليل ولما التقى
العسكران تقاتل الجمعان في ساحة الميدان ولتقت
الفرسان النصرانية بالابطال الاسرائيلية في تلك البرهه
وهجموا على بعضهم هجمات قوية وتضاربوا بالسيوف
المشرفيه وكانت الامة العيسوية قد فتكت بالغصبه العبرانية
واناقتها في ذلك اليوم من الاهوال اعظم بليه وقتلت
مقتلتاً عظيمة وفيه رجع حكمون وهو يتأسف ويتلهف

على حل ما بعسكره من الويل و التلغف ودخل إلى البلد
مع الجيش وأغلق الابواب وقصد القصر وهو خارج عن
دائرة الصواب ونزل برجيس خارج المدينة وكان قد أمتلك
ذلك النهار ثلاثة قلاع حصينة .

(قال الراوى) وكان المهلهل قد سمع صياح القوم فسأل
عن الخبر فأعلموه بواقعه الحال فتاقت نفسة إلى القتال
ومصادمة الأبطال فأخذ قصبه بيده وصعد إلى السور ليشاهد
تلك الامور وكان ذلك المكان بقرب قصر حكمون فنظر
القوم وهم يقاتلون فكان كلما نظر النصارى غلبوا أو
ظفروا يقول لليهود تقدموا ولا تنكسروا وكان يهدر كالرعد
القاصف أو كالريح العاصف وهو راكب على الخيط كما
يركب الحصان ويضربه برجلية ويصيح على الفرسان
وأستمر على تلك الحال إلى أن رجع حكمون إلى
البلد وهو في غم ونكد وكان لحكمون بنت كالثمر أسمها [
ستير] نظرت من الشباك أفعال الزير فتعجبت من

أفعاله وغريب أعماله .

فلما رجع أبوها سألتته عن حالته وما جرى له في قتاله
فاعلمها بواقعة الحال انتصار النصاري في القتال فبعد ذلك
أخبرته أبنته [ستير] بما رآته في ذلك اليوم من أعمال الزير
وقالت : إذا كانت أعماله صحيحة فإنه يكسر هذا العسكر
ويذيقه الموت الاسمر ثم اشارت تقول :

تقول ستير أسمع من كلامي نظرت اليوم في عيني
العجائب

نظرت اليوم من هذا الموحد فعال قد تعيد الرأس شايب
فلما دقت الطبل النصاري وقد هجمت عسكرها تحارب
واتتقت العساكر بالعساكر وراح السيف يعمل في المناكب
فقد ابصرت احوال الموحد غرائب قد فعلها من عجائب
ركب للحيط سواه حصانه كأنه يا اي قاصد يحارب
ويزعق ثم يلكز في كعابه إلى أن قد جرى دمه سكايب

ويهدر مثل ليث أروع ترج الأرض منه و الكتائب
يريد الحيط يطلع فيه يغزى وقلبه للقا و الحرب طاب
إذا و لت رجائك قال باطل وان و لت عدالك قال طاب
ينخي الناس واحد بعد واحد قتل روحه وهو الحيط راكب
فهذا قد نظرته اليوم حقا من الصبح الى وقت المغرب
فلا أدري أهو عاقل صميدع ولا أدري أم مجنون خائب

(قال الراوي) فلما فرغت ستير من شعرها ونظامها وفهم
ابوها فحوى كلامها اراد ان يستدعيه اليه فقالت له من
الصواب ان يركب أخوك نهار غد ويقا تل العدا وان
تبقى في القصر فلعله يفعل كما فعل بالامس فتشاهد أعماله
وتختبر احواله فليس الخبر كمشاهدة النظر فاستصوب كلامها
وبات تلك الليلة في قلق وضجر ولما اصبح الصباح أمر أخاه
أن يركب بالعسكر ويخرج لقتال النصارى فركب أخوه في
عسكر اليهود وانتشرت على راسه الرايات والبنود فالتفته

جموع النصارى مثل الاسود وصياح الابطال وهمهمه الرجال
واشتد بينهم القتال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال فلما
سمع الزير التهاب قلبه بنار الاشتعال فصعد على السور وهو
حزين النفس وفعل كما فعل بالامس وكان كثيرا يقول
ياثارات كليب من جساس المخدول وهو ينخى القوم
ويقول اليوم ولا كل يوم وكان حكمون ينظر اليه مع ابنته
فتعجب من فعله وهول صورته فأمرها أن تناديه ليحضر
أمام دولته فناداته فالتقت اليها ولباها وقد تعجب من
حسن رؤياها قالت ابي يدعوك أن تحضر اليه فنزل
وصعد الى القصر ودخل على الملك وسلم عليه وقبل
الارض بين يديه فقال له حكمون ان كنت قادر على
ما تقول وانت من الفرسان الفحول فانزل وقاتل هنا في
هذا النهار المهول فان لنا عليك جميل وأفضل وأن كسرت
الاعداء بلغناك الامال وأغنيناك بالمال وأطلقناك من
الاسر والاعتقال.

فأمر الملك بأن يعطوه جواداً من أطايب الخيل ودرعاً وسيفاً
فأتوا له بجواد فقال لهم هذا لا يحملني ثم أتكى عليه بيده فكسر
أضلاعهُ فأتوا له بآخر جواد ففعل به كذلك وما زال على تلك
الحال حتى قتل عشرة خيول فتعجب الملك من قوة بأسه
وشدة مراسه ثم أتوا له بعدة حرب وجلاد ففعل كذلك إلى
أن أتوه بعدة حرب الملك حكمون فلبسها وكانت من
أحسن العُدَد وأعتقل بالسيف المهند وركب على ظهر
حصانه الآخر الذي كان ينتظر منه الفرج وأخذ في يمينه
الرمح الاسمر والتفت على حكمون وقال اليوم تنظر
فعالي وتعاين حربي وقتالي وتذكرني على طول
الدوام أيها الملك الهمام ثم أنه لكز الحصان وقوم السنان
وانطلق إلى ساحة الميدان بقلب أقوى من الصوان
وقد هان عليه الموت تحت أرجل الخيل عند بلوغ القصد
والمأمول وكانت النصرارى قد كسرت اليهود وفتكت بهم
فتك الاسود فلما رأى المهلهل تلك الحانه استعد للحرب

والقتال وتقدم صهيون أخو الملك حكمون وقال شدوا
عزمكم وقاتلوا خصمكم ثم خاض المجال وطلب الميسرة في
الحال وقاتل فمدد أكثرها على الرمال وتأخرت عنه الرجال
ورأت النصارى تلك الفعال فاعتراها الانذهال وهجموا
عليه من اليمين والشمال فأبلاهم بالذل والويل وقتل جماعة
من فرسان الخيل وكان كلما كثرت عليه انكثائب
وضايقتهم العساكر والمواكب يتذكر أخوه كليب الاسد الغالب
فيهاجم هجوم السباع ولا يخاف ولا يرتاع فعند ذلك تأخرت
عنه الفرسان وتوقفت عن قتاله الفرسان وتوقفت عن
قتاله الفرسان وكان برجيس من فرسان المعارك
فلما بلغه ذلك نما غيظه وزاد وهجم بالعساكر والاجناد طالبا
ساحة الميادين ومن حوله القسوس والرهبان وعلى
راسه الرايات والالوية فلما اقتربت من تلك الناحية وقعت
عينه على صهيون أخو الملك حكمون فتقدم الارض
قتيلا وفي دمه جديلا فعند ذلك ضجت طوائف اليهود ولما

رأوا أميرهم مفقود فاستغاثوا بالتوراة والتلمود فالتقاهم
برجيس كانمرود وقتل منهم كل فارس معدود وكان المهلهل
يقاتل من بعيد الفرسان الصناديد ويمددها على وجه
الصعيد فلما رأى طوائف اليهود متأخرة بعد ان كانت
ظافرة وهم يصيحوون ويندبون على فقد صهيون فلما
عرف بالنظر الطويه أخذته الغيرة والحمية فقصده الملك
برجيس الى ذلك المكان وفي الطريق التقى بأخيه
سمعان وهو ينحى الابطال والفرسان فهجم عليه هجمه
الاسد وضربه بالسيف المهند القاه على وجه الارض يحتبط
بعضه ببعض فلما قتل الامير سماعيل حمل جيش النصرى
على الزير من كل مكان عند ذلك دقت النواقيس وحمل
ايضا برجيس وتبعه كل أسقف وقسيس.

ولما رأت اليهود أفعال المهلهل أيقنت يبلوغ الامل فارتدت
الى قدام بعد ذلك الانهزام التقت الرجال بالرجال والابطال
بالابطال وعظمت الاهوال ومازالوا على تلك الحال الى ان

ولم النهار وأقبل الليل بالاعتكار فافترقوا عن بعضهم البعض
وزالت كل قبيلة في ناحية من الارض.

(قال الراوي) وكان الملك برجيس قد صعب عليه قتل
أخيه سمعان وندم على مجيئه الى تلك الاوطان وكذلك
استعظم حكمو قتل أخيه صهيون فكانت مصيبة عظيمة
على الملكين وداهيه جسيمة على الفريقين ولما أصبح الصباح
واشرق بنورة ولاح ركبت العساكر واصطففت وانقسمت الى
ميامن ومياسر فتقاتلوا بالرمح والخنجر والسيوف البواتر
فكان الزير كالاسد الكاسر وجرى لابلال في ذلك اليوم
من الاهوال ما يشيب رؤوس الاطفال واستمروا على تلك
الحال وهم في اشد قتال وخصام عشرة ايام على التمام
وكان الزير قد فتك فتكا عظيما وقتل من النصارى عددا
من الملوك الكبار اصحاب السطوة والاقطار امره نافذ
في جميع الاقطار فخاف من الانكسار والوقوع بيد المهلهل
الجبار فجمع اركان دولته ووزراء مملكته وعقدوا بينهم ديوانا

فاستقر رأيهم على المصالحة وتوقيف الحرب بعد المصادقة
والمصالحة وأن يرحلوا بأمان من الاوطان ويبتقوا مع
حكمون كالأصحاب والأخوان على طول الزمان ثم
أن الملك برجيس أرسل إلى حكمون بعض وزرائه
المعتبرين يعلمه بذلك ويأتيه بالخبر اليقين فسار الوزير إلى
عند الملك حكمون وأعلمه بواقعة الحال ففرح حكمون
وباقى الأماة العبرانية لأنهم كانوا يخافون سطوة الملوك
النصرانية فأجابته إلى المطلوب وحمد الله الذي أناله من
غوائل الحروب وهكذا تم الاتفاق ووقع الصلح والوفاق ورجع
برجيس من تلك الأفاق بمن معه من الرفاق بعد أن
رتب على الملك حكمون مالا معلوما يدفعه كل سنة إلى
خزينة الملك.

(قال الراوي) وعظمت منزلة الوزير عند حكمون وقال
مثلك تكون الفرسان فأنت اليوم عندي كالولد وأعز
من الروح في الجسد فلولاك كنت في حال تعيس

واستولى علينا الملك برجيسس وكانت الاميرة ستير قد
شاهدت افعال الزير فاثنت عليه وقد مال قلبها اليه ثم قالت
لاعد مناك ايها التحرير فانك تستحق الاكرام والخلع وكان
الملك قد مال اليه كل الميل فقدمه عن جميع فرسان الخيل
ورفع منزلته على الكبير والصغير ولقبه بالامير وانه عليه
بنشان من الماس ليمتاز به على كبار الناس واكرمه غاية
الاکرام واجلسه على سفرة الطعام ولما فرغوا من الاكل
وشرب المدام قال له الملك تمنى علي ايها الامير والسيد
الخطير فمهما طلبت أعطيتك أياه بدون تأخير فطلب منه
الزير أن يعطيه السيف والدرع والمهر الاخرج وأعلم
حكمون بنفسه وطلب منه ان يجهز له سفينه ويرسله الى
مدينة حيفا ومن هنالك يسير وحده الى مرج بن عامر محل
اقامته لان نفسه اشتاقت الى اهله وعشيرته فلما سمع
حكمون بواقعة حاله وانه المهلهل زان مقامه عنده وقال له
هذه بلادي وما أملك واموالي بين يديك فأقيم عندنا طول

عمرث فائنا والله لانتسى جميلك ومعروفك قال الزير لابد
لي من الذهب لاننى لحد الان ما أخذت بثأري ولا
طفيت من العدا لهيب ناري عند ذلك أهداه الحصان
الاخرج وأعطاه السيف والرمح وعدة الحرب وجهز له مركبا
من أحسن المراكب وأمر القبطان بمداراته وامثال
اوامره وانه بعد ان يرجع له عند الوداع الله يبلغك آمالك
فلا تقطع عنا أخبارك فسلم عليه المهلهل ودعا له بطول العمر
ثم رجع حكمون الى المدينة وسافر المركب بالتهليل وفي
اليوم الرابع أشرقت السفينه الى ميناء حيفا وانقت مرساها
ونزل المهلهل الى البلد وبقي الحصان في المركب وأمر
القبطان ان يحافظ عليه لوقت الطلب ومن هناك تسربل
بالسلاح تحت الثياب وقصد دياره فالتقى بطراف ان
ناصر وهو حافي عريان وقد كان من الاعيان ومن
أصحاب الزير فأقبل اليه وسلم عليه فرد الزير السلام ثم عرفه
بنفسه وأخبره بما جرى عليه من الاول الى الاخر فقال

أهلا وسهلا بقدمك علينا فوالله كنا قد قطعنا الأمل من
سلامتك فالحمد لله على اجتماعنا فقم بنا إلى ربيع
حتى ننظر أهلِكَ لأنهم دائماً في ذكرٍ فقال الزير اني لا
أذهب إلى هناك حتى أذهب إلى حي بنى مرة وانظر
بأقبي قومنا الذين التجؤا إلى جساس فسر معي إلى
هناك فسار ناصراً معه وهو فرحان وجداً في مسيرهما
حتى وصلا إلى أحياء بنى مرة فالتقيا بالأمير سالم المهيأ
قاصداً الصيد مع جماعته ولما اقترب سالم من المهلهل.

الجزء السابع

ونظره حن قلبه إليه فحياه بالسلام وجعل يتأمل فيه ويقول
والله من يوم غاب حامينا فقد عشنا وما أبصرنا قامته إلا هذا
اليوم ثم دمعت عيونه فقال الزير كيف تبكي عليه وانت
ملتجئ إلى أعداءه فعند ذلك عرفه ونزل عن ظهر الجواد
ووقع عليه واعتنقه المهلهل وطيب خاطر جماعته وقال لهم ابقوا

على ما كنتم عليه وعندما تسمعون صرير السيوف في
أعناق بني مرة فحينئذ تفعلون ما يجب عليكم فعله فساروا
في سرور وأفراح حتى يعلم بعضهم بعضا وأما الزير فانه
سار وهو وطراف وهما متنكران حتى دخلا الى حي
جساس وقت المساء فوجد الحي في دق طبول ونقر دفوف
وأمر تدل على مسرات وأفراح فقال المهلهل في سره ما
عسى ان يكون هذا ولما اقترب من صيوان جساس
وجده ممتليا من الناس وجساس جالس في الصدر وحواله
الأكابر والاعيان والمولدات تدق بالدفوف والمزامير وبعد
قليل حضر العبيد بسفر الطعام فقام جساس الى المائدة
وتقدمت بعده الامراء وجعلت تتوارد الفرسان وتتزاحم
على بعضها البعض فعند ذلك تقدم الزير مع جملة الناس
وجلس بقرب جساس وأخذ يتناول من أنواع الاطعمه فلما
رآه جساس أنكر أمره وقد استعظم كبر جثته وهو يأكل اكل
الجمال فقال له جساس ادعولي يا شيخ فقال اني دائما ادعو

لك ولست بناسيك على طول الزمان فازداد حساس خوفا
وارتجفت أعضائه ولما انتهى من العشاء أمر حساس
باحضار الرمل وضربه في الحال ورسم الاشكال فظهر له
انكيس واحمرار وانه قادم عليه أوقات منحوسه وسيظهر رجل
لقي الجلد عن قريب يذيقه الاهوال وقد تأكد عنده بأن
ذلك هو نفس الزير لانه لا يوجد له عدو غيره فالتهب قلبه بناره
وصاح من ملو رأسه يا ستار فجاءت اليه أخوته وقالوا
ما أصابك يا أمير فأنشد يقول :

قال حساس بن مرة في بيوت اسمعوا يا أخواني أهل النوا
ضاق صدري وامتلا قلبي هموم فالتلق والغم ضارب
بالحشا

جمعت تحت الرمل حورته بسرعه حتى أرى ما هو هذا
البلا

رأيت لقي الجلد آت عن قريب صاحب البطش ما بين الملا

ورأيت الجود له بيت ضد والجماعه شكلهم واقع حدا
ماعال لمي عقل هذا الرمل قطرة حرت فيه اليوم يا أهل
الندى

نويصح القول قلت الزير جا وها هو جالس بين الامرا

فلما فرغ جساس من شعره ونظامه وفهم الزير مطلوبه
وعرف المقصود ووضع يده على قبضة سيفه حتى اذا قال
جساس اقبضوا عليه ليفتك به ويعدمه الحياة ومن كثرة ما
جرى على جساس من الغم والوسواس ترلث من
كان عنده من الناس ودخل على الحريم خوفا من امر
يأتي فلما رآه الزير فعل ذلك قال لابد من قتله ان لم
يكن اليوم يكون غدا ثم خرج من الصيوان مع الامير
طراف وسارا قاصدين الاوطان حتى وصلا الى
وادي الشعاب ودخل الى الخيمه التي فيها بنات كليب

فسمعت ابنة كليب الكبيرة صوته فقالت له من انت وما هو
اسمك فلما سمع صوتها عرفها فتقدم اليها فوجدها وشقايقها
بثياب الحداد فتقطع قلبه وهطلت عيناه بالدمع وقال اتقبلوا
الضيف يا بنات الاماجيد قالت مرحبا فنحن أول من
ضاف ولكن قد جار علينا الزمان فأولنا بعد العز والجاه
صرنا في حالة يرثى لها فاقصد يا شيخ محل الوليمه وهو
المكان الذي تدق فيه الطبول فتحصل على بلوغ المأمول
فقال بالله عليك يا صبيه أن تحكي واقعة حالكم فقد
جرح قلبى بهذا الكلام فقالت اليمامه لقد ذكرتنا بمصائبنا
وعلى ما جرى فجلس الزير وهو وطراف وجلست هي
بجانبيه ثم عرفها هي وشقايقها بنفسه وانه عمها صاحت بصوت
عالي من ملو راسها هذا في الحلم أم في اليقظه ثم وقعت
عليه شقايقها يقبلونه وقلن الحمد لله الذي ارانا وجهك بخير
وعافيه فوالله قد زالت أتراحنا وتجددت أفراحنا وسمع ابو
شهو ان عبد العزيز هذا الخبر فدخل عليه ووقع على قدميه

لأنهم كانوا يظنون بأنه مات فكانت تلك الليلة عندهم من
أعظم ليالي الأفراح والمسررات وبعد ذلك جلسوا يتحدثون
فقالت الإمامة بالله يا عماء أن تعلمنا بقصتك وما جرى
في سفرتك فقص عليهم ذلك الخبر وما سمعوا وبصر وختم كلامه
بهذا القصيد:

يقول الزير أبو ليلى المهلهل عيوني دمعها جاري بكاها
بكت دما على ماصار فينا ليالي السعد ما عدنا نراها
عدمنا فارس الهيجا كليب عقاب الحرب ان دارت رحاها
دهتني آل مرة جنح اليل لتقتلني وتشفي ما دهاها
فكنت بخيمتي ملقى طريقا ثلاث آلاف درتني قناها
وسحبوني لعند ضباع أختي والقوني طريقا في حداها
وقالوا يا ضباع خذي أخوكي أخذنا روحه قوى عزها
فالقتني بصندوق مزفت وأرمتني بوسط البحر تاهها
واقتنى مياه البحر حالا الى بلد اليهود على رباها

وجابوني لحكمون اليهودي أجل ملوث الارض جاها
فداواني وعالجني سريعا فزالت كربتي مما لهاها
بقيت انا ثمان سنين غائب وزال الشر عني مع عناها
أسأل الله أن يحفظكم جميعا على ما طالت الدنيا مداها

(قال الراوي) وكانت ليلة عند بنات كليب من أعظم
الليالي وحضر تلك الليلة جميع أصحاب الزير ففرحوا
وانشرحوا بقدومه وهنوه بالسلامه فقال لهم من الاوفق أن
تكتموا أمري حينما أجهز لقتال الاعادي وأحضر جوادي
ثم أعلمهم بخبر الحصان وانه أبقاه في المركب عند القبطان
لبيئما يكون شاهد أهله وأقاربه ولما أتتصف الليل ودعهم
وسار قاصدا شاطئ البحر هذا ما كان منه واما مرة أبو
جساس فكان من عادته أن يذهب كل يوم الى ساحل
البحر ويتجسس الاخبار ويعود في آخر النهار فاتفق ان
عبدان من عبيده كانا قد نظرا المركب عند قدومه الى

ميناء حيفا فأعلماه به فاستأجر قارباً وقصد ذلك المركب
وعند وصوله اليه وجد ذلك الجوارح المذكور فاندھش من
رؤياه فسأل القبطان عنه فقال له القبطان هذا حصان
الزير وقد حضر معنا من بيروت وسار نحو يومين لزيارة
أهله ولم يكن القبطان يعلم ما هو جاري بين القوم من
العداوة والحرب لما سمع مرة بخبر المهلهل وأنه عاد سالماً غانماً
استعظم الأمر وتعجب ولكنّه كتم الخبر وقال للقبطان اتبعني
هذا الحصان فقال كيف أبعده وهو مودوعاً على سبيل
الأمانة فقال لابد من ذلك أما أن تقبض ثمنه خمسة آلاف
دينار أو أخذه منك بالقوة والافتدائ لان ابني حساس ملك
هذه الديار ويبدنا زمام الأحكام وما زال يلح عليه بالكلام الى
ان امتثل وأجاب خوفاً من أخذه بالقوة والاغتصاب
فقبض القبطان الدراهم وسار مرة بالحصان الى عند ابنه
حساس وهو كاسب غانم وأعلمه بواقعة الحال وقدم المهلهل
الى الاوطان ففرح حساس بالحصان لانه كان من

أجود خيول الاعراب ولكنه خاف من الغوائل وعلم انه لابد
من تجديد الحروب بين القبائل فاجتمع بأهله وأعلمهم بالخبر
وأن يكونوا على استعداد وحذر.
هذا ما كان من حساس واما الزير الفارس الدعاس فانه عند
وصوله الى البحر سار المركب فلم يجد الحصان فسأل
عنه القبطان فأخبره بما جرى وكان فلما سمع منه هذا
الكلام أرا أن يضرب عنقه بحد الحسام ولكنه توقف عن
أذاه أكراما لخاطر مولاه ثم أمر بالرجوع الى عند الملك
حكمون ليقص عليه الخبر ويطلب منه الجواز الاخر فامتل
القبطان أوامره وأقلع من تلك الساعة حتى وصل الى
بيروت فأنزل الزير في القارب وسار به الى عند الملك
حكمون ودخل عليه وهو في السرايه فلما رآه حكمون
فرح فرحا شديدا وقال أهلا وسهلا بالصديق الحبيب وترحب
به غاية الترحيب وأجلسه بجانبه وأقام بواجبه وأشار يقول
وعمر السامعين يطول :

قال حكموت بن عزرا في بيوت تشرح الخاطر وترضي
السامعين

أنورت علينا الدنيا يا همام يا مريع الخيل إذا طال الكمين
يا مهلهل انت عز المحصنات انت فخر للناس الماجدين
قصدت أهلك ثم جيت لعندنا هل شفت أهلك يا مهلهل
سالمين

إذا كان يلزم نجده أحكي لي حتى أسير بالجيش كله
أجمعين

طيب قلبك يا مهلهل لا تخاف ثم اطلب يا ضيا عيني اليمين

فلما سمع الزير كلامه شكره وأثنى عليه وأخبره بما جرى
وكان من فقد الحصان وان السبب في حضوره
الآن أولا لاجل سؤال خاطره الشريف وثانيا ليطلب منه المهر
الثاني وختم كلامه بهذه الايات:

قد أتيت اليوم في قلب حزين على فقد مهري الاخرج
الشمين

فات شئت أعطني أخوه يا معز الجار وفخر العلين
لا أريد مال ولا كثرة نوال غير ابو حجلان مطلق اليمين
يا ملك حكموت ان ماني كثير كل مال ابر في يدي
خزين

فلما سمع حكموت هذا المقال تبسم وقال مهما طلبت منا
لانعزه عليك وجميع أموالنا بين يديك فوالله اننا لانسى جميلك
ومعروفك على الزمان وان ابو حجلان بعد رواحك
من الاوطان أظهر الوحشه ونفر من جميع الناس حتى لم
يقدر عليه أحد من السياس ثم طلب منه أن يبقى عندهم
عدة أيام ليستريح من متاعب الاسفار فاعتذر وقال لا بد من
الرجوع في هذا النهار فأعطاه حكموت الحصان وسار

الى المركب وعند وصولهم اليها نزل بالجوار الى المدينه
فركب وقصد أهله فاتفق في تلك الساعه أن رجلا من
قبيلة جساس ابصر الزير فعرفه وسار الى عند جساس وأخبره
بقدومه وقال له اننى خائف عليكم من سطوته شاهده في
هذا النهار وهو مثل الاسد الكرار ثم اشار يقول:

يقول الشيخ يا أولاد مرة تعالوا واسمعوا لي يا فوارس
ايا جساس يا همام اسمع ايا ملك يا أهل المجالس
فقد كنت قرب البحر سائر رأيت خرج على اليوم فارس
على الهم اقرب الضلع فارح وفوقه درع من بولان لابس
وفي كتفه قنا السمر مكعب بطل صنديد يوم الروع عابس
فهذا فارس البيداء مهلهل مريع الخيل لا يبال داعس

(قال الراوي) فلما فرغ من شعره ونظامه أجابه
سلطان بن مرة بهذه الايات:

يقول اليوم سلطان ابن مرة كلام الشيخ صادق يا فوارس
فان كان ابو ليلى سيظهر يخلي دمننا مثل البواطس
ويسبى من قبائلنا عذارى ونترك أرضنا فقرا دوارس
ولا يقبل رجاء ولا عطاءه ويطرحنا على الغبرا نواكس

(قال الراوي) فلما انتهى سلطان من كلامه وقع
الخوف في قلوب القوم وأخذوا يستعدون للقتال من
ذلك اليوم وأما الزير فانه كان قد جد في المسير حتى
وصل الى دياره والتقى بأهله وأنصاره فلما رأوه فرحوا به
واتت اليه اليمامة وشقايقها وكذلك أخوة الزير وكل من في
الحي من نساء ورجال فوقعوا عليه وقبلوا يديه وانتشرت
الاخبار بقدمه الى الديار بين الكبار والصغار حتى ملأت
الاقطار فاقبلت الابطال والفرسان وتواردت اليه السادات
والاعيان وسلموا عليه وتمثلوا بين يديه وهنوه بالسلامه

فشكرهم واثنى عليهم وترحب بهم فذبح الذبائح وأولم الولائم
ووعدهم بالملكاسب والغنايم وبعد أن أكلوا الطعام وشربوا
المدام أنشد عدي أخو الزير يقول:

يقول عدي أبيات فصيحہ أتاها الزير والمولى عطانا
وكنا قبل ما يأتى الينا بحال الذل في قهر حزاننا
وجساس الردي عايب علينا يريد هلاك تغلب مع أذا
فأمرنا با نبقى جميعنا على طول الليالي مع نسانا
ولا نركب خيولا صافنات ولا نقل سيوفنا في حمانا
الينا جيت يا جميل المحامل ويا كهف العذارى والامانا
لربي الشكر ثم الحمد دايم أذا ماجئتنا نقهر عدانا
ايا سالم فانهض شد عزمك واركب فوق مطلق العنانا
ونركب ثم نحمل فرد حملة على اولاد مرة في لقانا
ونترت دورهم بورا وقفرا ونقتلهم ونأخذ ثارا أخانا

(قال الراوي) فلما فرغ عدي من كلامه تقدمت
اليمامه نحو عمها وشكرت الله تعالى على سلامته ودعت
له بطول العمر فضمها الى صدره وانتفت الى من حوله
وانشد وقال :

يقول الزير أبو ليلى المهلهل الا يا بنات ان السعد جاكم
وأقبل سعدكم والشر ولّى وراح الشر عنكم لاعداكم
ثماني سنين وسط البحر غائب وبالي عندكم مما دهاكم
وفرّج الله همي وغمي وخلصني وجيت الى حماكم
حيث اتيت زال الشر عنكم وثلمت يا بنات منى مناكم
غدا جسّاس أقتله بسيفي وأخذ يا بنات بثار أباكم
وانتم يا عدي ودريعان وباقي أخوتي تسلم لحاكم
فأتوا بالصوافن واركبوهم وهبوا جميعكم ومن معاكم
ودقوا طبلكم يآل قيس وقيموا النار فس ساير حماكم
وخبوني بعيد عن المنازل غدا جسّاس يبرز للقاكم

فلاقوه على خيل ضوامر واني سوف اهجم من وراكم

(قال الراوي) فلما فرغ الزير من كلامه طابت قلوبهم
وانشرحت صدورهم وزالت عنهم الاتراح وايقنوا بالنصر
والنجاح ومازال بنو قيس يجتمعون الى الزير ويتواردون
حتى صاروا في جمع غفير وعدد كثير فاستعدوا للقتال
والنزال فأطمعوا الجوعان واكسوا العريان وأوقدوا
النيران ورجع الحي كما كان هذا ما كان من الزير
وقومه وأما بنو مرة فلما بلغهم الخبر وكيف ان بنو قيس قد
التموا بعد التفريق والشتات من جميع الجهات وهم في
أفراح ومسررات أجمعوا بجساس وقصوا عليه الخبر وقالوا له
لو لم يكن الزير قد ظهر لما كانوا بنو قيس اجتمعت على
بعض هذه الايام وخالفت أوامر لك ومراسيمك العظام فقال لهم
كفوا عن هذا المقال ولا يخطر لكم الزير على بال فاستعدوا
للحرب وانقтал فعند ذلك استعدت الفرسان الفحول

وركبوا ظهور الخيول وتقلدوا بالسيوف وانصول ونقد أملوا
بالنجاح وبلوغ المأمول وركب حساس حصان الزير الاخرج
وسار بذلك الجمع الغفير ولما اقتربوا من حي بنى قيس
سمعت أبطال الزري دق طبوهم وصهيل خيولهم فهاجوا
وماجوا فأمرهم الزير أن يتأهبوا للقتال ويلاقوهم الى
ساحة المجال فتبادروا في المجال وتقدمت الفرسان والابطال
وركب الزير على مهره ابو حجلان وسبقهم الى
الميدان وكمن في بعض الروابي والتلال مع جماعة من
الرجال ولما اقترب حساس من رجال بنى قيس قال لهم لقد
خالفتم أوامري وغرکم الطمع وهجم عليهم بالرجال وأحاط
بهم من اليمين والشمال فالتقوه بقلوب كالجبال واشتد القتال
بينهم وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال فلما رأى المهلهل
تلك الاحوال تكثر الحصان وتقدم الى ساحة الميدان فشق
انصفوف والكتائب ومرق المواكب وهو يهدير ويصيح من
قلب فريخ ابشروا يا بنى بكر يا أنذال ميحل بكم من النوبال

على ما علمتونا به من سوء الفعل فقد اقسمت برب
الانام الذي لا يغفل ولا ينام أني لا أترك منكم شيخ ولا غلام
ثم انه مال وجال وضرب بالسيف العال وتبعه الفرسان
والابطال من اليمين والشمال فلما سمع جساس صوت المهلهل
انقطع قلبه من الخوف والوجل ولكنه ثبت في ساحة
الميدان خوفا من الهلاك والقلعان وأخذ ينخي
الابطال والفرسان على القتال والثبات والهجوم على لقاء
الاعادي قبل الممات فثبتوا ثبات الجبابة وقاتلوا قتال الاسود
الكاسرة ولكنهم لم يقدروا ان يثبتوا اكثر من ثلاث ساعات
حتى انصبت عليهم النكبات وبلوا بيلا لا تطاق من سيف
المهلهل فارس الافاق فولوا الادبار واركنوا الى الهزيمة والفرار
بعد ان قتل منهم عشرة آلاف فارس كرار وتبعهم الامير
جساس وهو في قلق ووسواس وغم بنو قيس منهم غنائم
عظيمة ومكاسب جسيمة ورجعت الى الديار بالعز والانتصار
والبطش والافتدار وفي مقدمتهم الامير المهلهل الجبار وهو

مثل شقيقه الارجوان مما سال عليه من أدميه الفرسان
ولما وصل الى المضارب بقواد المواكب لاقته بنات أخيه
وجماعته من أقاربه وأهاليه فشكروه على تلك الفعال وقالوا
مثلك تكون الابطال والفرسان ثم انه جلس في الخيام
وجلست حوله السادات العظام وجبايرة الصدام فتحادثوا
في الكلام وشكروا رب الانام على بلوغ النقص والمرام وبعد
ان اكلوا الطعام وشربوا المدام التفت بعض القواد الى
المهلهل فارس انطراو وقالوا بالله عليك أن تنشدا شيئا من
اشعارك لان قلوبنا مشتاقه على الوقوف على
أخبارك وما جرى لك في أسفارك فعند ذلك أنشد يقول
وعمر السامعين يطول:

يقول الزير ابو ليلى المهلهل فكل مقدر لابد يأتي
نزلت يا أخوتي وابناء عمي بجنح الليل لا يدروا صفاتي
فقالوا ضيفنا شرطوا علينا فلا نوقد النار في افلاة

تكا فحت اليمامة مع حمامه وقالوا عمنا هيهات يأتي
فقلت لها لييك جئتك انا مرادي السباع انكاسرات
فجيت لعندها في قلب صامد وجدت عيونها مقرحات
قلت يا يمامه ليش تبكي جرحت باليكا قلبي لأنني
فهمك يا يمامه ليس تبكي اذا ثارت حروب الفلاة
انا همي كرا ليس الفوارس اذا ما وهجت نار العداة
وجيت انا على جساس رامح هرب مني وصاح أنوا العداة
وقال الزير جانا يا بلانا وطالب تارة بالمرهفات
فقولوا لابن مرة ياتي عندي اتاه الزير دباح العداة

(قال الراوي) فلما فرغ الزير من كلامه شكرته أخوته
وجميع قوامه فعند ذلك تقدم سالم المهيأ اليه وقبله بين عينيه
وأشار يقول :

على ما قال سالم المهيأ مهلهل جيت هذا اليوم يومك

وزال النحس والتوفيق أقبل وأضحى القطر يزهو في
قدومك

ولما جيت يا زين الفوارس ازلت همومنا وزالت همومك
فقم أركب عليهم يا مهلهل نهار وليل ما أحد يلومك
وخذ الثار من جساس حالا وافرج همنا واخلي همومك

(قال الراوي) فلما فرغ سالم من شعره طابت قلوب
الجميع وعادوا لما كانوا عليه من الفرح والمسرّة واما بنو مرة
ابتلوا بالذل والنيل من حرب الزير فارس الخيل ولما اصبح
الصباح واشرق بنوره ولاح ركب الامير مهلهل في مائة الف
بطل وطلب حرب القوم فانقاه جساس في ذلك اليوم وكان
بمعيته مائه الف مقاتل بين فارس وراجل فالتشب بين الفريقين
القتال وعظمت بينهم الاهوال وقاتل المهلهل حتى استقتل
فنكس الابطال الفحول على ظهر الخيل وقتل جماعه من
السادات الاعاظم الذين اشتهروا بانفضل والمكارم وشاع

ذكراهم وشاع ذكراهم بين الاعارب والاعاجم فمنهم الامير
شهاب المكنى بعقاب وغيره من السادات والانجاب
واستمر القتال على هذا الحال طول ذلك النهار فانكسرت بنو
مره اشد انكسار ورجع المهلهل بالغزو والانتصار ولما كان
الصباح ركب المهلهل والفرسان فالتقاء حساس بالرجال
وتقاتلوا اشد قتال ولما تقابلت الصفوف تبادرت المئات
والالوف وبرز اخو حساس بين الصفين ولعب برمحين بين الفرقين
وطلب قتال المهلهل فانطبق عليه وحمل كانه قطعه من جبل او
قله من القل فتطاعنا بالرماح وتضاربا بالصفائح وثبت شاوش
امام الزير ثبات الابطال والغاوير لانه كان من الابطال
المشهورة والفرسان المذكوره واستعمر الاثنان نحو ساعه
من الزمان وهم ضرب وطعان وكان الامير شاوش
قد حتم على نفسه امام الابطال اما ان يهلك في النهار او
ان يظفر بخصمه ويعيش في عز واقبال ثم صاح على
المهلهل وطعنه بالرماح قاصد قبض روحه فالتقاها المهلهل

بالدوقه فراحت خائبه بعدما كانت صائبه ثم تقدم المهلهل
وهجم عليه وضربه بالسيف على عاتقه خرج يلمع من
علائقه فوقع على الارض قتيلا وفي دمه حديلا ثم هجم
على الرايات وطعن الفرسان والسادات وقتل الرجال
ومدد الابطال في ساحه المجال وفتك فيهم فتك فيهم فتك
الاسود الكاسره وفعل افعالا تعجز عنها صنايد الجبابره
وفعلت ابطاله مثل افعاله فقاتلوا القتال المنكر واذقوا الاعداء
الموت الاحمر فلما راي حساس ما حل بقومه من العذاب
استعظم المصاب وخرج عن دائره الصواب وزال اكتئاب
وذلك على فقد اخيه ليث الغاب لانه كان يحبه محبه عظيمه
وموده جسيمه فبكى وانسحب وولى يطلب لنفسه الهرب
وتبعه رجاله وابطال ورجع الزير بياقي الفرسان الى
المنازل والاطوان وهو شقيقه الارجوان مما سال عليه من
ادميه فالتفته اليمامه بالاعتزال والكرامه ثم نزل في الخيام مع
السادات الكرام فاكلوا الطعام وشربوا المدام وكان في كل

يوم يركب حسب عادته لحرب القوم حتى بلغ منهم غايه
المنى وابلاهم بالذل والاعنا فلما طال المطال على بنى مره
الاهوال جمع حساس الرجال ومن يعتمد عليهم من المطال
وقال لهم ما هو قولكم في هذا الامر العسير فقد حل بنا
التدمير وهلك كل سعيد وامير وان طال القتال لم يبق احد
من الرجال فقال اخوة سلطان الراي عندي ان
تأخذ اختنا الجليله وبعض نساء القبيله وتذهب اليه وتقع عليه
وتطلب منه كف الاذى والضرر وتعطيه اديه اخوه مهما امر
وتقيمه ملكا على بلاد الشام وتدفع له الجزيه في كل عام فقال
حساس من يذهب وقص هذا الكلام عليه قال انا وانت يا
أخي فبتسم حساس وقال سمعت بأحد من الناس يرى
الموت بين يديه فيزحف اليه على رجله فقال سلطان
انا اذهب اليه بنفسي لان بيني وبينه مودة قديمه ومحبه
مستقيمه ثم انه نهض في الحال وتاهب للسير والترحال واخذ
معه اخته الجليله وبعض من نساء القبيله وقصد المهلهل حتى

وصل اليه وسلم عليه وقال بالله عليك ان تصفح عنا فقد
اهلكت رجائنا ولم تبق احد منا وقد اتيتك الان مع امرأة
اخيك الجليده واكابر نساء القبيله تقع على ساحه اعتابك
وتطلب من جنابك وتبلغك غابه الارب من الفضه والذهب
ونقيمك ملكا على هذه الديار وتكون طوع لك مدى
الاعصار لانك سيفنا الثقيل ورحمنا الطويل ثم انشد هذه الايات
بحضور الامراء والسادات:

قال سلطان بن مرة في يوت يا مهلهل استمع مني
القصيد

ليت عمرك يا مهلهل انف عام يا حماء البيض في يوم الشديد
فاعف عنا وانت يا سياج المحصنات ليت عمرك كل يوم في
مزيد

نحن منك وانت منا يا همام كلنا اولاد عمك يا رشيد
فاعف عنا ثم دعنا في حماك تحت ظلك عيشك يقي رغيدي

فلما فرغ من شعره ونظامه أجابه المهلهل:
افتهم يا ابن عمي ما اريد افتهم فحوى كلامي في
قصيد

ليس لي ذنب في أي الامور وانا في حكم لست عنيد
غضب عني يا سياج المحصنات على عمرئ يا ولد عمي
يزيد

كل ذا جاري عليكم يا رجال على يمامه بنت اختك الاكيد
اليمامه كل يوم تقول خذ بثاري ايها البطل العنيد
فان عفت انا عنكم اعف كل قول صادق والله شهيدا
وان ابت لا اخالف قوها انني عن امرها لست احيد

(قال الراوي) فلما انتهى الزير من شعره ونظامه قال
للسطان ومن حضر معه انني
لا اكف الحرب والقتال ولا ارفع عنكم السيوف انصقال الى

يوم القيامة او تمنعني اليمامة فاذهب اليها وخاطبها بما خاطبها
به امام هؤلاء الاعيان فعساه ان تجيب طلبك يا سلطان
فعند ذلك قصد سلطان اليمامة اخته الجليده ومن حضر
معه من نساء سادات القبيله فدخلوا جميعا اليها وسلموا
عليها وقبلت الجليده بناتها وقالت هن اما كفي يا بنات
الاکارم والوقار فقد قتلت رجائنا وهلكت فرساننا وابطاننا
وساعت احوالنا وصارت عبره لمن اعتبر ومثلا بين البشر فا
جابتها اليمامة انا لا اصلح حتى لا يلقى منا احد يقدر ان
يكافح ان كان عمي عجز من قتالكم فانا انوب عنه
واللتقي بابائكم ثم انها ختمت كلامها بهذا الشعر والنظام:

قالت يمامه من ضمير صادق يا جليده اقصرى عن
عناكم

انت وخوالي وكل عشائري لا تزيدوا لفظكم ولا لغاكم
قتلتم الماجد كليب والدي غدرا وما له ذنب معاكم

جساس طعنه من قفاه بحربه ودعاه على الغبرا حقير
حداكم

انا واخوتي بقينا بذله نمسي ونصبح ولا ننسى بلاكم
انا لا اصالح حتى يعيش ابويا ونراه راكب يريد لقاكم

(قال الراوي) فلما فرغت اليمامة من شعرها ونظامها
وفهمت الجليله فحوى كلامها رجعت هي واختها مع
باقي النساء الى الحي بدون الدنى افاده واخبروا
الامير جساس بواقعه الحال وما سمعوه من المقال فاعتراه
الخوف والاندھال وايقن بالھلاك والنوبال فقال اخوه
سلطان وكان ذا مكر واحتيال اني ساهلك الزير ايها
الامير واقوده اليك عند الصباح كما تبغير فقال ماذا عولت ان
تفعل وما هو العمل قال اني اقصد الميدان في جماعه
من الاعوان واحفر هنالك ثلاث حفاير ونغطيهم بالقش
حتى يخفوا عن عيون العساكر فما كان الصباح

والتقى الجحفل بالجحفل فتبرز انت الى المهلهل وتكون
انت عارف بهم فتقوده اليهم وبهذه الوسيلة تتم الحيلة فيسقط
ويهلك في هذا الشرط فنخلص من شره وتبلغ ما انتمناه
فاستصوب جماس هذا اراي واستحسنه وخرج ذلك الليل
مع اخيه سلطان في جماعة من العبيد والاعوان حتى
وصلوا الى المكان فحفروا ثلاث حفائر عميقة وغطوها
بالقش ووضعوا عليها التراب حتى يخفى عن العيون ثم
رجعوا الى اماكنهم وهم مسرورين وباتوا تلك الليلة على
مقالي النار وهم ينظرون طلوع النهار هذا ما كان هؤلاء
واما الزير البطل النحير فانه ركب في الصباح بفرسان
الكفاح وقصد ساحة الميدان بقلب اقوى من الصيوان
فالتقاء جماس بالعسكر ثم انفرد بنفسه نحو الحفاير واخذ يلعب
الجوال على عيون العساكر والقوال فرآه بعض الفرسان
وهو يجول في ذلك المكان على ظهر الحصان فأعلم
المهلهل بذلك الشأن وقال له ان خصمك ظاهر للعيان

وهو في تلك الناحية من الميدان فلما رآه المهلهل قصده
على عجل ليقتله ويبلغ الامل فلما اقترب منه ابتعد حساس
وانطبقت عليه باقي الناس بقصد ان يطعنوه ويهلكوه
ويعدموه فلله در الحصان ابو حجلان فانه كان من
عجائب الزمان وغرائب الاوان اخف من الغزلان
واسبق من البرق عند اللمعان فانه عندما وقع ضرب
بحافرة الاض ارتفع حتى صار بين الفرسان بالميدان
فرجعت الخيل عنه مدبرة فاستعظم تلك الامور المنكرة وغاب
عن الوجود حتى صار بصفة مفقود فرأى حساس
ينحى ابطاله ويصيح على رجاله فتقدم نحوه بالجوار ليشفى
من غليل الفؤاد فاتفق المقدر بوقوعه في الحفرة الثانية من
تلك الحفر فوثب به الجوار وانتصب اسرع من النظر اذا
وثب حتى صار على وجه الارض فانقلبت عليه العساكر
على بعضها البعض فزال بالزير الكدر وطار من عينيه الشرر
فقصد الامير حساس دون باقي الناس ليقتله ويعدمه

الحواس فكبي به الجوال في الحفرة الثالثة وكانت عليه اقبح
حادثه وكان جواده قد اعياه التعب وضعفت قواه وانحل
منه العصب حتى لم يعد يمكنه ان يفعل كما كان يفعل
وكذلك الامير مهلهل فقد انهك حيله وطاش واعتراه الخوف
والارتعاش وايقن باهلال الممات وآيس على نفسه من
الحياة فكانت علة عظيمة وداميه جسيمه فلما بلغ جساس الامل
ونجح بذلك العمل ايقن يلوغ الارب وصاح من شدة
انطرب على باقي رجاله ومن يعتمد عليهم من ابطائه
يا ويلكم الدركوه واطمروه واقتلوه فان تخلص هذه المرة من
هذه الحفرة لا تتأملوا بنجاح أو نصر فلما سمع الرجال منه هذا
المقال قصدوا ذلك المكان من اليمين والشمال وكانت ايضا
بنو تغلب قبيلة الزير فارس العجم والعرب قد اقبلت ابطاها
وفرسانها ورجاها وانشب بينهم وبين القوم قتالا لم يسمع بمثله
قبل ذلك اليوم وكان القتال في ذلك اليوم بجانب تلك الحفرة
ولما عظمت الاهوال وتكرست جثث القتلى على الارض

مثل التلال من ضرب السيوف وطعن النصال هجم
جساس امام الناس وقال للفرسان والابطال والشجعان
الركوني في هذا النهار واسعفوني بالتراب والاحجار
واردوا هذه الحفرة في ساعة الحال وانا ارد عنكم هجمات
الرجال فتقدموا من عجل وبادروا باجراء هذا العمل غير
انهم لم يبلغوا الامل لان أخوة الزير والفرسان المشاهير
هجموا عليهم من اليمين واليسار وضربوا فيهم السيف
البتار فأبلوهم بالذل والدمار وكان الامير مرة بالقرب من
تلك الحفرة فرآه عدي اخو الزير فتقدم اليه وقبض عليه والقاء
في تلك الحفرة بالعجل وقال خذ عمك يامهلهل ولما صار بالقاع
ضربه بالسيف فقتله ثم اخرجوا الزير من تلك الحفرة بالقوة
والاقتدار فعند ذلك انشروا من بنى تغلب انقلوب
وزالت عنهم الغموم والكروب وايقنوا بالفلاح والتوفيق
والنجاح وقصدوا الحرب والكفاح والتقوا أعداءهم بأسنة
الرماح ومال ايضا الزير على القوم ونادى اليوم ولاكل يوم

وفي الحال اشتعلت النيران القتال وقامت الحرب على
قدم وساق وارتجت جوانب الافاق من ضرب السيوف
الدقاق والرماح الرقاق وجمدت من القوم الاحداق وفعل
الزير في ذلك اليوم فعلا لا تطاق ومازاولوا في أشد قتال
الى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت
بنو مرة بالويل والحسرة والمهلل بالنجاح والنصرة فنزل عن
ظهر جواده وخلع آلة حربيه وجلاده وجاءت السادات واكلت
من زاده ولما جلس في الصيوان ونادى على عبده
ابي شهوان باحضار المدام الى الديوان فأحضره
بالعجل فتناوله منه المهلل ومن حضر في ذلك المحفل فعند
ذلك تذكر الزير ماجرى له في ذلك اليوم المهول فأنشد يقول
:

يقول الزير ابو ليلى المهلل فدمع العين هطل عمانا
نقد قتلوا اخي اولاد عمي وقالوا ما راوه الا جبانا

ولا يدرون بأسى واقتدارى فقطعتهم ولم أخشى
الزمانا

أنتنا فى كليب اولاد مرة اتونا لاخلين على نسانا
وقالوا كف عنا يا مهلهل فقد حكمت سيفك فى اذانا
فاطلب ما تروم اليوم منا واتركنا فقد صرنا حزاننا
فقلت لهم روحوا لليمامه رضاها اليوم احسن من
رضانا

قتلنا كليب الوف قوم فما فيهم ردى ولا جبانا
قتلنا من بنى مرة اماره ملابسها ثياب الطيلسانا
فرحوا الكل قد وقعوا عليها وقالوا عمك ارسلنا عيانا
فقاتل اذهبوا اولاد عمى فهذا القول ضحك فى لحانا
فانا لا نصالح فى كليب الا ان نراه على الحصانا
وقد حفروا لقلعانى حفاير وغطوها وقالوا قد كفانا
فركبوا خيولهم واتوا حداها وقالوا قد اتانا قد اتانا
وقف جساس ما بين الحفاير هجمت عليه اطعنه السننا

فولى هاربا من هول حربي ومرة قد قتلناه عيانا
فكوني يا يمامه في انشراح وحظا ايم في طول الزمانا
فسوف اييد جساس بسيفي وكل سيد يبغي اذانا

(قال الراوي) فلما فرغ الزير من شعره ونظامه شكره
جميع اقوامه ولما كان الصباح رجعوا على ما كانوا عليه
من الحرب والكفاح وما زالوا في قتال وصدام مدة من
الايام ولما طال المطال اتفقوا على توقيف الحرب والقتال
واخذوا هدنة شهرين لراحة الفريقين فاتفق في بعض الايام
بينما كان الزير خارج الخيام معه جماعة من الخدام واذا
برجل يقول مهر الهم كامل الصفات فاستحسنه الزير غاية
الاستحسان وقال لقائده ما هو اهل هذا الحصان يا حلو
اشمائل ايه من الخيول الاصايل قد اتيت به من ابعد الحلل
لاهديه للامير مهلهل فتعجب الزير من الاتفاق الغريب وقال
نقد نلت مرادك من قريب فانا هو مهلهل الذي انت

قاصده فاخذ منه الجوال وامر له بالف دينار وبلغه مقاصده
فدعا له بطول العمر والبقاء وعلو الشأن والارتقاء وسار من
يومه الى قومه فاعتنى الزير بذلك الحصان وفضله على
جميع الخيول والجياد واتفق في ذلك النهار انه التقى برجل
ختيار وهو راكب على دلة سوداء مثل الظلام ووراها كر
ابن سبعة ايام وهو يبرطع خلفها وتارة من قدام فلما راه
الزير اعجبه وقال لذلك الشيخ اتبيع هذا الكر فقال بكم فقال
ليس على الكريم شرط فأعطاه الزير مائة دينار وأخذه منه
وسلمه الى السائس فرباه مدة اربع سنوات ثم دخل الزير
ذات يوم الى الاصطبل فنظر الكر وهو متعافى فأمر السائس
ان يضع عليه عدة ولجام فأخرجه واسرجه وجمه فركب
عليه الزير وساقه ورجع الى الوراق فرده الى اليمين فراح
شمالا واجتهد ان يمشه فما كان يمشي معه فغضب منه
ولكزه برجله في الركاب فتضايق المشوم من فعالة وضربه
بنعالة ضرط ضرطة من شدة الوجع كأنها صوت مدفع

فغضب الزير وتألم وضربه بالسيف فأورثه العدم ودخل الى
صيوانه فاجتمع
بنوابه واعياناه وقال ونقد جربت دني الاصل واكرمته فضاع
فعلي معه وما قدمت هذا المثل ايها السادات الاخيار الا
تتعلموا ان الحمار يقتنى الحمار ثم انه ركب ذلك الحصان
فوجده من عجائب الزمان فزال انشراحه فيه فأمر
السايس ويداويه ثم انشد يقول:

يقول الزير ابو ليلى المهلهل بلوم الشعر ما تغلي مالي
ابا غالي رضيت اخیل تركب تعالی واسمعي مني مقالي
جمع الخيول للحمر خوادم شبيهه انصيب تخدمها المواني
واما الخضر مركوب الامارا فتركبها الملوئ وكل والي
واما الدهم زيدوهم عليقا وسيبوهم لدهمات الليالي

(قال الراوي) فلما فرغ الزير من كلامه شكره قومه

على حسن اهتمامه ثم استعد الفريقان للقتال وجرت
بينهم عدت وقائع واهوال انتصربها المهلهل وكسب اموالا كثيره
وقتل سادات كثيره حتى ضعفت بنو بكر وذلت وبعد كثرتها
قلت واضحمت

(قال الراوي) فبينما هم في حاله اذل والانكسار واذا
بغبار قد علا وثار قاصدا بلادهم وتلك الديار فشخصت اليه
الابصار ساعه من النهار الى ان ارتفع وتمزق وبان
من تحته الف فارس وكلهم مخ بالسلح والدوق وفي اولهم
فارس بالحديد غاطس كأنه قله من انقل او قطعه فصلت
من ذيل جبل وعلى راسه البيارق والريات والسناجق فلما
راه جساس استبشروا وايقن بالفرج بعد الشقا والكدور ولما
اقترب للعيان ونأملتته الفرسان واذا اسد الاجام الامير
سيبوت ابن الامير همام وكان المذكور قد خرج في
جماعه من فرسان الصدام للغزو على بلاد الروم وذلك
من عهد وقوع الزير في البحر كما سبق الكلام فلما عرفوا

وتحققوا خرجوا اليه واستقبلوه وفرحوا بقدومه الي الديار
وكان ذلك اليوم عندهم اعظم نهار فذبحوا الذبائح وطعموا
الغادي والرائح وكان افراح الخلق ابوة همام وامه ضباع
حيث لم يكن غيره سوى الذي قتل الزير على بير
السباع فلما نزل بصيوانه بابطائه وفرسانه خاع عدته وغير بذلته
ودقت له النوبات وقامت الافراح والمسرات وعمل جماس
وليমে عظيمه لها قدر وقيمه استدعى اليها جميع الاكابر
وامراء القبائل والعشائر وكان شيبون قد وجد السادات
والاعيان في هموم واحزان فسال عن ذلك الشان
فقال جماس له لاتسال يا ابن اخي عما اصابنا ودهانا من
خالك الزير غالمها فانه يكتف بقتل اخيك شيبان حتى
جعلنا مثالا بين العربات على طول الزمان فانه افنى
رجائنا واهلك ابطائنا وقد حرمننا هجوع الليل وهدمنا القوى
والحيل كل هذا هو لا يقبل منا ديه ولا مال ديه ولا مال ولا فديه
وقد اعلمنا بالتقصيه واو قفناك على باطن الطويله فلما

سمع شيبون هذا الكلام صار الضيا في
عينيه كالضلام من عظم ما قاله اخمرت عينيه وشتم خاله
ووعدهم بالمساعدة والمعاضده وان يكون معهم على قتال
خاله يد واحده ثم نظم هذه القصيده وارسلها لخاله على سبيل
الملام والتهديد:

قال شيبون ابن همام الامير حامي الزينات طعان
العدا

مرعب الفرسان في يوم اللقاساقيا للعدى كاس الردى
ضرب سيفي يقطع السيف المتين ثم يقدح الصخور الجمدا
كل من يبغى قتالي يرتدي ويرتمي فوق الصعيد ممدا
لم يبق لي مقارن في المجال حين يلقوني يولدا شردا
وانت يا خالي مهلهل يا همام شد عزمك للقتال الى غدا
ولا تنقل يا خالي ما اعلمتني يا قليل العقل لا تتمردا
ابرز الي في الصباح ولاقني ثم ابشر يا مهلهل بالردا

(قال الراوي) فلما فرغ شيبون من شعره ومقاله ختم الكتاب وارسله الى خاله مع رجل من ابطاله فلما فتحه الزير وقرأه وعرف فحوى معناه أجارت وغاب من ديناه وقد شق عليه وتأسف وصفق كفا على كف وقال انه معذور في هذه الامور لانه جاهل مغرور فلقضى ان ينتصح قبل ان يفتضح فاجابه على ابياته تقول:

الجز الثامن

قال ابو ليلى المهلهل اننى مفرج الكروبات في يوم الزحام
يا فتى شيبون يا ابن اخى ضباعا تهددني في كتابك يا
غلام

ثم تطلبني الى سوق المجال وانت قصير على وضرب الحسام

احتفظ من ان تجهل يا امير الجهل يسقيك كاسات المدام

اطرد الشيطان ابليس اللعين واتصح من قول خالك ياهمام
لا تخالفنى واسمع ما اقول يقتلك جهلك وما تبلغ مرام
رد عما انت فيه ولا تزيد ان كنت تبغى حربي والصدام
شد عزمك غدا اتلاقى سوى من طلوع الفجر الى
وقت الظلام

فلما انتهى الزير من شعره ونظامه ارسل الكتاب الى
ابن اخته شيبون فلما فتحه وعرف ما احتوى عليه من
المضمون مزقه ولم يكثرث ولما اصبح الصباح واشرق بنوره
ولاح ودقت طبول الحرب والكفاح وركب شيبون وجساس
وكذلك الزير الفارس الدعاس والتقوا با بطاهم ورجاهم وتشددوا
في قتاهم وكان شيبون قد برز الى ساحه الميدان
وتبعه الابطال والفرسان والتقى بفرسان تغلب وفعل بهم
العجب فما صدم فارسا الا اعطبه وعن ظهر جواده اقلبه ثم
صاح وحمل بقلب اقوى من جبل وطلب براز خاله المهلهل

وكان الزير لما شاهد افعال ابن اخته وما فعل بابطاله ورفقه
حمل عليه واحمرت اماق عينيه وقال اذهب يا وجه العرب قبل
ان تهلك وتعطب فقال الى اين اذهب يا خالي وانت
غايه بغيتي وامالي فوالله لاقتلك في هذا النهار واطفى
اخبارك من بين القوم لانك طغيت وتجبرت وافترت
فاغتاظ الزير من هذا الكلام والتهديد والتقاء بقلب شديد
وجرى بينهما في اليتال وقائع واهوال تشيب الاطفال ولما
طال المطال قال له الزير امام تالابطال ارجع يا ابن اختي
بامان قبل ان يحل بك الهوان وتلحق باخيك شيبان
فارجع الى اهلك وامك وارسل لي ابطال قومك مع جساس
عمك فلم يجبه شيبون بكلام بل كان يقايل كسبع الاجام
وكان الزير كلما حكم عليه بالضرب في الحرب تمنع عن
اذاه شفقته عليه واكرام لحاظه والديه وما زال يقاتله ويداريه
وينصحه بتلرجوع عما فيه الى ان اقبل الظلام فعند ذلك
توقف القتال ورجعت الفرسان الابطال عن ساحه المجال

ثم

وانتقوا في اليوم الثاني وكان أول من برز الى ساحة
الميدان الامير شيبون فصاح وطلب براز المهلهل فالتقاه
الزير ونهاه عن قتاله فلم ينتصح بمقاوله بل تقدم اليه وهجم
عليه و اشار يقول متهددا اياه امام الفرسان والفحول:

أنا شيبون ابن همام الامير فارس الفرسان في يوم
النكير

استمع يا زير قلبي وافهم لابل من قتالك يا وغدا حقير
ما بقالك مخلص مني ولا من حسامي اليوم لو انك تطير
ثم آخذ ثار اعمامي الجميع كم بطل صنديد صيرته حقير
ليس لك قلب على اختك يحزن وأولاد عمك ذاقوا منك
النكير

كم قتلت منهم خلق كثير كم يتمت كل طفل صغير
سوف ترى حربي يا مهلهل في لقاء الابطال ما لي نظير

قد اخبروني يوم جئت بانك يا قليل العقل تركب للحمير
مايقنى الحمار الا الحمار ما انا مثلك ولا عقلي صغير
هات لي سيفك ورمحك والثياب هات ابو حجلان كا طير
يطير

حتى اقتلك من حسامى واقنا وتطلب الجير ومثلى
من يجير
ان كنت لاتنصح فهذا حربنا ويكون النصر من رب
التقدير

فلما سمع الزير هذا الكلام وقع عليه اشد من ضرب الحسام
فأجابه يقول:

قال ابو ليلى المهلهل ثم قال انت ياشيبون ما عاد لك بعير
هرجت ياشيبون ما في قولك كثير الجحش لا تختل كما
يحمل بعير

لوسقيت الجحش من سكر وسمن ولو خلطت له الصنوبر
والشعير

لا عاش اصله ماينفع منه الجميل اكيد هو مجنون من يقنى
الحمير

وانت ياشيبون لو لم تكن حمار مارجعت اليوم الى
حربي تغير

فاني قد عفوت عنك البارحة من امك وابولك نعم النصير

وانت تعلم اننى سبع الرجال قتلت منكم اثنى عشر الف امير

هذا من غير التواضع والغريب تاه فيهن العدا ناس كثير
كم نصيحه نصحتك لاتنتصح جاهل سوف تقع في وسط نير
لم يبق لي ذنب ان اتك منى ضرب بهدى الابدان ما عاد
لك مجير

دونك الميدان ياشيبون قم وقو عزمك لا يكون باعك

قصير

(قال الراوي) فلم يلتفت شيبون الى كلامه ولا أكثرث بالتوبيخ والملام بل حمل عليه حملة أسد الغاب واخذ معه في الطعان والضرب فالتقاه مهلهل بالعجل بقلب اقوى من الجبل واشتد القتال وعظمت الاهزال حتى تعبت من تحتها الخيل وارتحى منهما العزم والخيول وما لا على بعضهما البعض كل الميل وكان الزير يطاوله ويحاوله واستمر يقاتلان ثلاث ساعات من الزمان حتى استعظمت من قتالهما الفرسان وشخصت اليهما عيون الشجعان وكان الامير شيبون يود ان يقتل خاله ويعلمه الحياة ويفتخر بقتله على اهله واقرباه الى ان غنم الفرصة عليه فهز الرمح وطعنه بين ثديه فخلى المهلهل منها فراحت خائبه بعد ما كانت صائبه فزال الزير غضبا وتوقد قلبه والتهب وصمم على ان يسقيه كأس العطب فجذب سيف حكمون

وقال اليوم اريك يمحنون كيف الضرب يكون لاني
نصحتك فما انتصحت ولقد خسرت وما رجحت ثم تقدم اليه
وهجم عليه وضربه على مفرق راسه فسقاه الى تكة لباسه
فوقع على الارض يتخبط بعضه ببعض فلما رآه المهلهل وهو
قتيل يتململ ندم على ما فعل فتحسر وهطلت الدموع من
عينيه فلما قتل الامير شيبون احمرت من بني مرة
العيون وزادت عليهم الحسرات

وايقنوا بالهلاك والشتات ولكنهم اخفوا الكيد واظهروا النصبر
والجلد وقاتلوا قتال الاسود وطلبوا الرايات والبنود فالتقاهم
الزير بالعساكر وضرب فيهم بالسيف البواتر واحاط بهم
احاطة الخواتم بالخصاص وقتل منهم مقتلة عظيمة واصاب غنائم
جسيمة فلما رأى جساس ضعف حاله وقتل فرسانه فولى
يطلب الهرب خوفا من العطب وتبعه فرسان وقد ابصروا
ان ذلك اليوم العجيب من قتال بني تغلب فرجع عنهم
الزير وهو حزنان على فقد ابن اخته الامير شيبون

فنزل في الصيوان مع الامراء والاعيان ولم يكن له داب
الا البكاء والانتحاب ولما اتى وجلس وانشد هذه الايات وهو
من الحزن على آخر نفس:

الزير انشد شعرا من ضميره العز بالسيف ليس العز بالمال
شييون ارسل نهار الحرب يطلبني يريد حربي وقتلي
دون ابطال
نصحته عن قتالي ولم يطاوعني بارزته فتجندل في الارض
بالحال

المال يبنى بيوتا لاعمالها والفقر يهدم بيوت العز الغالي
دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتن الا خالي البالي
ما بين لحظة عين انت راقبها يغير الله من حال الى حال
فكن مع الناس كالميزات معتدلا ولا تقولن ذا عمي وذا
خالي
عم الذي انت مغرور بنعمه خال الذي انت من اضراره

خال

لايقطع الراس الا من يركبه ولا تريد المنايا كثرة المال

(قال الراوي) فلما فرغ الزير من كلامه وانطرح على فراشه من شدة حزنه على ابن اخته ولما بلغ قتل شيبون ابوه همام وامه ضباع احترق قلبها عليه لانه كان ابنها الوحيد بعد اخيه شيبان وكانت الفرسان قد اتت بجثته اليهما فبكيا بكاء شديدا ومزقا عليه الثياب وبعد ذلك دفنوه في التراب وفي اليوم الثاني ركب الامير لقتال الزير وتبعه جماس وباقي الابطال والفرسان وبلغ المهلهل الخبر فركب في ابطاله وفرسانه ولما التقى الفريقان وتقاتل الجمعان برز الامير همام الى معركة الصدام وطلب براز الزير المهلهل وكان قد غير صفاته ووضع ثامنا على وجهه حتى لا يعرفه احد فبرز اليه وهو لا يعلم بأنه الامير همام فاقتتلا ساعة من الزمان وكان همام قد ضرب الزير

بالحسام قاصدا ان يسقيه كأس الحمام فخلى الزير منها
فراحت خائبه فهجم عليه وطعنه بالرمح في صدره خرج
يلمع من ظهره فوقع عن ظهر الجواد كأنه طود من
الاطواد فالتقت على الزير وقال له وهو على آخر رمل آه
يا مهلهل لقد قتلت ابن اختك نهار امس واليوم تقتل صهرك
همام قال نعم قال ما عاهدتني انك لاتقتلني ابدا واننا نكون
اصحاب على طول المدى فلما ذا خاطرت بنفسك وطلبت
قتالي وانت تعلم بانك لست من رجالي فقال لقد جرى
القلم بما حكم فانقضت حياتي ودنت وفاتي وهذا الامر
مقدر بأمر رب البشر وما دام الامر كذلك يا فارس المعارك
فكف اذالك ودواهيك واجعلني فدى اخيك فقال والله يعز
على فقدك ولا عا ليطيب لي عيش من بعدك لكنني لا
أكف الحرب والصدام حتى لا يبقى من بني بكر شيخ ولا
غلام ثم انه من بعد هذا الكلام هجم على المواكب ففرقها
وطعن في أبطالها فمزقها فتأخرت عنه الفرسان ورجعت

الى الاوطان وهي في حالة الذل والهوان ولما بلغ
ضباع قتل بعلا غابت عن عقلها وقد عظم مصابها وسارت
الى بنى تغلب ودخلت على أخيها الزير وقلبها يلتهب
وقالت له بكلام الغضب هكذا تفعل يا أخي العرب تقتل
اولادي وبعلي وتحرمني أهلي وتتركني حزينة طول الدهر
أقاسي الذل والقهر هكذا تكون الاخوان الذين
يدعون الفضل والاحسان فوحق الاله القادر الفاحص
القلوب والضمائر ان موتى انذ عندي من الحياة
وافضل فانت نسيت الجميل والمعروف وقابلتني بالغدر
والمتلوف بعد ان اخلصتك من الحريق وكشفت عنك ذلك
الضيق فلما سمع الزير منها ذلك الخطاب اظهر الحزن
والاكتئاب وتلقاها بالاكرام وانترحاب ثم اعتذر لها بانغلط
واخذ يطيب خاطرها ويعزيها عما فرط وامرها بأن تسكن
عنده بخدمها وحواشيها فامتثلت كلامه وقامت في بيت
أخيها.

(قال الراوي) فلما عظم الامر على حساس وبني بكر
وكثر فيها السبي والقتل ارسلوا يستجدون اهل اليمامة
فأمدوهم برجل منهم يقال له الفند بن سهل (الحارث ابن
عباد) وكان من جبايرة الزمان وفرسان الاوان
لايالي بالاهوال ولايخاف كثرة الرجال وكان يلقي نفسه
على المخاطر ويصيد الكواسر فسار الى مساعدة القوم
من ذلك اليوم وقد انتخب من الشجعان سبعون
فارسا مثل العقبات يقاربون في الشجاعة والفروسيه
واهمه العليا وكانت اهله قد كتبت اليهم تقول قد امددناكم
بعشرة آلاف فارس من الفحول وبهم تناولوا من أعداءكم
النقص والمأمول فلما قدموا الى تلك الاوطان وراهم
حساس وباقي الابطال فاعتراهم الانذهال لانهم لم يروا اكثر
من سبعين تحت رايه الفند الاسد العربند فقالوا اين
جماعتك الباقيين فقال الفند انا بسبعة آلاف فارس واصحابي

ثلاثة الاف مداعس فتبسّموا من هذا الكلام والتقوهم
بالاكرام والاحترام فذبحوا النوق والاغنام ونصبوا لهم
المضارب والخيّام ثم استعدوا للحرب وسمع بهم المهلهل وتزيد
في الخيل والرجال وزحف من يومه في فرسان قومه
فالتفتة بنى بكر في مكان يدعي عقبة الريحان فلما
اقرب العسكران قال الحارس بن عباد وكان من
الفرسان الاجوال الى حساس قائد القواف هل تطيعني ايها
الامير فيما اقول واشير فقال قل ما بدا لك فاني لا أخاف
مقالك قال أعلم ان القوم مستخفين بقتاننا وذلك لضعفنا وقلة
عدد رجائنا فقاتلهم بالنساء مع الرجال فتبلغ منهم القصد
والامال فقال حساس وقد اعتراه الانذهال مامعنى وكيف
قتال النساء مع الرجال قال انك تحلق رؤوس الفرسان وتجمع
النسوان اللواتي اتصفن بالشجاعه وقوة الجنات
فتحملهن الماء بالقرب وتعطي كل منهن مطرقة من
خشب وتصفهن خلف الرجال وقت الحرب والقتال فان

هذا المجال يزيد الابطال نشاطا في ساحة المجال فإذا خرج
منكم احد الناس يعرفنه من حلق رأسه فتسقيه الماء فينعشه
وإذا مررت بعدوكم عرفته فتقتله فاستصوب حساس هذا
الراي واستحسنه وفي عاجل الحال جمع النساء والرجال
وعرض عليهم هذا الحال فاجابوا امره بالامتثال ولم يبق يومئذ
من بكر احد الاحلق واستعد الارجال من الفرسان اسمه
ريعه بن مروان كان زميما قصيرا فارسا حطيرا فقال
ياقوم زميم قصير وإذا حلقت راسي اصير معير عند الكبي
والصغير فدعوني من هذا ياسيدات العرب فانا ابلغكم
الارب واقتل خمسة فوارس من تغلب فاجابوه الى ما طلب

.

(قال الراوي) ولما اتقت العساكر بالعساكر وتضاربت
السيوف والخناجر ونقلبت تغلب على بكر كليوث الاجام
واهبوهم بضرب السيوف على الهام فارتدت بنو بكر طائبه

الانهزام فاشهر جساس في يده الحسام وصاح فيهم بصوت
كالرعد والغمام وقال يا ويلكم ارجعوا وقاتلوا بقوه وعزيمه
فاجتمعت بنو بكر بعد الانقلاب الى الحرب والقتال وضموا
خيولهم في كتيبه واحده وطلبوا المكافحه والمجاهده وصاح
الفند بن سهل والقي نفسه على القتال وهو ينخي الابطال
ويصيح على الرجال ففرق الواكب وظهر بقتاله العجائب.
فلما راي المهلهل افعاله برز اليه وطلب قتاله فالتقاه الفند
بقلب كالحديد وهجم عليه هجوم الصناديد وما زال في قتال
شديد وحرب ما عليه مزيد الى ان صارت وقت الزوال
فتوقها على الحرب والقتال وافترقت العساكر عن بعضها
البعض ونزلت في جوانب تلك الارض.

(قال الراوي) وكان ربيعه لم يلحق راسه من ضرب
السيوف وطعن الرماح فوقع طريقا بين القتلى على وجه
الغلا فمرت عليه نساء بنى بكر فوجدته ذات له طويله
فحسبته من بنى تغلب فضربته بالمطارق حتى اورلته

موارد العطب فضربت به الامثال وتحدثت به السنه الرجال.
(قال الراوي) ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح
وركبت الفوارس ظهور الخيول واعتقلوا بالسيوف والنصول
وتقدموا الى ساحه الميدان بالضرب والطعان وكان
المهلهل في الجحفل كانه قله من قتل او قطعه فصلت من
ذيل جبل فصاح وحمل على جيوش الاعداء كليث الاجام
وضرب فيهم بالحسام وتبعه امرؤ القيس بن ايدان وكان
صنديد واشتد بين الفريقين القتال وكثر القيل والقال وتقطعت
الاوصال وجرى الدم وسال وكان يوما شديد الاهوال لم
يسمع بمثله في الاجيال كثر فيه القتال والجراح وتمددت على
وجه البطاح وارتجت تلارض من قعقة السلاح وصهيل
الحيل وهول انكفاح وكان الفند قد حمل مواكب المهلهل وقاتل
حتى استقتل وفعلت فرسانه مثلما فعل وبذل حساس في
ذئبك اليوم غايه الجهود وهجم بقومه على الريات والبنون
هجوم كواسر الاسود واشتد على المهلهل القتال واحاطت به

الاعداء من اليمن والشمال وهو يقاتل ويمانع وينصح رجاله
على الثبات ويدافع حتى جرح في ثلاثه مواضع. فلما
زادت عليه الحال وازدحمت حوله الرجال تاحر عن ساحه
المجال خوفا من الهلاك والنوبال وانكسرت بنو تغلب في
ذلك النهار اشد انكسار وتفرقت في البراري والقفار
واستظهرت بنو بكر غايه الاستظهار وقتلت الشجعان امرؤ
القيس بن ايد و كان من الاعيان صيته محمود مشكور
وهو غير امرؤ القيس الشاعر المشهور فبكى المهلهل عليه
وكان يحبه ويميل اليه ورجعت بنو بكر الي الديار وهي
بغايه الفرح والاستبشار على ذلك الفعل.

(قال الراوي) اما المهلهل فقد زاحقته على بني بكر وبات
تلك الليله على مقاني الجمر ثم جمع الفرسان والابطال
وتجهز للحرب والقتال فالتقه بنو بكر بقلوب كالجبال وجرت
بينهم وقائع واهوال لم يسمع بمثلهافي سالف الاجيال واستمر
الحال على هذا المنوال مده عشرين ايام وكان المهلهل قد اتتصر

في اكثر الوقائع جماعه كثيره من الفرسان المعامع ولما كثر
بين الفريقين القتل واتفقوا على توقيف الحرب مده شهرين
فاfterقبت الفوارس عن بعضها ونزلت كل فرقه بارضها (قال
الراوي) ولما قتل كليب كما تقدم الكلام كانت زوجته الجليله
حامله بهذا الغلام فلما طردها الزير الي بيت ايها وسكنت
عند جساس اخيها فولدت غلاما فسمته الهجرس وتقبوه الناس
بالجرو فكانت مع اخواله بني مره واولادهم وكان خاله
يحسن ويشفق عليه وكان الغلام قد احب حاله الامير
جساس دون باقي الناس فلا يدعوه الا ابا ونشأ الغلام ذا
عقل وادب وهو محبوب من جميع العرب لفصاحته وبرتعه
وقوته وشجاعته فكان يركب ظهور الحيل ويتعلم عليها
الفروسيه في النهار والليل فبرع واشتهر على شباب القبيله
افتخر فلما بلغ عمره حمسه عشره عاما زاد شهره وارتفع مقاما
فراه جساس في بعض الايام وهو كانه ليث الاجام والشر طائر
من عينييه ولا يقدر احد عليه فانذهل واندھش وخاف منه

وارتعش وكان كثيرا ما يتأمل في امره ويخاف من
سلطوته وشره لانه قتل اباہ بالامس وتركه يتيما طول الدهر.
(قال الراوي) اتفق ذات يوم ان الجرو ركب في جماعه
من الشباب واخذوا يتعاطون بالجريد في الميدان
وكان من جمله الغلمان عجيب ابن الامير حساس
وكان شديد الباس فطعن عجيب الجرو طعنه فمال عنها
فراحت خائبه ثم ان الجرو تقدم نحو عجيب وطعنه بجريده
اصابته فالتقه عن ظهر الجواد الى الارض فنهض غضبانا
فشتم الجرو واهانه بالكلام وقال اهكذا تفعل يا ابن اللئام
بابناء السادات الكرام يهدل بهذا الشعر.
يقول عجيب من قلب موجد الا يا رفقتي حالي عجيب
ضربني الجرو منه جريده فارماني وصيرني كتيب
ولم يعلم باني خير ماجد ولد حساس قوم مستهيب
لولا عمتي لقطعت راسه واطرحه على العبرا قليب

فهذا ولد كليب الاعادي ولا ضد انكلاب الا التقصيب
دعوه يروح عنا لا يماطل ويذهب سرعه قبل المغيب

(قال الراوي) فلما فرغ عجيب من شعره ونظامه وفهم
الجرو فحوى كلامه اجابه على شعره يقول:

يقول الجرو اسمع يا ابن خالي كلامه ليس يسمعه اديب
تقول اليوم تقتلني بسيفك وتتركني على الغبرا قليب
اذا ابصرتنى يوما فريدا فقتلني بسيفك يا عجيب
فانزل عن جوادك يا ابن خالي وافعل ما تريده عن
قريب

وافعل ما تريده اليوم فينا فاني لا اخافك يا عجيب
(قال الراوي) فلما فرغ الجرو من كلامه واذا بسلطان
اخو حساس اقبل عليهما في ذلك الوقت فوجد الدم يسيل
من ابن اخيه حساس فلما علم بواقعه الحال اغتاض غيظا

شديد وشتتم الجرو وقال والله لولا كرامه امك تقطعت راسك
واحمدت انفاسك فقال يا خالها انا بين يديك فافعل ما تريد ثم
هطلت عيناه بالدموع وتنهد من فؤاد موجوع وسار الى
عند امه واعلمها بما جرى وكان يطلب منها الرحيل من
ذلك الاوطان فتكدرت امه واجابته الى ذلك نشان ثم
انهما صبرا حتى اظلم الليل فتركا المضارب والخيام وسارا
تحت جنح الظلام في جماعه من العبيد والخدام وجدافى
قطع البراري والاكام مسافه عشره ايام واتفق في اليو
الحادي عشر انهما التقيا بشيخ في ذلك البر الافقر وهو يقطع
البر الفسيح على الفرس تسابق الريح وكان بمعينه عشره
ابطال من صناديد الرجال وكان قد خرج لصيد الوحوش
والغزلان وهو راجع الى الاوطان فتقدم الجرو اليه وسلم
عليه فرد الشيخ سلامه وقال له ايها الفتى الماجد من اين
اتيت والى اين قاصد فقال طردوني اهلى ورييت يتيم
وانا طالب انسان كريم حتى التجىء اليه واقيم عنده

فقال الشيخ اذا كان الامر كما تقول فشرفتني الى اطلالي
فانا افديك بروحي ومالي واثار اليه يقول :

يقول الامير منجد من قصيد الايا قاصدا نبيل المارب
فشرف منزلي وامر عبيدك يرون الاعر والجنائب
بكم قد حلت البركه علينا يرون الاعر والجنائب
فمثلي ما تلاقوا اين سرتم وعندى تبغلوا كل المطالب
انا مسجد فمن نسل الاكارم ابي وائل وما فينا معاقب
الوف الوف تخدمنى وتخضع لامرى في المشارق والمغرب
وانت بقيت بعد اليوم ابنى ولست اليوم في قولى بكاذب

(قال الراوي) وكان هذا الشيخ اسمه منجد بن الامير
وائل وهو خال كليب والوزير البطل الحلاحل وقد كنا ذكرنا
عنه في اول الكلام بانه بعد قتل كليب استخدم مع اخوته
الثلاثة عند التبع في بلاد الشام ولما قتل التبع ولما هرب

وسكن في اخر بلاد العرب خوفا من كليب ان يقتله
كما قتل اخوته لانه ييغضه دوت اهله وعشيرته فلما فرغ
النجد من شعره ونظامه وفهم الجرو فحوى كلامه فرح
واستبشر ورجع الى عند امه على الاثر واعلمها بما جرى
وكان ثم انهم ساروا معه الى الاوطان ونصبوا المضارب
والخيام فاكرمهم منجد غايه الاكرام وانزلهم اعز مقام وكان
لمنجد المذكور عشره اولاد من الذكور كانهم البدور فالفوا
الجرو واحبوه وكانوا لا يفارقوه وكانت امه الجليله قد الامير
منجد حق المعرفه ولكنها كتمت الامر عن زيد وعمر خوفا
من العواقب وطول النوائب فاجتمعت بابنها الجرو فقال اذا
سالك عن اسمك فقل اسمي الهجرس ولا تقول الجرو فقال
ان الاسمين واحد فما هو مرادك ذبك فقالت ان
يكون الهجرس كلب الصياد فانه اصلح من الجرو ابن
الكلب وانت امير وابولك كان من الفرسان المشاهير
ومن ذلك اليوم تسمى الهجرس وغلب هذا اللقب بين

العرب وكانت امه في قلق عظيم خوفا عليه فاجتمعت ذات
يوم بشيخ عبيدها وكان اسمه صباح و اشارت تقول من
فؤاد متبول:

تقول الجليله بدمع سجام ايا صبح اسمع الكلام
فهذا الشيخ الذي تراه مكيد الاعادي بضرب الحسام
يسمى منجد صميدع عنيد ولد وائل وفي الزمام
فهو امير وابن امير وحوئه عساكر كثيره كفيض الغمام
فهذا حال كليب الامير مع سالم الزير قوم همام
فهو خالهم قد عرفته سريع ميكدا الاعادي بضرب الحسام
وهو خال زوجي لكن عدو كيف العمل الان صرنا نضام
واصل العداوه كليب الامير قتل اخوته في دمشق الشام
قتل اليمامة واخذ ثار ابوها واهلك اخوه منجد وشام
ونحن الان نزلنا عليه عرفته وقد اعتراني سقام
اني اخاف على ابني حقيق يهنيه ويدعى لمة سجام
عدو لك اياك تركن اليه ولو انه سقائك المدام

(قال الراوي) فلما فرغت من شعرها ونظامها فهم صبيح
فحوى كلامها قال اين تتوجه الان وقد صار لنا مده
من الزمان والصواب ان تكتم امرنا على كل انسان
حتى يفرجها علينا الرحمن الرحيم واستمروا مده طويله
في تلك القبيله وهم عز واقبال وارغد عيش واحسن حال
الى ان كان في بعض الايام اغار على الامير منجد بعض
الملوك العربان في ثمانين الف عنان فالتقاه منجد بعسكر
جرار فانكسر عده مرات حتى ال مره الى الدمار.
فلما شاهد الجرو تلك الاحوال وما وقع بمنجد من الاهوال
برز الى ساحه المجال وقاتل الشجعان والابطال وظهر
الغرائب والعجائب ففرق الصفوف والمواكب وكسر ذلك
الشمس والقمر وفعل فعلا تبقى وتذكر وما دامت الشمس
والقمر وعند رجوعه من القتال بالانصر والاقبال وشكره
منجد على تلك الفعال قال له مثلك تكون الرجال فوالله

لقد حميت الحریم طردت الغریم وخلدت لك ذکرا جمیلا
على طول الدوام وعند وصولهما سرايه الاحكام وجلسهما
في الديوان قال منجد بحضور السادات والاعیان مثلك
تكون انفرسان فاعلمنی عن حبیبك ونسبک ومن
يكون قومك فلما سمع الجرو فحوى كلامه اجابه بهذا
القصید:

يا فخر ماجد في الرجال فاسمع ياملك فحوى كلامي
انا اسمي اليتيم يا مسمى ولا اعرف ابي ولا اخواني
واني قد سالت امي مرارا فتسكت لاترد الى سؤالي
تقول ابولك شاليش بن مره قتله الزير في يوم النزال
فاطلب من اله العرش ربي لآخذ الثار منه بالقتال

(قال الراوي) فلما فرغ الهجرس من كلامه زال منجد
فب احترامه ونهض على الاقدام واعتقه امام السادات الكرام

وقال لهانت من بنى مره اصحاب الشجاعه والقدرة فعربك
من عربي ونسبك من بسى فوالله ما ضاع نظري فيك
فاطلب من الله ان يحفظك ويبقيك وينصرك على
جميع حسادك واعاديك من ذلك الوقت زاد في اكرامه
ورفع مقامه على الكبار والصغار وكان لمنجد بنت بديعه
الجمال متصفه بالاداب والكمال كانها هلال ذات عقل ثاقب
وراي صائب لا يوجد مثلها في العرب والاعاجم اسمها
بدر باسم فزوجه اياها وتمتع الجرو بحسنها واقام في ارغديش
واحسن حال وهو يحكم على تلك الاطلال وقد احبته
جميع الرجال.

(قال الراوي) هذا ما كان من الهجرس والجليه وما
جرى هما في تلك القبيله واما حساس فانه بعد رحيل اخته
من الديار زادت به الاكدار وكان كثيرا ما يتذكرها في
الليل والنهار فاتفق في بعض الايام بينما هو جالس في الخيام
دخل عليه بعض الشعراء فسلم عليه وعلى باقي الامراء

واخذ يمدحه بهذا الشعر والنظام على ماجرت به العاده في
تلك الايام:

قال جابر في بيوت صادق انت يا جساس رب المكرمات
سمعت بصيتك انا يا ذا الامير في الكرم والجود يا فخر الذوات

انت ملك البلاد جميعها حاكما في الارض من كل الجهات
قاتل الضد في يوم الوغا مكرم للضيف سنه الحملات
انت يا جساس ملك البلاد مع اخوتك وشقايقك السيدات
والسادة: لولاكم ماكنت جيت لارضكم ماكنت فارقت العيال
مع البنات
وتركت اختي يا ملك اولادها وزوج اختي يا ملك ذا العام مات

اولاد اختي سبعة ذكور عند اولادي واهلي تبات
جور هذا الدهر في الدنيا عجيب كم له في كل يوم تقلبات

(قال الراوي) فلما فرغ جابر من شعره ونظامه وفهم
جساس فحوى كلامه امر له بالف دينار واعتبره غايه الاعتبار
ثم التفت اليه اخوه سلطان وقال له امام السادات
والاعيان

اسمعت كلام هذا الشاعر الذي يدور في القبائل والعشائر
ويمدح السادات والاكابر املا في المكاسب وبلوغ المارب
كيف انه ذكر اخته في شعره ولم ينسها طول دهره فكيف
نحن نكون سلاطين الزمان وملوك العصر ولاوان
اختنا ان تغضب منا وتبعد ولانعلم الى اين ذهبت واي
قبيله طلبت فماذا تقول عنا دول الممالك اذا سمعت عنا ذلك
فمن الواجب ان نقتفي اخبارها الان ونعيدها
معزوزة الى الاوطان ثم انه بكى امام جلسائه وبكت
اخوته وندم سلطان على ما فعل واستعظم ذلك العمل ثم
التفت جساس الشاعر وقال له انت تطوف حلل العرب ونمدح

الملوث واص

حاب الرتب فاريد ان تستقصي لي عن اخبار الجرو
وتعلمني الى أي حله قصدوا وعن اسم القبيله فان
اتيئني بصحه الخبر بلغتك انقصد والوطر فاجابه الشاعر وامثل
ثم سار على عجل يطوف القبائل والحلل ويستقصب عنها
الاخبار من الكبار والصغار حتى سمع بخبرهما ووقف
على حقيقه امرهما فقصدهما الى ذلك المكان واجتمع
بهما في انصيوان وحدثهما بما سمع في حقهما من جساس
وسلطان

ثم اشار يمدح الجرو ويقول وهو فرحات على بلوغ القصد:
يقول جبر من قلب حزين فدمعي سال من وسط
الاماق

ادور على القبائل والعشائر لاحظني بالمكاسب والنياق
فاصغى يا امير الى كلامي فانت اجل فرسان السباق
فصيتك شاع في كل القبائل فمن يمن الي ارض العراق

وما لك في ابريا من شبيه ونجمك فاق سام المجد راق
سالت الله ان يحفظ جيا لك على طول المدى والدهر باق
رحنا من حماه لعند خالك ملك جساس سلطان الافاق
فأهدانا وقام انعم علينا وقلبه من بعادك باحتراق
وارسلني لا كشف اين انتم ليحظى فيكم من بعد الفراق

(قال الراوي) وكانت الجليله تسمع هذا الشعر وهي خلف
الحجاب واستر فما هان عليها ان تسمع بذكر اخوتها كانوا
الذين سببا لغربتها وفرقتها من حلها فأمرت كبير العبيد
أن يوقف عن اتمام القصيد وان يكتم خبرهما عن هذا
ذاك خوفا من الفضيحة والانهاك ثم امرت له بالنف
دينار واعطاه الجرو مثل ذلك المقدار ففرح الشاعر واستبشر
ورجع على الاثر واعلم جساس بذلك الخبر فأرسل في الحال
اخوه سلطان في جماعه من الابطال
ليأتوا باخته الجليله وابنها الجرو من تلك الاطلال فلما

اقترب سلطان الى تلك الاوطان ارسل بعض الفرسان
ليعلم منجد بقدمه الى اوطانه فخرج في الحال في جماعه
من فرسانه فألتقاه احسن ملتقى لانهم كانوا اقارب
واصدقاء وانزله في سرايه الاحكام وذهب
له النوق والاغنام واكرمه غايه الاكرام وفي ثاني الايام اجتمع
سلطان باخته الجليله وولدها الجرو واعتذر لهما بما فرط
منه وطلب منهما الرجوع الي الديار وشدد عليهما في ذلك
غايه التشديد فأجابه الي ماطلب واعلم الجرو والامير منجد
بانه يريد الرجوع الي اهله وعشيرته مع امه وزوجته ومن
يلون به من جماعته لان نفسه اشتاقت الي الوطن فقال
منجد والله يا امير يعز علينا فراقك ولا زالت ارواحنا في
كل وقت تشتاقتك ولكننا لانقدر ان نمنعك عن اهلك
واصحابك وبني عمك واحبابك ثم اعطاه مائه ناقه محمله نفائس
الاقمشه والذ خائر ومائه جواد وغير ذلك من
المعادن والجواهر ومائه عبد ومائه جاريه واركب ابنته زوجة

الهجرس على هودج كبير وسار لوداعهم مسافة نصف يوم
ثم رجع الى الديار وسار الهجرس مع امه وزجته يقطعون
القفار حتى وصلوا الي منازل بنى مرة فالتقاهم جساس
بالفرح والمسره وامر بذبح الذبائح واطعام الغادي والنرائح
واشار الى الجرو يقول:

لما قال انفتى جساس صادق ايا مرحبا بك يا ابن اختي
ففيكم حلت البركه علينا وضاء الحي في قربك ادينا
وامك يا فتى عيني وروحي وعمرك يا جليله ما فرحت
فا ابنك غدا كالسبع الكاسر فان الجرو للاعداء كاسر
ييوم الحرب والاهوال كاسر اله العرش يرجعه ظافر
فلا تعتب على سلطان خالك ولا قوله يخاطر قط يبالك
فلا ابني ولا نحن مثالك انا ساحكمك من فوق تختي
انا ابكي على المرحوم ابيك قتله الزير في ربعك وحيك
فقم واركب يروح خالك واخذ من المهلهل ثارلك

سأنتك الله ان تأخذ بشارك بقتله تكشف عنك عارك
مرادي تقتله وتأخذ بشارك وتحرقه بشارك يا ابن اختي

(قال الراوي) فلما فرغ جساس من شعره ونظامه وتبسم
الجرو من كلامه قال له كن مطمئن الخاطر يا خال هذا
ما كان من الجرو وجساس واما الزير الفارس الدعاس
فانه بينما كان راقد ذات ليلة ان راى في منامه ولذيد
احلامه اخاه الامير كليب وهو يعاتبه بهذه الايات على اخذ
الثار وكشف العار ويقول وعمر السامعين يطول:

تنام الليل كله يا مهلهل وثارى ما قدرت على وفاه
وعظمى ذاب حتى صار كحلا وجساس بن مره في
الحياه

فأجابه الزير يقول:

امير كليب ما قصرت يوماً بأخذ الثار من قوم البغاة
فقم اسال بناتك يا حبيبي على طعنى وضربي بالعادة

(قال الراوي) فاسيقظت بنات كليب من المنام وايقظن
عملن بهذا الشعر والنظام:

يقولون اليتامى يا مهلهل أأنا كليب يستنجد اخاه
كليب قام من وسط المقادير وصار كليب في وسط الحياه

(قال الراوي) كان الزير قد استيقظ من منامه
فأرى البنات حواليه فقال هن رايت اباكم في المنام ثم
حدثهن بما سمعه وراة بالكمال والتمام فبكين بكاء شديدا فقال
الزير ان هذا المنام بدل على عجب وحادث يقع عن
قريب فاستدعا بعض الرمالين اليه وقص ذلك المنام عليه
فضرب الرمل الرمل ورسم الاشكال وولد البنات من

الامهات حتى عرف حقيقة الخبر فقال له لك ابشرى يا
فارس الصدام فان جساس سوف يقتل من بعد ايام وذلك
من يد شخص يظهر من لحمك ودمك و اشار يقول:
يقول بشير اسمع يا مهلهل ايا سالم فابشر زال همك
اتاك النصر من رب البريا انه العرش من خيرات عمك
وقد ظهر رسول الرمل عندي سيظهر شخص من لحمك
ودمك
فيقتل في الوغا جساس حالا وانت ترجه ويزول همك
وتهلك بعده اولاد مره وستقيهم جميعا كاس سمك

(قال الراوي) فلما سمع المهلهل هذا الشعر من الرمال
فرح واستبشر وقال له انتم ذلك انكلام ابشر مني يبلوغ المرام ثم
انه احسن اليه ووعد به بكل جميل ولما اصبح الصباح واشرق
بنوره ولاح ركب المهلهل الى الحرب والكفاح وتبعه الابطال
والفرسان وركب ايضا الامير جساس بالرجال واشجعان

وَقَتَّلُوا طُولَ ذَلِكَ النَّهَارِ وَقَتَّلَ الْمُهْلِلُ مِنْهُمْ عَدَدَ
كَثِيرٍ الْمَقْدَارِ وَمَا زَانُوا فِي أَشَدِّ الْقِتَالِ إِلَيَّ أَنْ دَقُّوا الطَّبُولَ
الْأَنْفَصَالَ فَافْتَرَقَتِ الطَّوَائِفُ
عَنْ بَعْضِهَا وَنَزَلَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ فِي أَرْضِهَا وَأَمَّا الْمُهْجَرِسُ فَإِنَّهُ لَمْ
يَرْكَبْ مَعَ جَسَاسٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَاجْتَمَعَ جَسَاسٌ بِأَخْتِهِ الْجَلِيلَةَ
فِي الْمَسَاءِ وَقَالَ لَهَا أَنْ ابْنُكَ لَمْ يِقَاتِلْ مَعَنَا وَلَا نَعْلَمُ مَا هُوَ
السَّبَبُ فَاسْأَلِيهِ وَأَعْلَمِيَنِي بِمَا يَقُولُ فَسَأَلَتْهُ أُمُّهُ عَنْ عَدَمِ
خُرُوجِهِ إِلَى حَرْبٍ فَقَالَ لَهُ أَعْلَمِي يَا أُمُّهُ أَنَّهُ لَا يَلْقَانِي فِي
قِتَالِ الزَّيْرِ سِوَى حِصَانٍ خَالَ جَسَاسٌ الْآخِرَ أَنْ وَهَبَنِي
إِيَّاهُ فَأَنَا أَعْطِيهِ عِوَضَهُ رَأْسَ الْمُهْلِلِ فَإِنْ قَبِلَ بِهَذَا أَنْطَلُبَ بَلْغَتَهُ
غَايَةَ الْإِرْبِ فَارْجَعْتَ الْجَلِيلَةَ عَلَيَّ الْآثَرُ وَأَعْلَمْتُ أَخَاهَا
جَسَاسٌ بِهَذَا الْخَبَرِ فَوَهَبَ الْحِصَانُ وَقَالَ لَهُ أَنْ قَتَلْتَ هَذَا
الشَّيْطَانَ تَكُونُ عَلَيْنَا مَلِكٌ وَنُحْنُ لَكَ غُلَمَانًا وَأَعْوَانًا فَفَرَحَ
الْجُرُوبُ ذَلِكَ وَضَمَّنَ الْجَسَاسُ قِتْلَ الزَّيْرِ أَمَّا الْفَرَسَانِ الْقَوَا
وَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ وَأَضَاءَ بَنْوْرَةٌ وَلَا حَ رَكَبَ الْجُرُوبُ الْحِصَانُ

المذكور وتبعه كل فارس مشهور وكان الزير قد ركب وطلب
براز فرسان وقال اين جساس الجبان فليبرز الى
الميدان فبرز الجرو اليه وهجم عليه و اشار يقول وعمر
السامعين يطول:

يقول الهجرس يا مهلهل ان عزرائيل اقبل
اين تعدى اليوم منى سوف تلقاني وتقتل
اني كمن قد جاك لا تحسبني بظنك

(قال الراوي) فلما فرغ الهجرس من شعره حمل عليه
وكان المهلهل قد مال قلبه اليه وتحركت جميع اعضاءه
وكان الزير يبطل مضاربه بحسن اختياره ولا كان قلبه
يطاوعه على قتله ودماره وما زال على تلك الحال وهما في
عراك وقتال الى ان دقت طبول الانفصال وعاد
العسكران عن ساحه المجال ورجع المهلهل الى الاطلال

واجتمع بينات اخيه كليب واعلمهن بحديث الغلام وما
جرى بينهما في معركة الصدام وكيف انه اشبه الناس
باليهما كليب في الصورة والقتال ثم قال لليمامه اعلميني هل
كانت امك الجليده حامله لما ذهبت الى بيت ايها فقالت نعم
يا عمي كان لها نحو شهرين ولكن ما هو معنى هذا
السؤال فانشد وقال:

يقول الزير ابو ليلى المهلهل مربع الخيل انتصدت الينا
يمامه اسمعي مني كلامي ايا ست الملاح المحسنينا
برزت اليوم للميدان حتى اقاتل ال مره اجمعينا
فبارزني غلام غريب منهم له عزم كما الصخر المينا
كمثل اباكم وجها وحربا فذكرني ليالي الماضينا
فقد قاتلته في كل لطف وهو يطعن طعان القاتلينا
فحملاته وطعانه قويه تقل الصخر والزور المتيننا
فلما انتهى من شعره اجابته اليمامه تقول:

الايا عم اسمع ما اقولہ لتفہم سالم الخبر اليقيننا
فامي حامله من يوم راحت وحق الله رب العالمينا
ولست ادري ايش جابت ابنت ام غلام يا فطينا
ثلاثة اشارات لي في كليب اشارات بعقلي واسخينا
ركب يوما بقرب النوم مره وقال ايا يمامه انظرينا
من التفاح اعطاني ثلاثة وقال بذي الثلاثة تضرينا
فانكسوف تحتاجي اليهم اذا ظهر لناحقا بنونا
ضربتہ بواحدہ يا عم راحت بضرب رقابہ راحت طحيننا
وثاني واحدہ في رحمہ وثالثہم خطفہا باليميننا
غدا انزل واضربہ ثلاثة كفل ابي ايا عمي احنونا
يكون اخي اذا سوى نظره وان خالف يكون غريب
فيينا

عسى الله يدركنا بلطفه وينصرنا ائله العالمي

نا (قال الراوي) فلما فرغت اليمامة من شعرها ونظامها
وعمها يسمع فحوى كلاهما قال لها فعل ابوك ذلك قالت
قبل موته بشهرين عندما كنت بير السباع وقد صممت
الان ان ارافقك الى الميدان واضربه بالشفاح في ساحه
الكفاح وان افعل كما فعل ابي يكون لاشك اخي وبه
ابلق اربي .

الجزء التاسع

وفي ثاني الايام ركب الزير للحرب والصدام وركبت معه
اليمامة وقد اخذت معها ثلاثة تفاحات وكان الجرو قد
ركب ايضا بالابطال فصال وجال وطلب الزير للحرب والقتال
فبرزت اليه اليمامة بالعجل وقالت انا اقاتلك اليوم دون
المهلل فاستعظم الجرو ذلك ولم يعلم السبب ثم ان اليمامة
اخذت تفاحه ولوحتهها بيدها وضربته بها فاخذها برجله مع

الركاب فطحنها طحنا ثم انها ضربته بالثانية فأخذها على
سنان الرمح ثم أخذت الثالثة وقالت اللهم يا خالق الخلق امح
الباطل واكشف الحق فأخذها بيده ووضعها في جيبه فلما
شاهدت الحال ايقنت انه اخوها لا محاله فنزلت عن ظهر
الجواد وتقدمت اليه وانقت نفسها عليه وقالت اهلا وسهلا
يا أخي ابن ابي واممي فأنت والله ابن كليب دون
شك ولا ريب وقد ربيت في دار العدا والحمد لله الذي
عرفناك بعد طول المدى فقال لها انا ابن شائيش ايتها
السيدة الحرة واممي هي الجليلة بنت مرة فقالت انت ابن
الامير كليب ثم انشدت تقول :

قالت يمامه من ضميرها دمع العيون على الخدين
هنا

اسمع اخي قصتي وافهم معانيها يا قاهر العدا في وسط

ميدان

ابولك خانه جساس ايا سندي بطعنة يا عظيم القدر والنشأ

شاليش خالك كل الناس تعرفه اهل الاعارب قاضيها ومن

دان

وعمك الزير فخر الناس كلهم وفارس الخيل من عجم

وعربان

فاسأل لامك ثم سرلك اكنمه وارجع الينا فأنت اليوم في

أمان

(قال الراوي) فلما فرغت اليمامة من شعرها تأكدت
عنده تلك القضية لان قلبه كان لايميل الى جساس ولا الى
احد من بني مرة ولا سيما انه قد حن قلبه الى اليمامة
فقال لها سرا لقد صدقت بقولك هذا فان هبي الان وعند
الصباح اتبعكم الى الاوطان ثم توقفت عن القتال ورجع

الى عند امه في الحال واخبرها بذلك انشأت وان تعلمه
من هو أبوه من الفرسان وحلف لها بالاله الديان انها
ان كتبت عنه حقيقه الخبر قتلها وجعلها عبرة لم اعتبر لهما
علمت امه باتن الخبر قد اتصل اليه وان الامر ماعال
يخفي عليه اعلمته بالقصة من أولها الى آخرها وأوقفته
على باطنها وظاهها وشارت اليه تقول من فؤاد متبول:

الجليلة قالت ابيات نار قلبي بالحشا زادت نظا
استمع يا ولدي فيما اقوله يا ضيا عيني ويا كل المنى
انت روعي افتهم مني الكلام قول صادق ليس فيه من
خفا

ان ابوتك كليب سور المحصنات قاهر الابطال في يوم
الوغي
واخوته خمسون اعمامك جميع كلهم فرسان طعانه قنا
اربعة من الست يا ابني حقيقي كل واحد سبع ربي بالافلا

منهم المسمى ابولث كليب كان وافتى الزير المهلهل يا
منى
وافتى المسمى عدي درعان هذه الاربعة اتقا منها سوا

ثم ست واربعين خلافهم من الجوارى والسراري والاما
كلهم يا امير اعمامك لهم كل واحد انف يطعن بالوغا
وابولث كليب سار على الجميع بالفروسية مع جود وسخا
جاء جساس خالك باق فيه وتركنى بعده مثل الاما
وطردني عمك الزير بعده فرحت الى اهلي دون الملا
قد كنت حامل فيك بعد ابيك فولدتك في تلك الحما
رحت سميتك على اسم الكلاب سرت كانك سبع رايب
بالفلا

وانا والله من خوفي عليك قلت اخي شائيش انه لك ابا
وانا اعلمتك افعل ما تريد صفا عينشي ووقتي ما تعكر

(قال الروامي) فلما فرغت الجليدة من هذا الشعر بكى
الجرو بكاء شديدا ولام أمه على كتمان الامر ثم انه صبر
الى الليل فركب وسار بالعجل الى عند المهلهل وصحبه
العبد ابو شهوان الذي كان ارسله اليه عمه فارس
الفرسان وفي اثناء الطريق اراه العبد قصر ابيه وقبره
المصنح بالذهب وعينييه واجتمعت جميع شقايقه ومن يلون به
من اهله واقاربه فوقعوا عليه وترحبوه وكان الزير افرح
الحلق ولما استقر به الجلوس وطابت من القوم النفوس قال
الجرو الحمد لله رب الكائنات الذي جمع شملنا بعد الشتات
فوالله العظيم رب موسى و ابراهيم لا بد لي من قتل
جساس واجعله مثل بين الناس لانه فجعني بابي تاجي
وفخري وتركني يتيما طول دهري فقال له الزير لا بد من
قتله على رؤوس الاشهاد وانت تكون الحاكم بعد ابيك
على هذه البلال ثم انشد وقال :
يقول الزير ابو ليلى المهلهل صفا عيشي وقتي ما تعكر

أتاني السعد من رب البرايا واتانا السعد لما انحص الدبر
فقبل ظهوره كنا حزاناً نقضي الليل في قلق ونسهر
على فقد الفتى الماجد كليلاً ثوى غدرنا له جساس فنظر
وفي دمه كتب بالبلاطة وصايا عشر آيات أو أكثر
يوصيني بقوله لا تصالح فسالمت انت ان صالحت تخسر
واطرد الجليدة من حمانا عدوة كعبها ما كان اخضر
طردناها وهي بالجرى حامل من يقدر على رد المقدر
انا فيهم فتكت بحد سيفي وانت انقصد منهم تكبر
واني ما بكيت على كليب اخذت بثاره بالسيف مجهر
فابكي حيث ما خلف ذكورا بنات انكل ما له طفل يذكر
ولما خالقي انعم علينا وجانا الجرو كالسبع الغضنفر
صفا عيشي وقد نلت المقاصد وزال النحس عنا ثم الدبر
وبعد يا ابني اسمع كلامي انا عمك وانت الليث قسور
فقم اجلس على كرسي ابوك وفي احوال اخواتك تبصر

(قال الراوي) فلما فرغ الزير من الشعر والنظام قال الجرو
اطال الله بقاء ونصرى على جميع حسادك واعدالك
وبلغت قصداك ومنالك انى والله يا عم في قلق وغم فلا
تزول احزاني وانال اربي حتى آخذ بشار ابي واقطع
راس جساس واجعله مثل بين الناس فشكره جميع اهله واعمامه
وبعد ذلك قال له الزير ما هو الراي عندنا يا ابن اخي قال
الراي عندي اني اغير عليكم نهار غد واخذ نوقكم
وجمائكم الى جساس واقول له باني اتيت اليوم بامواهم
ومواشيهم وغدا اتى اليك براس الزير ثم احاربك وتكون
انت واضع قربه من الدم تحت جانبك فاطعنك بالرمح فخذ
تحت ابطك والقي نفسك على الارض فتنشق القربة ويهرق
الدم وانا اصيح على جساس واقول له قد قتلت عدوك
يا خال انزل اليه واقطع راسه لقد زال الكدر وبلغنا اليوم الوطر
وعندما ياتي اليك فتقوم اليه بالعجل وتعدمه الحياة لانه لم يعلم

بقدمي عليكم وبهذه الوسيلة تتم الحيلة وتتخلص من هذه
الورطة الويلة فاستصوب الزير رايه ثم انه ودعهم وسار
وحده الي الديار بنى مره وعند الصباح ركب الجرو في
جماعه من الفرسان وساق مواشي بني قيس من
الرعيان باتفاق الامير مهلهل ليت الميدان فخرج الامير
جساس وسادات من بني مره وشكروا الجرو على هذه
الغنيمة

(قال الراوي) فاتقف في تلك الليله بان جساس راي
حلما غريبا وهو انه ابصر ذاته بانه كان قد ربي عنده جرو
وذهب واكان يوده ويحبه فلما انتهى وترعرع وتصاحب
مع سبع كاسر على فالفه الى ان كان في بعض الايام
اغار السبع على مواشي بني مره وهجم على نسائهم
واولادهم وجعل يفترس كبارهم وصغارهم وكان الذئب
يساعده يساعده عليهم فاغتاظ جساس من فعال الاسد
فسلا سيف وهجم عليه يريد قتله واعدامه فوثب عليه

الذئب من ورائه ونهشه فائقه صريعا على الارض ففاق
جساس مرعوبا من هذا الحلم فنهض في الحال وسار الى
الديوان وجمع اخوته وباقي السادات والاعيان واعلمهم
بذلك المنام فقالوا هذه اضغاث احلام وما زالتوا يهرنون
عليه حتى راق وزال عنه القلق والتكدر ولما اصبح الصباح
ركب الزير يطلب الحرب والكفاح وركب الامير جساس وهو
في قلق ووسواس وكان الجرو قد اوعد بهلائك القوم
وقتل المهلهل في ذلك اليوم ولما اتقى الفريقان برز الجرو
الى ساحه الميدان فبرز اليه المهلهل فائقه الجرو وصال وجال
وطعنه بالرمح طعنه كاذبه فسحبها المهلهل من تحت ابطه
فراحت خائبه واتقى نفسه على الارض من فوق ظهر
الحصان خديعه على عيون الفرسات ليظهر لهم انه قد
مات وحلت به الافاق فعند ذلك صاح الجرو الله اكبر على
من طغى وتجبر فقد ظنا المراد بقتل الزير الذي اهلك
العباد ثم صاح على جساس وقال له انزل يا خال واقطع راس

عدوئ فقد قتلتته وكفيتك شره فلما راه يختبط بدمه نزل عن
ظهر النقميره وهو يظن انه قد بلغ غايه مراده ولما اقترب
منه نهض الزير على قدميه وقبضه من خيته وهجم الجرو
ايضا عليه ووضع الرمح بين كتفيه فعند ذلك علم حساس انها
حيده قد تمت عليه وتاكده عنده صحه المنام فاخذ يخاطب
الجرو بهذا الشعر والنظام

قال حساس الذي شاهد وفاه ياسياج البيض في طعن القنا
اننى بك يا ابن اختى مستجير فاجرنى يا ابن اختى من
القنا

فاجابه الجرو بهذه الابيات:

ايا خال اقصر عن ملامك دنى اجلك وقد وافى حمامك

تقول اجرني يا ابن اختي الا يا جرو اعطينا زمانك
قتلت كليب طلما وعدوا انا تظنوا باننى اسمع كلامك
وبعد كليب اصبحت حاكم تسامى في الملا ايضا كلامك
طغيت وجرت في حكمك علينا فاذا نبي لم تعد تسمع كلامك
تريد اليوم منا ان نجيرك فهذا ماتشوفه في منامك

(قال الراوي) فلما فرغ الجرو من كلامه جعل جساس
يتوسل اليه بأن يعفو عنه وقال بالله عليك أن تصفح عني
فأن الذي مضى قد مضى وهل اذا قتلتنى يعيش كليب
ويقوم فاتركنى لوجه الله الواحد القيوم فقال الجرو لابد من
قتلك كما قتلت أبي حتى أكون قد بلغت أربي فلما
أطال بينهما الخطاب قال لهما الزير أراكما قد أطلتما الكلام
والعتاب فعند ذلك طعنه الجرو بالرمح في صدره فخرج يلمع
من ظهره وتقدم اليه الزير بالسيف على راسه فقطعه ثم
وضع فمه على عنقه وجعل يمصه حتى شرب جميع دمه

وكان الجرو ينهش في لحمه حتى بلغ مراده وشفى فؤاده
وبعد ذلك أعطى الرأس الى الجرو ليأخذه الى شقيقه
فسلمه الجرو الي بعض عبيده وهجم مع قومه في باقي
الابطال على جموع بنى مرة في الحال وأذا قومه الوبال بلغوا
منهم الآمال وكانت بنو مرة لما علمت بقتل جساس أيقنت
بالموت الاحمر لانه كان القائد الاكبر وعليه الاعتماد في
الحرب والطراول فولت الادبار وطلبت الهزيمة والفرار وكان
المهلهل قد قتل منهم في ذلك النهار خلقا كثيرا بهذا المقدار
فمنهم أمراء وقوال وسادات وأما الذين سلموا
منهم فانهم طلبوا الزمام من الزير والجرو فأجاروهم وعفوا
عنهم بشرط أن يكونوا مثل العبيد لا ينقلون سلاح ولا
يحضرون حربا ولا كفاحا ولا يوقدون نارا لا ليلا ولا نهارا
ولا يعرف لهم قبر ميت في جوار لا في مقبرة ولا في دار ألا
مشتتين في البراري والقفار يقضوا حياتهم بضرب الطبل
ونفخ المزمار وأن غابت نساءهم طول النهار لا يسألها فين

كانت بل يسأها أيش جابت وليس لهم صفة سوى الرقص
والخلاعة فقبلوا على هذا الشرط بكل رضا وقناعة وبعد هذه
الشروط تسلطن الجرو على كل القبائل نظير أبيه وطاعته
العباد وشاع ذكره في البلاد وفرحت بنات كليب كل الفرح
وزال عنهم الغم والترح وخلعن عنهم ثياب السواد وكان
ذلك النهار عندهم من أعظم الأعياد وكان الجرو قد تزوج
بثلاث بنات وولد له ولدان فسمي الأول تغلب والثاني
مالك ولما بغسن الرجولية زوجهما بنتين شقيقتين وهما
بنات الأمير هلال حاكم حماة وزوج أخته اليمامة للأمير مفلح
أبن الأمير مدكور وهذا ماجرى بينهم وهكذا اتصل
الحسب والنسب وخذت نيران الحروب بين قبائل العرب
وكان أفرح الناس الأمير مهلهل وكان الجرو قد عرض
عليه الزواج فامتنع وكان منعكفا على الجلوس في الخيام
وأكل الطعام وشرب المدام وأقام له عشرون عبدا في رسم
خدمته وكان يرقد وينام وهو لا يلبس آله الحرب والصدام لانه

كان قد أعتاد عليه مدة الحروب والشهور التي أستمريت
اربعين سنه وكسور كما في التاريخ مذكور هذا ما كان
من أمر المهلهل في تلك الايام وسوف يقع له حديث وكلام
واما الجرو فإنه قد زوج أربعة من شقايقه إلى جماعة من
الامراء وصنع هن ولائم وأفراح مدة طويله وأما ولداه مالك
وتغلب بقيا مدة خمسة عشر سنة ولم يرزقا بأولاد من بنات
الامير هلال المذكور وبعد نهاية المدة طلبت نساءهما زيارة
أهلهم في حماة فطلب أزواجهما من أيهما الجرو أن
يأذن لهم بذلك فأمرهم فساروا مع نسائهما إلى تلك
الاطراف ولما بلغ الامير هلال بقدوم أصهاره بنسائهما خرج
للتفاهم مع ولده الامير مفلح وخرجت معهما اليمامة الامير
مفلح المذكور وخرج أيضا أكابر المدينة فالتقوهم بالترحاب
والاكرام وأنزلوهم في أحسن مكان وقاموا في تلك
الايام مدة من الزمان وهم في سرور وأفراح وبسط
وأنشراح ولما صمم الامير مالك وتغلب على الرجوع إلى

الاطلال مات الامير مفلح مع أبيه الامير هلال فأقاما يحكما
في تلك الديار وأنقادت لامرهما أهل تلك البلاد وكانا
محبوبان من جميع العباد وكانت اليمامة بعد وفاة بعليها
ذهبت الى عند أهلها.

(قال الراوي) فاتفق ذات يوم ابن الامير مالك قال لاخيه
تغلب أعلم يا أخي انه قد مضى علينا مدة من الزمان
ولم نرزق بولد ذكر حتى يبقى لنا ذكر يذكر بين البشر فدعنا
تتزوج الان على نساءنا فلعل الله يرزقنا بأولاد والا أنقطع
نسلنا من بين العباد فقال تغلب من الصواب ان نصلي
الى الله في هذه الليلة وتتضرع اليه ان يرزقنا أولاد من
نسائنا لانه على كل شيء قدير فامثل أخوه رأيه وصليا تلك
الليلة بجراره قلب وأشار تغلب يقول وعمر السامعين يطول:

يقول الفتى تغلب على ما جرى بدمع جرى فوق الحدود
نهور

أقول وفي قلبي من البين نوعه وبني حسرات طي الفؤاد
تثور

الفراق أينما الجرو والوزير عمنا عليهم قلبي والحشا مكسور
يا رب يا رحمن يا سامع الدعا عليك أتكأنا يا جابر المكسور
سأناك ربي بالخليل وأبنة بحق الذي اليه العبيد تزور
فيا رب يا رحمن اجبر قلوبنا بجاه عيسى وموسى وانفضل
المشهور

بجاه داود مع يحيى مع الخضر وبالعرش والكرسي وبحر النور
ترزقنا بولدين يحيوا ذكرنا أيا من ترزق كل وحش كسور

(قال الراوي) وكان الامير تغلب ينشده هذه الايات
وأخوه مالك يقول آمين يا رب العالمين فاستجاب الله دعاهما
ولم يخيب شكواهما فما مضت مدة يسيرة وبرهه قصيرة
حتى حبلت نساءهما ولما تمت أيامهما ولدنا الاثنان في
يوم واحد فولدت زوجة مالك بنتا وزوجة تغلب ولدا ذكرنا

فقامت في الحى الافراح والمسرات وكان جناب
الاميرين في الصيد والقنص فأرسلوا لهما بعض العبيد
يشرهما بذلك وكان اسمه مسرور فلما اقبل عليهما العبد قال
له علامك يا مسرور ابشير ام نذير فقال انى بشير و اشار اليهما
بهذه الايات:

قال الداعي المسمى مسرور ياسادتي اتيتكم قاصد بشير
ياأمير مالك اتاك بنت كالثمر ووجها كالشمس والبدر المنير
وانت يا تغلب اتاك غلام يفرح القلب المتيم يا أمير
اتيت اليكم حالا بلا بطن فوق حمرا كأنها طير يطير
اريد منكم يا كرام بشارتي اجبروا بالله قلبى الكسير

(قال الراوى) فلما سمعا كلام العبد فرحا فرحاً شديداً
واعتقا العبد واعطوه الف دينار ولما حضرا الى الحى امرا
بذبح الذبائح وأولما الولائم وأقاما الفرح والسرور لمدة شهرين

كاملين وارسلوا حالا يعلما اباهما وعمهما الزير ويشرهما
بذلك وسميا الغلام الاوس والبنت مي وتعاهدا الاخاف
على زواج البنت بالغلام اذا كبر ولما بلغ الجرو والمهلل ذلك
الخبير فرحا جداً وشكرا الله على هذه النعمة العظيمة
وركب الجرو في جمع غفير من قومه وابطاله وسار جهت
اولاده لانه كان لديه غاية الانشتياق لمشاهدتهما ولما اقترب
من تلك الديار وبلغ ولديه قدومه خرج لملاقاته في موكب
عظيم وعند وصوله سلما عليه ووقعا على يديه يقبلانه فقبلهما
بين عينهما ودعا لهما ثم سألاه عن عمهما فقال انه في خير
وعافيه وانه مازال في خيامه وهو ملازم طعامه مع مدامه ثم
سار الى المدينة وكان ذلك اليوم اعظم من يوم الزينة
ونزل الجرو في القصر الكبير ووقف بخدمته الصغير والكبير
والمأمور والامير وأقام في تلك الديار مدة شهرين كوامل
وكان في آخر هذه المدة مرض ابنه تغلب فاقام عشرة اياما
في الفراش ومات فحزن عليه الجرو حزنا عظيما وعملوا

عليه مناحة عظيمة ودفنوه بكل احترام.
ووقارولما عزم الجرو على الرجوع الى بلاده استدعى ولده
مالك واوصاه بالترعية وان يكون عادلا في حكمه وان
يزوج ابنته مي بالاوز ابن اخيه وبعد ذلك سار وحده في
قطع القفار الى ان وصل اطلاله واجتمع باهله وعياله واما
الامير مالك فانه اعتنى بتربيته ابنته وابن اخيه كما اوصاه
جناب ابيه حتى كبرا وبلغا درجة الكمال وكان الاوز
يركب ظهور الخيل ويتعلم الفروسيه مع الفرسان واستمر
على ذلك مدة من الزمن حتى صار من صنديد
الرجال وشاع ذكره في كل مكان وكانت ابنة عمه مي
من اجمل النساء والرجال وكان الاوز يحبها محبة عظيمة
فكانا كروحين في جسد واحد فلما شاع ذكرها في قبائل
الاعراب وتواردت على ايها الخطاب وكان قد سمع بها
الصنديد بن الاكوع وهو ابن عم الملك تبع حسنة فعشقتها
على السماع وكان من الملوك العظام فارسل وزيره

ليخطبها من ايها فلما وصل الوزير وعلم مالك بالخبر فقال
ولله هونعم انصهر وبه انال الفخر على طول الدهر غير انه
لاخفاك اطال الله عمرك وبقائك بان ابنتي مخطوبة لأبن
عمها الأوس ونحن الآن مباشرين بأمر العرس فلا يمكنني
أن أنقض الكتاب وهذا الذي يمنعني عن اجراء الايجاب
فقال له الوزير اكتب لي الجواب فكتب اليه هذه الأبيات:

يقول الفتى مالك على ماجرى له بدمع جرى فوق
الخدود صدود أيا غاديا منى على متن ضامر تسابق لضرب
المرهف المبرود
تهدي هداك الله خذني رسالتى اعطيه مكتوبي تنال
سعودي

اذا جيت تصنديد فقل له بانني على طول الزمان ودود
ومي ترى مخطوبة لأبن عمها ومعها تربي والانام شهود
فحاشي لمثلي ان يخون اقاربه وافسح زمامي ثم

اكون عنود

ترى روجي يا امير ومهجتي وهو عندنا احلى من
المولود

فلو كنت اعطيها غير ابن عمها لكنت انت اليوم اولي
بالمقصود

ثم ان الوزير اخذ هذا الجواب ورجع الى عند الصنديد
واعطاه اياه فلما وقف على حقيقة الحال
خرج عن دائرة الاعتدال فغير زيه وتنكر وركب جواده
وسار الى تلك الديار وحده وعن وصوله الى مضارب
الامير مائل لم يجد هناك ولم يكن في الحي الا النساء
والبنات فسأل بعض النساء عن غياب الرجال فقالت منهن
من سار الى القبائل ليعزموا الناس الى العرس والفرح
ومنهن من ذهب مع الامير مائل لصيد والقنص ففرح بهذا
الاتفاق وتقدم نحو الصيوان واركز رمحہ ووقف على الباب

ونادى هيا

يا أصحاب البيت فقد اتاكم ضيف من ابعد مكان وكانت
مي داخل الخيام وحدها فما ردت جوابا وما أبدت خطابا
ولما ابطئت عليه الجواب وعرف ان الصيوان خاليا من
الرجال انشد يقول:

قال الفتى الغريب الذي شكى ولي قلب من بين الجوانح
ذاب

اتيت قاصد ما لك في حاجه ولي ساعة واقف انا في
الباب

يا أهل هذا البيت اين اميركم واين مضى من الديار
وغاب

ياربة البيت الذي داخل الحمى ما بالكم لا تردوا الجواب
الا فاخبروني يا بنات بحالكم قلبي غدا من أجلكم مرتاب
اذا كان اهل الحي غابوا جميعهم اما فيكم كريمه ذات

حجاب

فتقر ضيفا قد اتى غريبه وتستر أهاليها مع الغياب
اكيد ما كل النساء تستر الفتى ولاكل من يحوي الرديه
صاب

(قال الراوي) فلما سمعت مي شعره ونظامه وعرفت
قصده ومرامه أخذتها الغيرة والمروءة تستر عرض أهلها من
الثقل والنقال وأشارت تقول:

تقول فتاة الحى مي التى شكت الا فاسمع للقول يا نجاب
يا مرحبا بانضيف لما زارنا لك الخير والاكرام والترحاب
انزل مكانك حتى احضر لك الغدا وتاكل من زادنا وتشرب

انا بنت مالك راح للصيد والدي مع ابن عمي الاوس
والاحباب

انزل حتى يرجعوا رجائنا ويأتوا لنحو الحي بعد غياب
فكم جاء الينا يا أمير مثالكم خلائق كثيرة ما هن حساب
نحن نحب الضيف اذا جاء محلنا انزل واجلس جانب
الاطناب

(قال الراوي) فلما فرغت من شعرها ونظامها وقع
الصنديد في حبها وغرامها ورفع ستار الخيمة بسنان رحمه
فوجد صبيه بديعه الجمال فزاد به الوجد والبلبال فصاحت
عليه من خلف الستار وقالت علامك تنظر بنات الملوك يا
غدار ثم ردت مندليها على وجهها وقالت له لاشك انك قليل
الحياء كامخ فا كنت ضيفا كما تقول فانزل كي آتيك بالغداء
والا فما هذه الوقاحة ثم قالت لجارتها اطلعي افرشي له
حتى يجلس ويتغذى لبيئنا يأتي ابي من البريه
فخرجت الجارية اليه وساتته كي ينزل في الصيوان فقال
لها انه عيب علي ان انزل عند الحريم وانا سيد عظيم ثملا

الذي بكامح هذا من اعظم القبائح وما اتيت الى هذه
الديار الا لامر ضروري وهو ان اتزوج الاميرة ولما تأكدت
الاميرة من مرامه قالت يا نجيب ان كنت الضيوف فاقعد
في الصيوان حتى يأتي ابي من البريه هذا فلم
يسمع لها كلام وقال لابد من اخذك الى الاطلال وهناك
اتزوج بك بالحلال لاني اتيت من بلاد بعيدة لاجل هذه
الغاية الوحيدة وقد

نلت مرادي وحصلت على مسرة فؤادي ثم انه قام تلك
الليلة في ذلك المكان وهو مسرور فرحان ولما كان
الصباح ركب ظهر الحصان وادخلها خلفه وصار يقطع القفار
ويوصل سير الليل بسير النهار حتى وصل الديار ولما سمعت
اكابر قومه بقدمه ظافرا غائما اجتمعوا اليه وهنئوه بالسلامة
وسألوه عن سفرته وما جرى له في غربته فقال اني عند
وصولي الى تلك الاطلال هجمت علي الفرسان
والابطال ومددت اكثرهم على بساط الرمال وفعلت فعل

تذكر على طول الاجيال وقتلت الامير مالك وابن اخيه
واتيت بالعروس الى هنا وقد بلغت المنى فلما سمعت مي
منه هذا الكلام كان عليها اشد من ضرب الحسام فنهضت
على الاقدام فقالت له امام الاعيان لقد نطقتم بالنزور
والبهتان فوحق الاله الديان لو كان ابي وابن عمي
حاضران لما كنت رجعت سالما الى اوطانك ولا اجتمعت
بأهلك وخلانك وتكنك خطفتني بالاحتيال وهربت في الحال
قبل ان تدركك الرجل ويحل بك النوبال ثم انها بعد هذا الكلام
بكت بدمع سجام ولما سمع الحاضرون فحوى كلامها
خافوا من انقواقب وعلموا بأن كلام الصنديد ليس له
صحة فهو في حديثه كاذب واما الصنديد فانه اغتاز من
هذا الكلام فنهض والطمح على موجهها وقال هكذا تتكلمين
يابنت اللثام امام السادات الكرام ثم سل سيفه وغمده واراد
أن يعدمها الحياة فعتد ذلك وثب الوزير وباقي الا مرء
بالعجل وردوه عن ذلك العمل وقالوا له انت امير اتجمل

عقلك كعقل النسوان فما تقول عنك ملوك الممالك اذا
سمعت بذلك ومازلوا يتوسلون بالكلام حتى لان وكان
له سجان أقسى من الصوان فاستدعاه اليه فحضر
وكان اسمه عمران بن الازور فقال خذ هذه الملعونه
الى بيتك وسلمها الى زوجتك لتقيدها بالحديد وتعذبها
العذاب الشديد وتلبسها ثياب الشعر وتضربها خمس مرات
في النهار وتطعمها خمس ارغفة من الشعير فقال يامولاي
ان هذه النصبيه لاتستحق الضرب والانتقام ولا تستاهل غير
الاعزاز والاكرام وهي كأنها البدر التمام فقال لها كيف العمل
وما نحن الا عبيد الملك الصنديد فعند ذلك نزعت عنها ثيابها
الحريرية والبسها ثوبا من شعر الخنزير وأرادت ان تضربها
بالسياط على قدميها فوقع على رجليها وجعلت تبكي
وتتني عليها ثم انشدت من فؤاد متبول :

با الله ان ترثني الى احوالي فالدهر فرق صحبتي

وعيانى

يا وحدتى يا ذلتى يا غربتى قد صرت بعد العز بالاغلال
قد كنا فى جاه ورفعه منصب والله ربي عالم الاحوال
فترفتى هذا النهار بحالتى فلعل ربي يستجيب لحالى
انى كريمه من اكابر معشر فاقوا الثورى بالجاه والافضال
ويعيدنى بعد العناء الى الوطن وأرى جميع الاهل
والاخوال

ولهم وقائع فى البلاد جميعها بين الملوك وزمرة الابطال

(قال الراوى) فلما فرغت من شعرها ونظامها ورق قلبها
وقالت لها قري نفسا وطيبى قلبا سأصنع معروفا لوجه الله
تعالى ثم انها جاءت بجلد جاموس يابس فصلته ثوبا وابستها
اياها من تحت الثياب وقالت انى متى ضربتك فانك
لاتشعرين بألم الضرب وما قصدت بذلك الا لسمع الملك
صوت الضرب وانت تصيحين وتستغيثين وانا أقدم لك

ما تحتاجين إليه من المأكل والمشرب ومتى دخل الليل
تخلعين ثوب الجلدة ترقدين براحة بال الى ان يأتي الله
بالفرج فشكرتها مي على معروفها ودعت لها بطول العمر
وأوعدها بالجميل والخير هذا ما كان من مي وما جرى
لها أما ما كان من أبيها فإنه عند رجوعه من الصيد سمع
صياح والبكاء فسأل عن ذلك فأخبرته زوجته بواقعة الحال
فغاب عن الصواب من شدة الغيظ وأما الاوس ابن عم
النصيبه فإنه غشي عليه لأنه كان يحبها محبة عظيمة ولما أفاق
من غشوته انشد يقول :

يقول الاوس ابن تغلب قصيد الايامي من هذا دهاك
اتاك اللص في غيبة ابيك ولم يعلم بمن يسعى ورائك
الا يا بنت عمي لو تدري بي على فقلك انا محزون
باكي

ترى في أي أرض قد حلت فما قلبي غدا يطلب سواك

فلا بد لي أغزو دياره بالعجل واقتله وافرح في نقاك
وابذل كل مجهودي لاجلك وروحي بعد ذلك هي فدائك
لما قال الفتى الاوس بن تغلب فقلبي قد تعلق في هوائ

(قال الراوي) فلما فرغ الاوس من هذا الشعر والنظام
وقع مغشيا عليه وبقي طول ذلك الليل في هم وغم وقلق
شديد ما عليه من مزيد فجعل عمه يلاطفه بالكلام ويقول له
طيب قلبك يا ولدي فما يصلح الحزن الا الى النساء
فاصبر لبيئنا نرسل من يكشف لنا خبر ذلك الرجل وبعد
ذلك نسير الى دياره فنخربها ونسبي حريمه وعبائه فقال الاوس
من يذهب غيري فوالله لاسرت الا وحدي ولا اريد
رفيق ولا معين سوى رب العالمين ثم نهض فاعتد جلاده
وركب ظهر جواده وودعهم ويار وجد في قطع القفار ودموعه
تجري على خديه كالانهار وهو لا يدري الى اين يذهب

والى اى حلة يقصد من قبائل العرب الى ان وصل
الى وادي عميق ضيق الطريق كثير الاشجار وانوحوش
والاحجار فبينما هو يتأمل ذلك المكان واذ قد ظهر عليه
احد الفرسان وهو بالسلاح الكامل والفروسيه عليه علائم
ودلائل فلما رأى الاوس منفردا وحده مال اليه وقصده وقال
له انزل يا جبان عن ظهر الحصان واخلع ما عليك من
الثياب وفز بنفسك في هذه الهضاب قبل ان اسقيك كأس
العطب فأنا جمره بن غمرة فارس العرب .

فلما سمع الاوس هذا الكلام صار الضيا في عينيه كانظلام
وهجم عليه في الحال وصدمه صدمة تزعزع الجبال فالتقاه
جمرة في الحال والتحما في ساحة المجال واشتد بينهما القتال
وتجاولا ساعة من الزمان وهم في ضراب وطعان
تقشعر منه الابدان فاختلفا بينهما طعنتين قاتلتين وكان
السابق الاوس بن تغلب فجادت في صدره خرجت تلمع

من ظهره فوق قتيلا وفي دمه جديلا فأخذ عدته وجواده
وجد في المسير وهو يقطع القفار والأكام مدة خمسة ايام واتفق
في اليوم الخامس انه التقى بقارس وهو يجد في قطع القفار
كالسهم الطيار فتقدم اليه وسلم عليه وقال له الى اين سائر
والى من تنسب من القبائل والعشائر فقال اننى من بنى
عبس وعدنان أصحاب الفضل والاحسان وانى ساير
الى ديار بنى عامر لاستدعى حامينا عنتر فارس الخيل لانه
سار من عشرة ايام ليحضر وليمه دعاه اليها عامر بن الطفيل
وفي غيبته غزانا عمرو بن معد يكرب في خمسة الاف
فارس فحاربنا محاربة شديدة وجرى بيننا وبينه وقائع عديدة
فأرسلنى مولاي قيس بن زهير لاستدعيه للحضور قبل
ان يظفر عامر المذكور فقال الاوس وقد تعجب ومن هو
عنتر بن شداد فارس الصدام الذي اشتهر ذكره في هذه
الايام بطعن الرمح وبضرب الحسام وقهر كبار الجبابرة
وحارب الملوك والاكاسرة والقياصرة وافتخر على الابطال

في ساحة الميدان فلما سمع الاوس هذا الخبر وانبهر ثم ودعه
وجد في قطع البر الاقفر ومازال يقطع البراري والاكام مدة
سبعة ايام حتى اشرف على جماعه من العبيد ترعى
الاغنام فحياهم بالسلام واخذ يسألهم بهذا الشعر والنظام:

يقول الفتى المضى الفاض ما به قدمي جرى فوق
الحدود سائح

الا يا عبيد الخير بالله اشفعوا لصب بعيد الدار وهات نازح
فجميع وجيع مستهام ملوع تركه البين مضى كثير الجراح
نقد ضاع لي حرة عفيفة من الحنا فهل من يبشر بها يا
فوالح

ويخبرني لأي البلاد توجهت من أجلها ناري تزيد
اللقاء

نقد احرق قلبي والى مهجتي وكل عظامي اوثقتهم جراح

(قال الراوي) فلما فرغ من كلامه تقدم اليه كبير
الرعيان وكان اسمه مرجان وقال له اعلم يا غلام انه
من برهة عشرة ايام سبى اميرنا الصنديد ابنه اسمها مي
لا يوجد اجمل منها في نساء هذا الحي فأراد ان يتزوجها
فامتنعت عنه فلم تميل اليه فقيدها بقيول من حديد وهو كل
يوم يعذبها عذاب شديد فعسى تكون الحرة التي ذكرتها
في نظمك افرج الله همك وغمك فلما سمع الاوس هذا الكلام
استبشر ببلوغ المرام ونزل عن ظهر الحصان وقبل العبد
مرجان وأوعده بالجميل والاحسان فبينما هو بالحديث
والكلام واذا بسعد ابنت الصنديد قد جاء ليكشف
أخبارها ويرجع بها الى ديارها فلما سمع هذا الكلام رجع
عند خاله وأعلمه بما سمع ورأى وأشار اليه يقول:

قال سعد قد اتيتك عارا يا خال مي فاسمع الاخبارا
البنت التي غربتها من أهلها من خلفها فارس اتاك جهازا

ياخال فارس في اللقا مجرب وعيونه ياخال تقدح ناراً
ان كان راقى لك ليالي الصفا فبصفوها تأتي لك
الاكدار

قد جاء الى عند العبيد يسأل انبوه فجاء كالاسد هداراً
لما سمعت اتيت نحوئ عاجل هذا الذي ياخال تم وصاراً

(قال الراوي) فلما فرغ سعد من شعره ونظامه وفهم
الصنديد فحوى كلامه قال له فارس واحد قال نعم ايها
السيد الماجد فشتمه خاله وقال ارجع وخذ من بين جنبيه
فانه لا يليق بي ان اركب لقتال صعلوك من صعايك
العرب فخرج سعد من عند خاله وقصد الاوس.

فلما اجتمع به وصاح فيه وحمل عليه فالتقاه كالاسد وضربه
بالحسام المهند فالتقاه على الارض قتيلاً فاخذ عدته وسلبه ثيابه
ولما بلغ خاله الخبر طار من عينيه الشرر فركب ظهر جواده
واعتد بعدة جلادة وقصد الاوس حتى التقى به وانطبق عليه

كليث الاجام وأخذ معه في القتال والكفاح ولم تكن الا ساعة
حتى ائخذه بالجرح فولا وطلب لنفسه الهرب فتبعه مثل
السرحات حتى وصل الصيوان واحتما عند النسوان
فلما دخل على الحرير قالت له زوجته سعد علامك دخلت
وانت مرعوب كل هذا لاجل الابنه التي خطفتها وما نالت
المرغوب فقالت انك تستحق اكثر من ذلك وبخته بالكلام
وقالت له انت تدعي الفروسيه على كل واحد وتهرب
من امام امره هذا والاوس يصيح عليه ويقول اخرج يا نعيم
من بين الحرير حتى اجازيك على تلك الفعله يا غدار يا
محتال فخاف الصنديد وقال لزوجته سعده اعطيه ابنة عمه
وكافينا همنا وهمه وخرجت زوجته اليه وقبلته وطلبت منه
العفو والسماح فأعطاهما الامان فجاءوا له بابنة عمه مي
بعد ان لبسوه الثياب الفاخره وذبخوا له الذبائح وقدموا له
الاطعمه المتكاثره ولما اجتمع به زال عن قلبه الكدر من
كثرة فرحته اخذ يسكب العبر وهكذا فعلت مي وكان

ذلك النهار عنده كيوم العيد حيث انتقت بحبيبتها الوحيد.
(قال الراوي) فباتا تلك الليلة في الحلة وعند الصباح
اركب مي في هودج وسار معه جماعة من العبيد
وتوجهوا قاصدين دياره ولما اقترب من بلاده ارسل يبشر
عمه الامير مالك بقدومه وشاع الخير في الحي وخرجت
النساء والبنات واكابر السادات ولما اجتمعوا ببعضهم البعض
نزل الامير مالك فسلم على الاوس وابنته وشكر ابن اخيه
على افعاله وعند وصوله الى الحيام حدثهم بحديث عنتر
وما سمع عنه من الخير فقال عمه والله سمعنا بك كره وأنه من
أفرس فرسان عصره وبعد ذلك ذبحوا الذبائح والموا انولاء ثم
ثم زفوا الاوس على ابنة عمه فكانت الليلة من أعظم
حضرها جمهور من السادات والموالي فزادت أفراح
الاوس بتلك العروس وحظي بذلك الحسن والجمال وعاش
معهما بأرغد عيش وأحسن حال وبعد ذلك وضعت له غلا
ما سماه مالك وله حديث طويل فاتفق بعد عشرة ايام أن

ابن الاوس ضعف ضعفا شديدا فمات فحزن الاوس
عليه ودفنه بالاحترام والوقار بكت عليه الكبار والصغار
وكان موصوفا باللطف والايناس ومحبوبا من جميع الناس
وأرسل الاوس وأعلم جده بذلك الخبر فحزن وتكدر فقالت
أختك اليمامة أرسل يا أخي وأحضر ابن عمك الاوس مع
أهله ليجمع شملنا بشمله أجابها الى ذلك وفي الحال أرسل
رجلا من بنى عمه ليحكم مكانه فجاء الاوس مع أهله
وسكن عند الجرو جده وراق ههما الزمان واما ما كان
للبطل الهمام صاحب الذكر الشهير المدعو بسالم الزير فإنه
كان قد أخناه الدهر وضعفت قواه وهو مع ذلك مواظب
على أكل الطعام وشرب المدام وكان لا ينام الا وهو لابس
عدة الحرب والنصدام وما زالوا على تلك الحال حتى برز له
أسنان جدد وصار عقله مثل عقل الولد وكانت بنات أخيه
تخدمه وتداويه فاجتمع يوما بالجرو وقال له يا ابن أخي قد
ضاق أخلاقي من الوحده والانفرا فأريد منك أن

ترسلنى مع بعض الاتباع لتنزله فى البلاد فأجابه الى ماطلب
وأركبه فى هودج وأعطاه عبدان برسم الخدمه وجميع ما
يحتاج اليه من لوازم السفر فودعه المهلهل وما زال يجول
حتى أقترب من بلاد الصعيد وكان العبدان قد تعبوا
من مشقة الطريق وهما يلاقيان من التعب أشد الضيق
فصمما على قتله وأعداه بالكلية وانما يقولان لاهله قد
ادركتك المنية فعرف الزير منهما فقال قد دنى همامي
وليس الا القبر امامي فإذا ادركتني منيتي اريد منكما ان
تبلغا اهلي وصيتي قالا وماهي وصيتك فعاهدهما على
حفظها وتأبيدها فحلفا له بأعظم الاقسام بأنهما يبلغونها بالكمال
والتمام فقال اذا وصلتكم الحى فاقريا اهلي من السلام
وانشدوهم هذا البيت وقولا لهم اني فى القبر قد أختبيت.

من مبلغ الاقوام ان مهلهلا لله دركما ودر ايكما

وكرر عليهم حتى حفظاه ولما دخل الليل ذبحوه ودفناه تحت
التراب ورجعا الى ديارهما ودخلا على سيدهما الجرو
وأعلماه بموت عمه الزير فبكاء شديدا ومن حضر ثم
ان العبدان اقتربا من الجرو وانشداه البيت المذكور.
فلما سمع الجرو هذا استغربه حيث لامعنى له فاستدعى
بأخته اليمامة وكانت من اذكى نساء العرب وعلمها عمها
وانشدها ذلك البيت فلطممت على وجهها وبكت قالت ان
عمي لا يقول ابيات ناقصه بل اراد ان يقول:

من مبلغ الاقوام ان مهلهلا أضحى قتيلا انفلاة مجندلا
للله دركما ودر ابيكما لا يبرح العبدان حتى يقتلا

ثم انهما قبضا على العبدان والقوهما تحت العذاب
والضرب الشديد الى ان أقر بأنهما قتلاه ودفناه فقتلهما
الجرو في الحال وهكذا انتهت حياة الزير وقد أخذ ثاره في

حياته وبعد مماته.

تمت قصة الزير ابو ليلى المهلهل بعون الله تعالى

مع تحيات : علي مولا